المعرفة

126

العدد ١٢٦ رمضان ١٤٢٦ هـ أكتوبر ٢٠٠٥م



الياباني مخلص والفرنسي يهتم بالتفاصيل

مدرسة نموذجية وراء القضبان!

هل أنت مصاب بـ«الدسلكسيا»؟

حمد الماجد:

الجاليات الإسلامية في بريطانيا لا تريد أن تجتمع!

قد أفلح من زكّاها..

التربية الروحية

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾



مجلة شهرية تصدر عن

وزارة التربية والتعليم

المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز

وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١٣٦) ـ رمضان ١٤٢٦ هـ ـ أكتوبر ٢٠٠٥ م



ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرية «الرصاصة» هي إحدى نظريات التأثير الإعلامي، وخلاصة هذه النظرية تقول إن للرسالة الإعلامية تأثيرًا «سريعًا ومباشرًا وقويًا» على مستقبل الرسالة الإعلامية.

ولكن هذه النظرية تغفل جوانب مهمة منها مدى وعي وثقافة الجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية.

وإذا كانت هذه النظرية تشكو من عدة ثغرات فقد زادها الزمن وتطور وسائل الإعلام وتقنياته ضعفًا.

فلم يعد الجمهور مستقبل الرسالة الإعلامية، ذلك الجمهور الذي يظل مسلوب الإرادة أمام الرسالة الإعلامية الوحيدة أو المحدودة التي يتعرض لها أو يسمح له أن يتعرض لها، ولم يعد وعيه وثقافته وتعليمه محدودًا.

أصبح بإمكان الفرد منذ سنوات ليست بالقليلة أن يطلع على آلاف أو ملايين الرسائل الإعلامية وأن يختار ما يريد ويقيم تلك الرسائل.

وأصبح يسمع ويقرأ لوجهة نظر ووجهة نظر أخرى وثالثة ورابعة..

ما مناسبة الحديث عن نظرية الرصاصة؟

البعض ما زال يؤمن بتلك النظرية ويتألم إذا قرأ أو سمع وجهة نظر يرى أنها غير صحيحة ويتوقع أن الناس سيتيهون في الضلال والغي، إذا سمعوا أو قرؤوا تلك الأفكار أو وجهات النظر، وكأن الناس ما زالوا أميين، بسطاء، سذجًا لم يسمعوا ولم يشاهدوا ولم يقرؤوا إلا تلك الفكرة أو وجهة النظر تلك، وكأن الناس مستعدين لأن يكونوا ضحايا مستسلمين لـ«رصاصة إعلامية» قد تكون أحيانًا «بدون حشوة»!! المعرفة

المراسلات

باسم: رئيس التحرير

ص.ب ٢٢٠٠٠٧- الرياض ١١٣٢١

هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩

فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،

الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،

البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠بيسة،

اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،

الأردن ١,٢٥دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،

مصر ٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،

المغرب ١٥ درهمًا.

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال
وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.
سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.
سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض: هاتف: 4727858-4727846
فاكس مجاني: 8001242277
Subscriptions@rawnaa.com

للإعلان

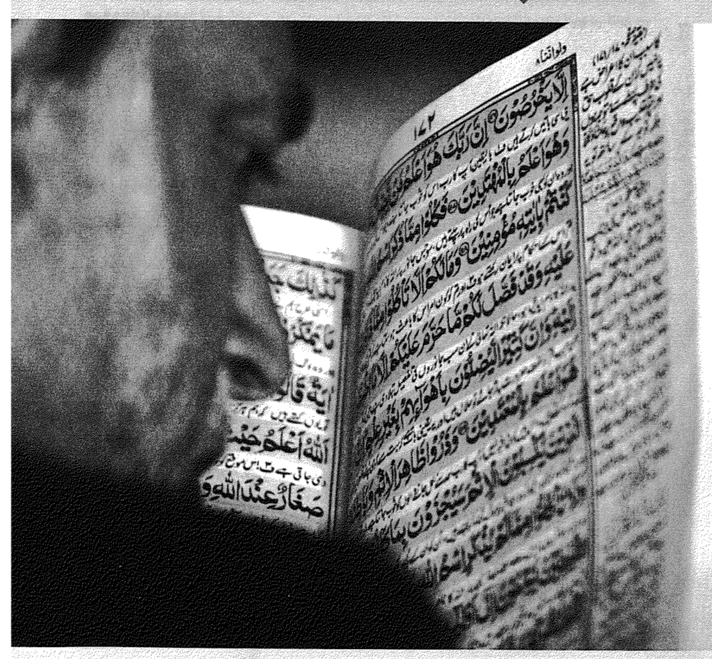
الرياض: 4727792 . 4785322 . فاكس: 4727818
Advertising@rawnaa.com
روناء للإعلان والتسويق
ص . ب 26450 الرياض 11486

التوزيع

الوطنية للتوزيع
AL Wataniа Distribution

قد أفلح من زكّاها ..

التربية الروحية



قد تبدو تربية ما لا نراه حقيقة ولا نعرفه تفصيلاً نوعًا من المحال لأول وهلة!! ولكن تراتيل الخشوع الرمضانية وانعكاساتها على السلوكيات والمشاعر تنفي هذه الاستحالة وتثبت كون الصوم فسحة لتدعيم الوازع الداخلي وشدّ ارتهالاته وتنقية أجوائه وصولاً إلى «التربية الروحية».

ومع سطوع الإجابة في أن «الروح من أمر ربي» وأن اجتهادات العلماء والمفكرين والفلاسفة (سابقًا ولاحقًا) لن تغني ولن تسمن من جوع في كشف سرّ الروح وتمحيص ماهيتها فيزيائيًا أو رياضيًا، إلا أن الحيز الواسع من الانعطافات التاريخية (على مختلف الفترات) لأمم الشرق والغرب والذي جاء استجابة منها لتفسيرات الروح قربًا وبعدًا (وأحيانًا نفيًا) - دعانا إلى رصد جزء من معاناة البشرية في تأويلها لمعاني الروح (المحسومة) وفي سعيها لإحداث التآلف بين حاضرها وماضيها.

في رمضان تتألق الروح، وتشف.

ويحلق الصالحون مع الأرواح الصالحة إلى الأعالي..

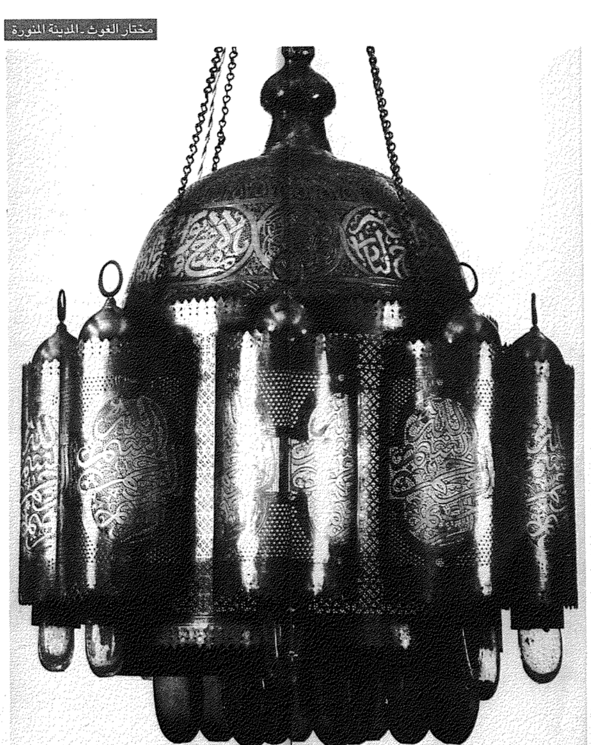
كيف لرمضان أن يأخذ بأرواحنا ويسمو بها، وكيف نتقل نحن تلك الأرواح حتى لا يمكنها أن تحلق ولو لدقائق ولحظات.

كيف نربي تلك الروح (روح الفرد وروح الأمة) أو لنقل كيف نزكيها؟ المعرفة

من وسائلها المعينة ، العزلة والذكر والصوم :

في تزكية النفس

مختار الغوث - المدينة المنورة



مادة (روح) أصل معانيها كلها (الريح)، وأصل الياء في (الريح) الواو، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها[1].
والروح في الأصل: النَّفس، ثم استعير لما تحصل به الحياة والتحرك واستجلاب المنافع، واستدفاع المضار[2]، تشبيهًا له بالريح، لأن النفس - الذي هو علامة الحياة - بعض الروح، من تسمية الجزء باسم الكل[3]. ويؤنس هذا التشبيه في تعبير القرآن الكريم عن بث الحياة في أوصال البدن بالنفخ: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾. ولهذا قال الإمام الغزالي: إن الروح بهذا المعنى «بخار لطيف أنضجته حرارة القلب»[4].
ثم انتقلت الكلمة إلى معنى آخر، هو «اللطيفة الربانية الروحانية (المعنوية)، التي هي حقيقة الإنسان المدرك المخاطب المثاب المعاقب»[5].
وترادف الروح بهذا المعنى - عند علماء السلوك - كلمات أخر، هي: القلب، والنفس، والعقل. والعلاقة بين هذه الأربع هي صلتها بالقلب الجسماني، وهي علاقة «تضاهئ تعلق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات... أو تعلق المتمكن بالمكان»[6].

كل ما ورد من لفظ (الروح) في القرآن الكريم هو بالمعنى الأول، حقيقة أو مجازًا، وكذلك ما ورد منه في الحديث النبوي، قال ابن الأثير: «قد تكرر ذكر (الروح) في الحديث، كما تكرر في القرآن الكريم، ووردت فيه على معان، والغالب منها أن المراد بالروح: الذي يقوم به الجسد وتكون به الحياة، وقد أطلق على القرآن، والوحي، والرحمة، وعلى جبريل»[7]. وإطلاقه على هذه الأربعة هو من المجاز.

ولم ترد الروح في القرآن بالمعنى الثاني، أما هي بالمعنى الأول فخارجة عما نحن فيه، لأن التربية تهذيب، وتنمية للأخلاق الفاضلة. و(الروح) بالمعنى الأول لا تناله التربية، ولا تعلق لها به، وهي بالمعنى الثاني - في التراث الإسلامي - محل الأخلاق المحمودة، وهي ضد النفس التي هي محل الأخلاق المذمومة، يقول القشيري: «إنما أرادوا بالنفس ما كان معلولاً من أوصاف العبد، ومذمومًا من أخلاقه وأفعاله... كما أن الروح هي محل الأخلاق المحمودة»[8].

وقال الإمام الغزالي: هي «الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان»[9]. وقال ابن القيم: «والنفس صورة العبد، والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها. ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه. فالنفس لا تريد إلا الدنيا، ولا تحب إلا إياها، والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها، وجُعل الهوى تبعًا للنفس، والشيطان تبع للنفس والهوى، والمَلك مع العقل والروح، والله - تعالى - يمدهما بإلهامه وتوفيقه»[10].

من أجل ذلك كانت التربية في النصوص الشرعية متجهة إلى النفس، لا إلى الروح، وهي التي ينسب إليها الخير والشر: ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها﴾، ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾، ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾، ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾، «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك»، وقول عمر: «إن هذه النفوس طُلعة، فاقدعوها، وإلا نزعت بكم إلى شر غاية».

وورد قريب من هذا في القلب: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت

فسد الجسد كله». ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾، «البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر».

والتفريق بين النفس والروح - مع أنهما قد يترادفان - هو الذي اصطلح عليه علماء السلوك، اتباعًا للوحي. وإذا استبان هذا حسن العدول عن مصطلح (التربية الروحية)، لأنه غير دقيق، وغير أصيل: فالروح مفطورة على الخير، وهي مستودعه والمفطور على الشيء لا يقبل غيره، ولا معنى لأن يراد عليه، كما أنه لا معنى لأن تراد الملائكة على العبادة والاستقامة، وهي مفطورة عليهما: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾.

وهو غير أصيل لأنه أحل اللفظ في غير محله المعهود له في التراث، وتنكّب الذي هو أولى منه.

ومأتى هذا التعبير في دلالة الكلمة من الترجمة الحرفية من اللغات الأجنبية، وله نظائر كثيرة في العربية الحديثة.

نعم قد يكون لاستعمال (التربية الروحية) وجه إذا أريد به التربية التي تلائم الروح في استقامتها وفطرتها على الخير، كما يقال (التربية الإحسانية)، للتربية التي تنشد بلوغ الإحسان. وكذلك إذا أريد به التربية المقابلة للتربية المادية. فهي تربية تعنى بالمعنويات والقيم، بعكس التربية التي تعنى بالمنافع المادية. أو أريد به التربية المقابلة للتربية البدنية، أي التربية المعنوية.

لكن يعيب المصطلح بهذه المعاني الثلاثة شيء يسميه البلاغيون (الغرابة)، وهي: استعمال لفظ غير ظاهر المعنى، ولا مألوف الاستعمال عند العرب، هذا إلى أن المراد به أوسع وأشمل من هذه المعاني الثلاثة.

والحفاظ على المصطلحات الإسلامية بألفاظها ودلالاتها أولى من استحداث مصطلحات دخيلة لا تدعو إليها الضرورة. والمعنى المراد من التربية (التربية الروحية) يدل عليه في القرآن والحديث والتراث الإسلامي بكلمات أبلغ وأوجز وأقعد في العربية من هذه: التزكية، التطهير، التأديب، الرياضة. ففي القرآن ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾، ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾، ﴿قد أفلح من زكاها﴾، ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾، ﴿وثيابك فطهر﴾، إذا حملت الثياب على القلب، كما يرى بعض المفسرين. وفي الحديث «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها، أنت خير من زكاها»، «أدّبني ربي فأحسن تأديبي».

وربما كان اعتماد (التزكية) في هذا المعنى أولى من سائر المصطلحات، لوضوح دلالته، وسلامته من الاشتراك، الذي قد يلبس وهو من عيوب المصطلحات، ولكونه مرادفًا للتربية، فكلتاهما تدل على التنمية والزيادة، إلا أن (التزكية) خصصها الاستعمال بتطهير النفوس من الرذائل، وتحليتها بالفضائل، وما تزال (التربية) مشتركة بين الجوانب الجسمية والمعنوية من الإنسان، كما تستعمل في حق الإنسان والحيوان، على سواء.

والعلاقة بين معنى (التزكية) اللغوي، ومعناها الشرعي هو - كما قال الحكيم الترمذي-: أن النفس إذا مالت إلى الشهوات مالت بأركانها عن الله - تعالى - إلى الدنيا، وعلى قدر ميلها عنه تنقص البركة وتنزوي. وإذا ذهبت البركة عن شيء قل وذل، وصار مدخولا. وإذا مالت إلى الله - سبحانه وتعالى - بمنعها عادتها وشهواتها قربت منه، فحلت بها البركة، فزكت وربت. والزكاة هي: النمو والاحتشاء من الخير[١١].

ومدار التزكية على أمرين: التخلية، أي تفريغ النفس مما لا يرتضى من الأخلاق، والتحلية، أي تزيينها بالفضائل. وقد سمى الإمام الغزالي الخلال المرذولة التي تزكى منها: (المهلكات)، وهي عنده: الغضب، والحسد، وحب الدنيا، والبخل، والرياء، وحب

غير أن ثمة وسائل معينة على اطراح المهلكات، واكتساب المنجيات، ما ينبغي لأحد أن يمر على التزكية ولا يعرج عليها، سأقتصر منها على ثلاث، أرى أنها قد تكون هي جماعها، هي: العزلة، والذكر، والصوم

الجاه، والكبر، والعجب، والغرور. وسمى الفضائل التي تحلى بها (المنجيات)، وهي: التوبة، والصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والزهد، والتوحيد والتوكل، والمحبة، والشوق، والأنس، والرضا، وصدق النية، والإخلاص، ومراقبة الله، ومحاسبة النفس، والتفكر، وذكر الموت.

ولست في مقام الحديث عن المنجيات والمهلكات. وقد تناولتها كتب السلوك والرقائق بما لا مزيد عليه، غير أن ثمة وسائل معينة على اطراح المهلكات، واكتساب المنجيات، ما ينبغي لأحد أن يمر على التزكية ولا يعرج عليها، سأقتصر منها على ثلاث، أرى أنها قد تكون هي جماعها، هي: العزلة، والذكر، والصوم. فهذه الوسائل ملائمة لهذا العصر الذي كثرت فيه الشواغل والصوارف عن تزكية النفس، ليسرها، وعظم أثرها في النفس، ووفرة ما فيها من الأجر. فالذكر - مثلاً - عمل من أعمال القلب، في المقام الأول، يمكن أن يُفعل على كل حال، من غير أن يشغل عن غيره، أو يكلف الذاكر مشقة. ووسائل الرفاهية من سيارات، ومكيفات، وغيرها، قللت مشقة الصوم. وإذا انقادت النفس إلى العزلة مختارة راغبة، واقترنت العزلة بالذكر، وانتهت بالشوق، والمحبة، والأنس بالله - كانت هي غاية السعادة التي يطمح إليها مخلوق، كما قال إبراهيم بن أدهم: نحن في سعادة لو علم بها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف.

ومدار المهلكات على شهوات النفس ورعوناتها، والصوم معين على كسر الشهوات، والذكر معين على غسل النفس من الرعونات، والعزلة عن الخلق وجمع القلب على الله من أكبر المعينات على استنبات المنجيات في القلب. فالمحبة، والشوق، والأنس، والرضا، والمراقبة، والمحاسبة، والتفكير لا تتأتى بغير عزلة، توطن فيها النفس على ذكر الله، الذي يجلب هذه إلى القلب.

وإذا اعتزل المرء الناس أعانته العزلة على تجنب الغضب، والحسد، والرياء، والكبر، لأن الخلطة هي التي تثير هذه.

وسنتكلم عن الثلاثة بما يقتضيه المقام من الإيجاز.

العزلة:

وأعني بها تجنب مخالطة «من لا يُنهض حاله، ولا يدل على الله مقاله»، كما قال ابن عطاء الله السكندري، وهم أكثر الناس. وقد ندب الله إلى هذه العزلة ورغّب فيها، بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم - لعقبة بن عامر الجهني - لما سأله: ما النجاة؟: «ليَسعْك بيتك، وأمسك عليك دينك، وابك على خطيئتك»[12]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «خذوا بحظكم من العزلة»، «في العزلة راحة من خليط السوء»[13].

وغرض العزلة التفرغ لرياضة النفس وتزكيتها، واستصلاح القلب، بتجنيبه ما تجر الخلطة من آثام كالغيبة، والقيل والقال، واللغو، والغفلة، وإضاعة الوقت، والتعلق بالدنيا والخلق، ثم ترسيخ ما يستحصل من

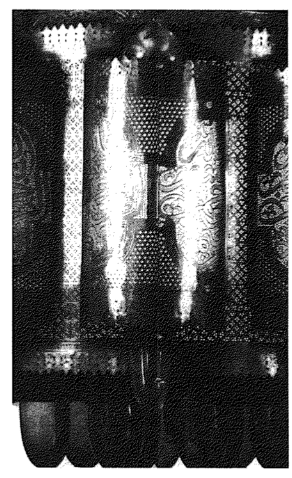
المنجيات، وتعويد النفس إياه حتى يصير لها كالطبع.

ولما كان أكثر الخلق غافلين عن الله، منهمكين في شهوات النفس، كانت مخالطتهم مفسدة للقلوب.

فإذا صلحت النفس، وأنس المرء أن بوسعه أن «يعاشر الخلق ببدنه وروحه عند مالك روحه»[١٤]، فلا بأس بالخلطة حينئذ، ولا سيما إذا رجا أن يُصلح الله به. أما قبل ذلك فقد حذر المربون منها أشد التحذير، وقال الحارث المحاسبي: «أحذركم مخالطة الناس، فإن جميع التعدي والأوزار مجموع في مخالطتهم ومعاشرتهم، وما تشعرون... والصبر على الوحدة شديد. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[١٥]. وقال ابن الجوزي: «لا يصلح التعبد والتزهد والاشتغال بالآخرة إلا بالانقطاع الكلي عن الخلق»[١٦]، و«من رزقه الله - تعالى - النظر في سير السلف رأى أن هذا العالم ظلمة. وجمهور العالم على غير الجادة، والمخالطة لهم تضر ولا تنفع»[١٧].

واستصلاح النفس قبل استصلاح الغير هو طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «أول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنَّث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء»[١٨].

وربما اعتُرض على الدعوة إلى العزلة بأنها سلبية، وفيها خذلان للمصلحين، وتخلية بين الناس والفساد والمفسدين. وهذا صحيح لو كانت الدعوة إلى العزلة المطلقة، أو إلى العزلة من أجل السلامة من شر الناس، أما العزلة المؤقتة لإصلاح النفس، وتهيئتها لإصلاح الغير فلا سلبية فيها، بل هي شرط لذلك الذي يُرجى من الخلطة، ومن لم يصلح في نفسه لم يصلح غيره، ومن عول على أنه قد يكون أصلح من غيره فإنه لا يستطيع أن يُصلح من الناس إلا بقدر ما صلح منه. فالذي يحافظ على الصلاة في الجماعة، وتجنب التدخين لا يمكن أن يهدي غيره إلا إلى هذين، وليس في وسعه أن يبلغ به مقام الإحسان، وهو لم يبلغه، ولا يعرف الطريق إليه، وليس في وسعه أن يهديه إلى مراقبة الله، والتجافي عن المضاجع ليلاً، وهو لا يفعلهما، ولا يعرف معناهما.



وحَسَنٌ أن يهدي المرء غيره بقدر ما اهتدى، وأحس به، وأشبه بما ينبغي للمصلحين أن يصلح نفسه حتى يبلغ بها ما ينبغي أن يبلغ، ثم يدعو حينئذ، فقد صار أهلاً للدعوة:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلّا لنفسك كان ذا التعليم؟
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل ما وعظت ويُقتدى
بالعلم منك، وينفع التعليم

وكم محتج بأن الصحابة كان أحدهم إذا علم يسيرًا من الدين انطلق إلى قومه يدعوهم إليه، ولم يبلغ من العلم والتزكية مبلغًا. وهي حجة صحيحة، لكن أولئك كانوا يأتون بقومهم النبي صلى الله عليه وسلم ليتولى من أمرهم ما يعجزون عنه. ولا يستوي - على كل حال - من ذهب يدعو إلى ما شدا من الدين دون تفقه كبير وتزكية، ومن لزم النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم ويتزكى حتى صار إمامًا، ولا يستويان في أثرهما في الدعوة. والله تعالى يقول: ﴿فلولا نفر من كل فرقة

منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

وكمال الصلاح متعذر مع مخالطة غير الصالحين. مثل ذلك مثل مريض في بيئة موبوءة، يمشي بين المرضى وهو يرجو أن يصح: أن تناول بعض اللقاح. وإنما يتأتى الشفاء بالحجر وتعاهد الطبيب، فإذا برئ، واكتسب مناعة أمكن أن يسير بين المرضى، لا يخاف العدوى، وينبغي - مع ذلك - أن يحذر ويتوقى ما استطاع، وأمكن - أيضًا - أن ينظر في معالجة غيره، إن أوليَ علمًا يعالج به.

وينبغي أن تختلف عزلة اليوم عن عزلة الأولين، فلم تعد حال الناس كما كانت، والخلطة - اليوم - تستوجبها الحياة، ولم تعد العزلة الكلية ممكنة لأكثر الناس، فينبغي أن يقتصر منها على ما تستدعيه الضرورة، ثم يصون وقته ونفسه عما لا يصلحه، وليقرن خلطته بعزل باطنه، حتى يحفظ عليه قلبه سليمًا من آفات الخلطة، ويبقي على حضوره مع الله.

الذكر:

وهو من أهم الوسائل إلى التزكية، يقول الله: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾، فهو يمحص القلب لله وحده، ويعين على دفع خواطر النفس ووساوس الشيطان، ويجلب حب الله وتعظيمه والأنس به، و«حضور القلب مع الله تعالى على الدوام، أو في أكثر الأوقات هو المقدّم على العبادات، بل به تشرف سائر العبادات، وهو غاية ثمرة العبادات العملية. وللذكر أول وآخر، فأوله يوجب الأنس والحب، وآخره يوجب الأنس والحب، ويصدر عنه، والمطلوب ذلك الأنس والحب، فإن المريد في بداية أمره قد يكون متكلفًا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل، فإن وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور»[١٩].

وورد في الذكر من المدح والترغيب ما لم يرد في غيره، كقول الله تعالى: ﴿واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾، وأبان الله عن موقع ذكر عبده منه، فقال: ﴿فاذكروني أذكركم﴾، وقال في الحديث القدسي: «أنا مع عبدي ما ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من الذي ذكرني فيه».

غرض العزلة التفرغ لرياضة النفس وتزكيتها، واستصلاح القلب، بتجنيبه ما تجر الخلطة من آثام كالغيبة، والقيل والقال، واللغو، والغفلة، وإضاعة الوقت، والتعلق بالدنيا والخلق، ثم ترسيخ ما يستحصل من المنجيات، وتعويد النفس إياه حتى يصير لها كالطبع

وإذا كان مقام الإحسان هو غاية التربية فلا شيء يبلغه كما يبلغه استشعار محبة الله المتحصلة من دوام ذكره، واستشعار أنه يراك ويسمعك ويذكرك كما تذكره، ويعظمك أكثر مما تعظمه، وهذا هو معنى «أن تعبد الله كأنك تراه»، و«منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله - تعالى - على الدوام»[٢٠].

وللذكر ميزة على سائر العبادات، «أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله تعالى، إما فرضًا وإما ندبًا، والصلاة - وإن كانت أشرف العبادات - فقد لا تجوز في بعض الأوقات، والذكر مستدام في عموم الحالات. قال الله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم﴾[٢١].

وفي تراث المربين ما يعجب منه المرء، من نعت وسائل تعليق القلب بالله، وشغله بذكره على وجه من الحب والولع، لا يشبههما إلا ولع الصبيان بالآباء، من ذلك قول السهروردي في وصف ما ينبغي أن يكون عليه السالك إذا استيقظ للتهجد: «فإذا استيقظ من النوم فمن أحسن الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله، ويصرف فكره إلى أمر الله، قبل أن يجول في الفكر شيء سوى الله، ويشغل اللسان بالذكر. فالصادق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام على محبة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذي كان كلف به»[٢٢].

وهذا قريب من تفسير عطاء لقول الله تعالى:

﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا﴾، قال: «هو كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم، فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك»[٢٣].

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - في تقلبه في شؤون الحياة يمثل هذا اللهج بالذكر، إذا أوى إلى فراشه، وإذا استيقظ من نومه، أو تقلب في مضجعه، وإذا تكلم أو صمت، كما ورد في الحديث: «أوصاني ربي بتسع، أوصيكم بهن... وأن يكون صمتي فكرًا، ونطقي ذكرًا، ونظري عبرًا».

وتجد هذا اللهج في بعض آيات القرآن الكريم التي وصف الله فيها عباده الصالحين، كقوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم﴾، وقوله: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾.

والذكر هو حقيقة التوحيد، فلا عجب أن يكون له هذا المقام في قلوب أولياء الله. وليس الذكر المراد هنا ذلك الذي يردد فيه اللسان بعض المأثورات، ولكنه حضور القلب مع الله قبل حركة اللسان، ونفي ما يرد على القلب من خواطر تصرف عن الله. وهو يحتاج إلى جهاد عظيم للنفس ووساوس الشيطان التي لا تنتهي، حتى يخلص القلب منهما لله وحده. وكانت للمربين مع تلاميذهم صرامة وشدة في هذا النوع من الذكر. وكان لهم مثلها مع أنفسهم. روى القشيري أن الشبلي قال لتلميذه الحصري - وهو في أول التزكية-: «إن كان يخطر بقلبك من الجمعة التي تأتيني فيها إلى الجمعة الأخرى شيء غير الله - تعالى - فحرام عليك أن تأتيني»[٢٤].

وهذا أمر في غاية الصعوبة، وهو يحتاج إلى عون وتوفيق من الله، ولعل هذا هو سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: «لا تدعنّ في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك». وهذه الصعوبة الباطنة تقابلها سهولة الذكر الظاهرة، التي لا يجد فيها المرء مشقة بدنية، ولا عملاً يزاحم شأناً من شؤون الذاكر، أو يصرف عنه.

الصوم:

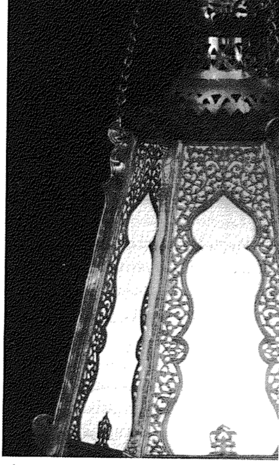
ومنزلة الصوم من التزكية يبينها قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق».

وسبب هذا ما يلازمه من الجوع الذي يكسر شهوات النفس ويروضها، فتتكفُّ الجوارح عن المحرمات، والقلوب عن الخواطر، ويستولي على الصائم الشعور بأنه في قربة إلى الله، تستوجب تنكب كل أمر لا يرضى عنه، لأن إتيان ما يسخط الله يناقض التقرب إليه. يقول أبو طالب المكي: «قال بعض العلماء (واستعينوا بالصبر) على الزهادة في الدنيا والصوم، لأن الصائم كالزاهد العابد، فالصوم مفتاح الزهد في الدنيا، وباب العبادة للمولى، لأنه منع النفس ملاذّها، كما منعها الزاهد العابد بدخوله في الزهد، وشغله بالعبادة»[٢٥].

وورد في ثوابه من المزايا ما لم يرد في ثواب سائر العبادات، كما ورد في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به». وقال بعض المفسرين إن المراد بقول الله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾: الصوم، لا يعلم إلا الله جزاءه. وكذلك قوله: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾، المراد بالصابرين: الصائمون، والصبر من أسماء الصوم[٢٦]. ولا تقل عن هذه المزية مزية أخرى، هي أنه لا يقع فيه القصاص.

وكان بعض الصدر الأول لهذه الأمة يصوم الدهر، لا يفطر منه إلا يوم العيد وأيام التشريق، وذهب بعضهم أبعد من هذا فكان يواصل الصيام خمسة عشر يومًا،

من أطرف ما تراه العين في صيام هذا الزمان أن يخرج «الصائم» من رمضان سمينًا؛ لأنه يأكل فيه ما لم يأكل في غيره! وشتان ما هذا وما فرض له الصيام، وشتان ما يوم الصوم وليله في هذا الزمان، ويومه وليله في زمان السلف



كابن الزبير، وبعضهم يواصل شهرين، فقد وجدوا أنه «ليس شيء أجلى للقلوب من صدئها مثل الجوع، لأن الجوع أقطع أسباب دواعي النفوس للشهوات»[٢٧].

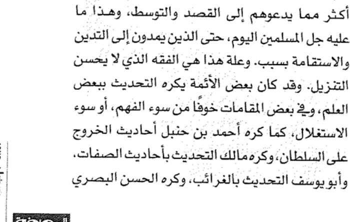
لكن بعض العلماء انتقد المبالغة في الصوم والجوع، وما خالطهما من جهل بعض الزاهدين، وإلقائهم بأيديهم إلى التهلكة، ومخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان - وهو أكمل خلق الله - يصوم ويفطر، ويمزح ويداعب الأطفال، ويسمع الشعر، ويحسن معاشرة النساء، ويأكل ما قدر عليه، وإن كان لذيذًا، ويستعذب له الماء، ويغرس له في الظل، ولم يرو عنه ما حدث بعده من جهال المتصوفة والمتزهدين، من منع النفس شهواتها على الإطلاق[٢٨].

ورأى بعضهم أن سرد الصوم مكروه للمرء العادي، واستدل بالحديث: «لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد»، ويقول ابن حزم إنه حرام، بناء على هذا الحديث. وهذا - في نظره - هو الذي يتفق مع منهج الإسلام في الاعتدال بين حق الله وحق النفس، والرفق بالمكلفين والتيسير عليهم[٢٩].

ولسنا نتحدث عن الصوم إلا من الناحية التربوية، ولكن يحسن أن نلم بحكم سرد الصوم إلمامة يسيرة، نبني عليها مناقشتنا لهذا الرأي. فقد قال الإمام النووي: ذهب جماهير العلماء إلى جواز صوم الدهر، إذا لم يصم الأيام المحرمة. ومذهب الشافعي وأصحابه أن سرد الصوم - إذا أفطر الأيام المحرمة - مستحب، إذا لم يلحقه به ضرر، ولم يفوت حقًا، وإلا فمكروه.

وثبت عن عمر أنه كان يسرد الصيام، وكذلك أبو طلحة، وعائشة، وخلائق من السلف[٣٠].

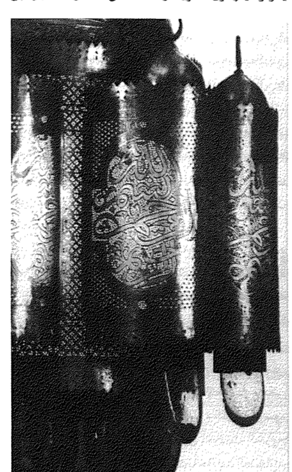
وإذا جاز صيام الدهر فينبغي النظر في آثاره التربوية، إذ العبرة بالمقاصد. ولا اعتبار لنقل الجهال، لأنه ليس مستندًا إلى شيء معتبر. فالتحامل على من يصوم يعذر فيه من يريد علاج ظاهرة أضرت بالناس، ولا يعذر فيه من يخاف على الناس - اليوم - الرهبانية والتبتل، وهم على ما هم عليه من الشهوانية، وعبادة الهوى، بتأثر من الحياة المادية المعاصرة المسرفة. وشأن الشريعة في هذا المقام ونحوه أن تبالغ في ذم الشهوات، والميل مع الهوى، وتبالغ في مدح الزهد، حتى تصرف الناس عما هم فيه، وإن كان سبيلها الوسط، كما قال الإمام الغزالي: «اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط... وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ إلى أن الإفراط فيه مطلوب، وهيهات! ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى، وكان فيه فساد، جاء الشرع بالمبالغة في المنع فيه، على وجو يومئ عند الجاهل أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان، والعالم يدرك أن المقصود الوسط...، حتى يكون الطبع باعثًا، والشرع مانعًا، فيتقاومان، ويحصل الاعتدال»[٣١].



والخوف على الناس مما هم واقعون في ضده مما يبعثهم عليه طبعهم، ودعوتهم - والحال هذه - إلى الوسط - قد يزيد لهم التمادي فيما هم فيه أكثر مما يدعوهم إلى القصد والتوسط، وهذا ما عليه جل المسلمين اليوم، حتى الذين يمدون إلى التدين والاستقامة بسبب. وعلة هذا هي الفقه الذي لا يحسن التنزيل. وقد كان بعض الأئمة يكره التحديث ببعض العلم، وفي بعض المقامات خوفًا من سوء الفهم، أو سوء الاستغلال، كما كره أحمد بن حنبل أحاديث الخروج على السلطان، وكره مالك التحديث بأحاديث الصفات، وأبو يوسف التحديث بالغرائب، وكره الحسن البصري

تحديث أنس بن مالك للحجاج بقصة العُرنيين لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يفعل من المبالغة في سفك الدماء، بتأويله الواهي[٣٢].

وإذا كانت العبرة بالمقاصد كان الأمر كما قال الإمام الغزالي: «فالكمال أن يفهم الإنسان معنى الصوم، وأن مقصوده تصفية القلب، وتفريغ الهم لله - عز وجل - والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله، فقد تقتضي حاله دوام الصوم، وقد يقتضي دوام الفطر، وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم. وإذا فُهم المعنى، وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب، لم يَخف عليه صلاح قلبه، وذلك لا يوجب ترتيبًا مستمرًا»[٣٣]، وكراهية السرد - عند من كرهه - سببها أمران: الرغبة عن السنة في الإفطار، بجعل الصوم فرضًا على نفسه، وألا يفطر الأيام المحرمة. فإذا انتفى الأمران فلا كراهية أصلاً، فمن رأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل، فالعبرة بصلاحها[٣٤]، وهذا هو الذي كان عليه مدار أعمال الزاهدين، ولم يكونوا يلزمون صورة واحدة عن العمل، فسهل بن



عبدالله التستري - مثلاً - أقام عشرين عامًا وهو يواصل الصوم خمسة وعشرين يومًا، ثم يفطر، ويقوم الليل كله، ويأكل في العام بثمن درهم واحد من الشعير[٣٥]، فلما استقام قلبه على الطريقة ترك ما كان يفعل، وصار يأكل بغير حد ولا توقيت[٣٦]. وعمر - رضي الله عنه - كان يرى النبي - صلى الله عليه وسلم - يحب العسل ويأكله، ولما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الإناء ويقول: أشربها وتذهب حلاوتها، وتبقى تبعتها؟ اعزلوا عني حسابها، وتركها[٣٧].

واتباع السنة ليس بتمثيل صور الأفعال والأقوال، لكنه بتحقيق مقاصدها، فقد يفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - الفعل لبيان حكمه، لا تشهيًا له، ولا ميلاً إليه، فيحاكي فعله من يحاكيه من المسلمين على سبيل التشهي، وإن وافقت صورة الفعل صورة الفعل، ولو لم يفعل لكان أدنى إلى كسر شهوة النفس وتأديبها. وهذا من الفقه الذي يفعله من يقف على رسوم الشريعة دون حقيقتها، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعتمده في كل أمره، ولذلك يرى المرء من فعله - صلى الله عليه وسلم - اختلافًا في الظاهر، فإذا نظر إلى المقاصد علم أن تباين صور الأفعال والأقوال يقابله توافق المقاصد، فهو - صلى الله عليه وسلم - نهى ابن عمر عن سرد الصوم، وأقر عليه حمزة بن عمر الأسلمي، وقال في ابن عمر: «نعم الرجل لو كان يقوم الليل» وأوصى أبا هريرة بألا ينام حتى يوتر، وتفقد عليًا وفاطمة لصلاتهما من الليل، وعائشة معترضة بين يديه اعتراض الجنازة، فلم يوقظها[٣٨].

والذي نهجه الصالحون أن يرغبوا عن المباح إذا كان هوى للنفس يفسدها، تأديبًا لها. والنبي - صلى الله عليه وسلم - أهدى إليه أبو جهم بن حذيفة خميصة شامية، لها علم، فشهد فيها الصلاة، فلما انصرف ردها إليه؛ لأنه نظر إلى علمها فخاف أن تفتنه. وخرج أحد الأنصار من بستان له في زمان الثمر، والنخل مذللة مطوقة بثمرها؛ لأنه نظر إليه في الصلاة فأعجبه، فسها فإذا هو لا يدري كم صلى[٣٩]. والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾.

ولو لم يكن دأب بعض الدعاة أن يتكلم فيما مضى أكثر مما يحضر، وأن يرغب عما يعاني واقعه

من المشكلات إلى ما قد عانى غيره في التاريخ لكان أولى من ترداد بعض ما ورد في الكتب القديمة أن تُشرع الأقلام والألسنة في انتقاد الحياة المسرفة في متع الدنيا، والرضا بصور العبادة التي لا تورث تطهيرًا ولا زكاة ولا قربى إلى الله، كالصوم الذي لم يعد فيه من الصوم إلا الإمساك بياض نهار رمضان عن الشهوتين، بعد الإسراف المهلك في الأكل ليلاً، من مغيب الشمس إلى طلوع الفجر. وصُير رمضان موسمًا من مواسم الطعام وعبادة البطون وشهواتها، دون سائر شهور العام، وخولفت الفطرة، فجعل ليله نهارًا، ونهاره ليلاً، وصُير الليل الذي كان لراحة البدن وراحة القلب بالتهجد للرفث واللغو والإثم، وذرع الشوارع والأسواق، والنهار للنوم والكسل والغفلة: لأن الأبدان تصبح مكدورة، والعقول كليلة من رهق السهر، وثقل الطعام، فلا تقوى على شيء سوى النوم، الذي قد يستغرق النهار كله.

ومن أطرف ما تراه العين في صيام هذا الزمان أن يخرج «الصائم» من رمضان سمينًا؛ لأنه يأكل فيه ما لم يأكل في غيره! وشتان ما هذا! وما فُرض له الصيام، وشتان ما يوم الصوم وليله في هذا الزمان، ويومه وليله في زمان السلف. عن السائب بن يزيد أنه قال: أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، قال: «وقد كان القارئ يقرأ بالمئتين، حتى كنا نعتمد على العصيّ من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في بزوغ الفجر»[٤٠]. وعن عبدالله ابن أبي بكر قال: سمعت أبي يقول: كنا ننصرف في رمضان، فنستعجل الخدم في الطعام مخافة الفجر»[٤١]. هذا ليلهم، أما نهارهم فلم يكن يختلف - من حيث العمل والإنتاج والعبادة - عن نهار سائر شهور العام، بل ربما كانوا يجمعون إلى الصيام أعمالاً شاقة، كالجهاد والغزو، هذا مع قلة الأكل، وشدة الحر، وعدم وسائل الرفاهية المنتشرة اليوم. وترى المسلمين - اليوم - في النهار صرعى في البيوت والمساجد، كأنهم مخدرون في غرفة العمليات، وإذا حضرت الصلاة قاموا إليها كسالى يتثاءبون من الكلال، ولا يذكرون الله إلا قليلاً.

فإذا دخلت العشر الأواخر لم تر الأبدان الخفاف التي أضناها صوم النهار، ولوَّح وجوهها قيام الليل، وطول الذكر، واشتغال القلب بالفكر، فهي خاشعة

منذ عقود يستميل المسلمين نمط من التفكير يجعلهم لا يطربون إلى سماع شيء من قبيل مجاهدة النفس، وكسر شهواتها، والخلوة، والذكر، والتزكية، ويستميلهم الحديث عن وسطية الإسلام، وعدله بين الروح والجسد، والتمتع بطيبات الدنيا وزينتها

مستكينة، حزينة على وشك رحيل شهر الرحمة والمغفرة، لكنك ترى الأسواق تعج بالباعة والمتسوقين، ويشتد الزحام والضجيج استعدادًا ليوم الزينة، ويكثر الإسراف والتبذير والمباهاة بشراء الثياب وتجديد الأثاث، ويُنسى رمضان وتُنسى العبادة، ويُنسى فضل العشر الأواخر، وتصير المدن مهرجانات لصنوف البضاعة، ويوصل الليل بالنهار. وفي يوم العيد لا ترى ما يستوجبه توفيق الله لأداء ما افترض من التواضع والانكسار، وترى يومًا منقطع العلاقة برمضان كل الانقطاع، في كل شيء، وترى المتكلمين من الوعاظ لا يتكلمون إلا عن الفرح وشرعية إظهاره، كأنما يسوغون للعوام ما يأتون، ولا تسمع واحدًا منهم يقول كما قال الحسن البصري في يوم فطر، وقد رأى من الناس شيئًا مما يُرى منهم اليوم: «إن الله - تبارك وتعالى - جعل رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون. أما والله أن لو كشف الغطاء لشُغل محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته عن ترجيل شعر، وتجديد ثوب»[٤٢].

وهذا فقه الحسن البصري، أن يذكر للناس المعاني التي يغفلون عنها، ويعظهم بما يكفكف من غرب نزواتهم، لا أن يحدِّث بما يزين لهم التمادي فيما هم فيه.

وأمر آخر يخرج به رمضان عن ماهيته، هو رواج سوق سلاح الأطفال، وما يستتبعه ذلك من أذى وتنغيص لحياة الناس، لا يبلغه الوصف إذ يقضي الناس شهرًا

وهم في مناورة حربية، تطلق فيها الصواريخ، وتقذف القنابل، وتزأر الرشاشات، وتنتشر رائحة البارود، فلا ترى إلا سماء تلمع، وأرضًا تشتعل، وانفجارًا يدوي، فيوقظ النائم، ويُفزع الغافل، ويؤذي المصلي والذاكر، ويُقطع القارئ والباحث.

ويتبدى في هذا المهرجان الحربي العابث صنف من أصناف شهوات النفس، هو جشع التجار الذين لا يبالون بما ينال عباد الله من ضرر ما يبيعون، ولا يقيمون لشهر العبادة المعظم، وزنًا، ولا يرعون حرمة، ما دام ذلك كله يعود عليهم بنفاق البضاعة.

وعجيب أن يذر الناس أبناءهم يأتون من الأذى ما يأتون، في شهر كان يجب أن يُكف فيه الأذى أكثر مما يكف في غيره، بل يعينونهم على الأذى بالمال لترفيههم ومسرتهم في «شهر المسرات والرفاهية»، ولا يرون أنهم يحملون أوزار ما يصنع أبناؤهم، لعونهم بالمال، وسكوتهم عما يفعلون.

وإذا قاس المرء رمضان هذا الزمان بسائر شهور العام استطاع أن يقول - وهو لا يخشى من منصف خلافًا - إنه أكثر شهور العام إثمًا وإسرافًا وضجيجًا، ومضارّة للخلق، وركضًا في ميدان الشهوات، وكسلاً، ومخالفة للفطرة، وأقلها إنتاجًا. وإن شياطين الجن التي قد صفدها الله فيه عن الناس، عونًا لهم على أنفسهم أطلق الإنس من أنفسهم شياطين أشرس منها وأضر، فأبلت بلاءً لا يبليه شياطين الجن في سائر العام.

قد يُعترض على هذه التزكية بأمرين: أنها أقرب إلى طبائع الملائكة منها إلى طبائع البشر، وأن الكون لا تمكن عمارته، المأمور بها شرعًا - إذا غلبت على أخلاق الأمة. فبعض الغرائز السلبية في الإنسان إيجابية من بعض النواحي، وهي الباعثة على عمارة الأرض، وهذه التزكية تسلبها

ومنذ عقود يستميل المسلمين نمط من التفكير يجعلهم لا يطربون إلى سماع شيء من قبيل مجاهدة النفس، وكسر شهواتها، والخلوة، والذكر، والتزكية، ويستميلهم الحديث عن وسطية الإسلام، وعدله بين الروح والجسد، والتمتع بطيبات الدنيا وزينتها. وهو أمر حسن، ربما دعت إليه دواع حضارية، وأسباب دعوية، ولكن الأولوية الآن في خطاب المسلمين المتدينين لمجاهدة النفس وتزكيتها؛ لما يتعاور حياتهم من أسباب الفساد. والتمتع بالحلال من مباهج الدنيا ليس هو ما يحتاجون إليه؛ لأنهم يفعلونه من غير حاجة إلى أن يُدعوا إليه، وتقتادهم إليه طباعهم. ثم إن التمتع بمباهج الدنيا - وإن حلّ - ليس مما تُزكى به النفس، ألبتة، وقد تزكى بالاقتصاد فيه، أو العدول عنه إلى حين. وقد كان الصالحون من السلف يتحاشاه بعضهم، ويخشونه على أنفسهم، كما تقدم. روى أحمد بن حنبل عن الحسن البصري أنه قال: «والله لقد أدركت أقوامًا، كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم»[٤٣].

وإذا كان العصر عصر إسراف، وغلو في الشهوات - بلا خلاف - والغالب على أكثر الناس عدم الاقتصاد، وقلة العناية بالتزكية - فينبغي أن يكون الغالب على المربي والفقيه الترغيب عما هم عليه إلى ضده؛ لعله يستطيع حملهم على التوسط.

والمسلمون - اليوم - في حاجة إلى التزكية؛ لأن الحياة المادية المعاصرة صبّت في نفوسهم من رذائلها ما زادها فسادًا، ونزع عن عبادتهم روحها، فصيرها رسومًا وظواهر قليلة الأثر. تمرُّ على العالم يحدث فلا تسمع كلمة متصلة الأسباب بالله، ويملأ أذنيك هدير شقائق الخطباء المفوهين، فتستفيد حُكمًا، أو مثلاً، ولكن لا يخلص إلى قلبك منهم ما يحركه؛ لأنك تسمع عبارات مكرورة، ملتقطة من بطون الكتب، ولم ينفثها قلب مكلوم، ولا أخرجها فكر ينظر بنور الله. وينوح النائح على المنبر فلا يبلغ من القلوب مبلغًا، بل ربما استثقلته، وذكرت به قول عيسى بن راذان: «يأتي على الناس زمان، يسكن الشيطان في أعين الناس، فمن شاء أن يبكي بكى»[٤٤]. وقول عمر بن ذر: «ليست النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى»[٤٥].

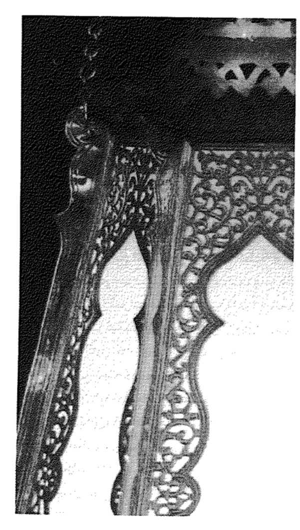
وهذه ظاهرة يشترك بعض الصالحين في الشكوى منها منذ حين. فقد قال الشاعر الهندي جكر مراد آبادي منذ زمان: «ما أروع كلمات الخطيب، وما أجمل

تعبيره، ولكنني لا أجد في عينيه بريق الحب، ولا أقرأ في وجهه نور الإيمان، وسيما الحنان»[٤٦]. وقال بديع الزمان النورسي: «لقد استمعت إلى الوعاظ، فلم تؤثر في نصائحهم ووعظهم»[٤٧].

وأفعال المسلمين - في الجملة - ليست إلا ككلام الوعاظ، فالصلاة - مثلاً - تشهدها الأشباح دون الأرواح؛ وتُترك القلوب تهيم في أودية الدنيا، وأزمتها بيد الشيطان، فإذا قُضيت الصلاة، خرج «المصلي» يفسق، ويكذب، ويخدع، ويرشو ويرتشي، ويصعِّر خده للناس، ويسعى في مضرة إخوانه؛ لأن الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر هي صلاة القلوب موطن الصلاح والفساد، أما الأبدان فتبع لها، والقلوب لم تشهد الصلاة.

والمسلمون في حاجة إلى التزكية من جهة نفعها المادي - أيضًا - فهي تطوي الزمن، وتخرق العادات، وتقرب البعيد؛ لأن الله يسدد عباده الصالحين، ويكشف لهم ما التبس، ويبصرهم بما هو خير لهم، على حين يكل غيرهم إلى نفسه: (إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[٤٨]، ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا﴾، ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾، وهي معية عون ونصر. وفي الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي». يقول ابن القيم: «فإذا أحبه قرُب من سمعه وبصره ويده ورجله، فسمع به، وأبصر به، وبطش به، ومشى به، فصار قلبه كالمرآة الصافية، تبدو فيها صور الحقائق على ما هي عليه، فلا تكاد تخطئ له فراسة، فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه، فإذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه»[٤٩].

وفي تاريخ المسلمين الأوائل ما يصدق هذا، فقد كان الصحابة لا يثبت لهم العدو أكثر من فُواق ناقة (ما بين حلبتيها)، وقال الله تصديقًا لذلك: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾، وقال: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾. ويشهد له فتح المسلمين ثلاثة أرباع الأرض في قرن واحد. وفي أثر عن أبي الدرداء أنه قال: إنما تقاتلون



الناس بأعمالكم[٥٠]. ويقول أحد العلماء: «في بعض كتب الله المنزلة على أنبيائه: من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء»[٥١].

وروي عن عثمان بن عفان قول بمعناه: لو أطعتم الله لأطاعكم، وهو فحوى «كنت سمعه...».

وفي مجال العلم كان العالم إذا صرف همته إلى التأليف فُتح له، فوضع القواعد والأصول، فجاء عمله متقنًا، مع أنه لم يُسبق إلى التأليف فيه. ويضع النظريات، ويدلل عليها بوسائل متواضعة.

فيبلغ مالا يُبلغ إلا بالآلات المعقدة. ويعرف الدارسون ما صنع الخليل بن أحمد في معجمه (العين)، وما صنع في العروض، وما صنع سيبويه في (الكتاب). يقول حمزة بن الحسن الأصفهاني: «وبعدُ، فإن دولة الإسلام لم تُخرِج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول، من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من العروض، الذي لا عن حكيم أخذه، ولا على مثال تقدمه احتذاه، ... ومن تأسيسه كتاب

(العين)، الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة، ثم من إمداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام[٥٢].

وليس مردُّ هذا إلى العبقرية وحدها، وقد أوتي الخليل منها نصيبًا وافرًا، وإنما إلى شيء آخر معها، هو أنه كان «أشد الناس تعففًا»[٥٣]، «وكان من الزهاد المنقطعين إلى الله تعالى»، «وكان يحج سنة ويغزو سنة»[٥٤]، «وقيل إن الخليل دعا بمكة أن يُرزق علمًا لم يسبقه أحد إليه، ولا يؤخذ إلا عنه، فرجع من حجه ففُتح عليه بعلم العروض»[٥٥].

ومعلوم أن نضج العلم لا يتأتى - في العادة - إلا بعد عمر، وتراكم جهود، ولكنه سر «كنت سمعه....»!

وإذا كان من ثمرات التربية أن تصنع امرأ صالحًا في مجتمعه فالتزكية تتجاوز به ذلك إلى أن يكون عضوًا صالحًا في الكون كله، يحسن إليه، ويحبه، ويشعر بروحه الخفي، ويتجاوب معه، ويتحد به في عبادة الله وتسبيحه؛ لأن التزكية تفتح حواس الصالحين وقلوبهم على خفايا الكون، فيعرفون منها، ما لا يعرف غيرهم، فيفهمون صلاته، ويسمعون تسبيحه، ويعرفون لغته، فتكون بينهم علاقة حميمة، يُحجب عنها من لم يبلغ منازلهم: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾، ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾، ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾، ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾، ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. فتبسم ضاحكًا من قولها﴾، ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد﴾.

وتتعلق المخلوقات بالصالحين، فتحبهم، وتستغفر لهم، وتبكي على فراقهم، فمصلى العبد الصالح من الأرض، ومصعد عمله إلى السماء، إذا مات بكيا عليه، فلذلك يقول الله عن آل فرعون بعد هلاكهم: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾. ولما ترك النبي صلى الله عليه وسلم الجذع الذي كان يخطب عليه بكى، حتي احتضنه رقةً له وترضية، فسكت. وفي الحديث: «أحد جبل يحبنا ونحبه»، «وإن الملائكة لتضع أجنحتها



لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء».

ويرى المرء في سلوك الربانيين مع الحيوان ومعاملتهم له أثرًا من التزكية، لا يراه في معاملة من لم يتزك من الرحمة، والشفقة، والإحسان، كقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»، وقول العالم الرباني عزالدين بن عبدالسلام: «حقوق البهائم والحيوان على الإنسان.. أن ينفق عليها نفقة مثلها، ولو زمنت[٥٦]، أو مرضت، بحيث لا ينتفع بها، وألا يحملها ما لا تطيق، ولا يجمع بينها وبين ما يؤذيها من جنسها أو من غير جنسها، بكسر، أو نطح، أو جرح، وأن يحسن ذبحها إذا ذبحها، ولا يمزق جلدها، ولا يكسر عظمها حتى تبرد وتزول حياتها، وألا يذبح أولادها بمرأى منها، وأن يفردها ويحسن مباركها وأعطانها، وأن يجمع بين ذكورها

وإناثها في إبّان إتيانها»[57].

وتروي كتب الرقائق أن رجلاً من الصالحين نام على ثوبه يوم الجمعة هرٌ، فانتظره طويلاً. فلما لم يستيقظ، واقترب وقت الصلاة قطع كُم ثوبه الذي كان تحت الهر، وتركه نائمًا، ولبس الثوب وخرج.

وقد يُعترض على هذه التزكية بأمرين: أنها أقرب إلى طبائع الملائكة منها إلى طبائع البشر. وأن الكون لا تمكن عمارته، المأمور بها شرعًا - إذا غلبت على أخلاق الأمة. فبعض الغرائز السلبية في الإنسان إيجابية من بعض النواحي، وهي الباعثة على عمارة الأرض، وهذه التزكية تسلبها.

وفي الحق أن هذه التزكية تتأتى في الأفراد أكثر مما تتأتى في الشعوب والأمم، ولكنها - في أضعف الأحوال - مثل ينبغي أن تطمح إليه نفوس المصلحين. وكل اقتراب منه مغنم وتقدم، وتعذر بلوغ الكمال كله، لا ينبغي أن يحمل على عدم السعي في بلوغ بعضه. وأمثل حقبة في تاريخ الإسلام هي تلك التي نال فيها المجتمع المسلم نصيبًا من هذه التربية (عصر النبي صلى الله عليه وسلم)، ولم يبلغ المجتمع كله فيها المثل الذي أراده النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد قال الله في المجتمع المدني: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق﴾، وعاتب الله المسلمين على بعض التقصير في آيات كثيرة، نحو: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة...﴾، ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية...﴾.

واستحالة جمع أمة على مثل، أو صعوبته لا تعني استحالة بلوغ الفرد إياه، فلا ينبغي - إذن - ترك السعي فيه في حق الأفراد، فالفرد مخاطب بالشرع من حيث هو فرد، وإن كان بعض ما كلفه لا يمكن فعله إلا في جماعة، وهو مسؤول عما كُلف، ومجزي به في الآخرة دون من جمعته به الدنيا: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا﴾، ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾، ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

فيجب - إذن - أن يسبق النظر في تزكية الفرد النظر في تزكية الجماعة، وأن يُسعى في تقويمه قبل السعي في تقويمها. وينبغي التفريق بين المصالح الدنيوية التي تقدم فيها الجماعة، والمصالح الأخروية

فالربانية والتزكية عون على عمارة الأرض. وليست مانعة منها، فالذي يعمل مدفوعًا بحب المصلحة فقط ليس كالذي يعمل مدفوعًا بها وبحب التقرب إلى الله. فدافع واحد لا يساوي دافعين. وعمل تعاضد فيه الروح والبدن ليس كعمل يتولاه البدن وحده، فكيف إذا اجتمع إلى الروح والبدن عون الله الذي هو فوق كل شيء؟

التي لا جماعة فيها: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾، ﴿يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾.

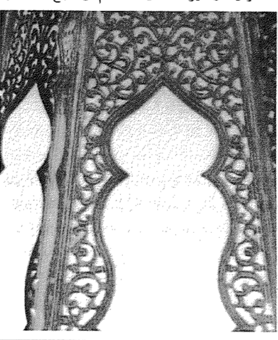
على أن الجماعة ليست إلا أفرادًا، وصلاحها على قدر من يكون فيها من الصالحين، والعكس بالعكس.

والمسلمون - بعد - في حاجة إلى القدوة من الربانيين الذين تُنْهِض حالهم، ويدل على الله فعالهم.

وعمارة الأرض لا تتأتى بالرهبانية والعزلة، لكن التزكية التي نريد ليست أخت الرهبانية، بل هي التربية الإحسانية التي تجمع قلب المؤمن على الله، وتزن أعمال الجوارح بشرعه، وليست انقطاعًا للصلاة والأوراد، فقد يكون من صنوف العبادة ما هو أمثل - أحيانًا - من هذه. وهذه التزكية لا تعوق عن عمل مشروع، مهما كان، ما دامت مراقبة الله مستحوذة على القلب.

وليس فينا من يجهل أن عصر بني أمية - مثلاً - لم يكن فيه حاكم، أغنى الناس حتى لم تجد الزكاة من يستحقها، إلا عمر بن عبدالعزيز، أتقى حكام بني أمية، وربانيته هي التي أدارت المال والسياسة على ذلك الوجه الذي أفضى إلى ما يُعرف من سيرته، فحاور الخوارج، فجنحوا إلى السلم طوال حياته، وملأ الله قلوب الكفار رعبًا منه، فكانوا يستجيبون لما يريد منهم، خوفًا منه، وإجلالاً له؛ فأبقى على بيت المال

ما كان يُنفق على الحروب وأوطار النفس. وأحسن تثمير المال، وعدل في توزيعه. وليس أحد من المربين الربانيين يطمح إلى أن يبلغ بأحد مقام النبوة، وكان بعض الأنبياء - على أنهم في أعلى مقامات الربانية - يديرون الممالك كأحسن ما تكون الإدارة، في السياسة والاقتصاد، والقضاء، والحرب، لم تشغلهم نبوتهم وعبادتهم عن شيء من ذلك. وكلنا نعرف كيف كانت مصر في عهد يوسف عليه السلام، وما بلغ ملك داود



وسليمان. ونعلم - أيضًا - كيف كانت سياسة عمر بن الخطاب، وماذا كان عمر.

فالربانية والتزكية عون على عمارة الأرض، وليست مانعة منها، فالذي يعمل مدفوعًا بحب المصلحة فقط ليس كالذي يعمل مدفوعًا بها وبحب التقرب إلى الله، فدافع واحد لا يساوي دافعين، وعمل تعاضد فيه الروح والبدن ليس كعمل يتولاه البدن وحده، فكيف إذا اجتمع إلى الروح والبدن عون الله الذي هو فوق كل شيء؟

والتزكية لا تميت الغرائز، ولكنها توجهها وتهذبها، بحيث تكون في مصلحة الفرد والجماعة، فهي معينة على عمارة الكون أكثر مما يعين عليه عدم التزكية. فالغضب - مثلاً - خلق مضر بصاحبه، مضر بمجتمعه، في الجملة، لكن بعضًا منه مفيد لهما، كالغضب لله، والغضب الذي يحمل على الدفع عن النفس، والغيرة على الحرمات. فالتزكية تنزع الغضب المضر، الذي هو انتصار للغرائز والشهوات، فهو صفة من صفات النفس السبعية، كما قال الغزالي، قد يفضي إلى النزاع والاقتتال، وإتلاف الأنفس والأموال، كما كانت عليه حال العرب في الجاهلية، وتبقي على الغضب الإيجابي الذي يُدفع به الشر، ويُصان الخير، وتعمر الأرض. وهكذا تفعل بسائر الغرائز.

الهوامش

(١) معجم مقاييس اللغة. ٤٠٧.
(٢) المفردات في غريب القرآن. ٢٠٥.
(٣) الموضع السابق.
(٤) إحياء علوم الدين، ٣/٣.
(٥) الموضع السابق.
(٦) الموضع السابق.
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢٧١/٢.
(٨) الرسالة القشيرية، ٨٧.
(٩) إحياء علوم الدين، ٤/٣.
(١٠) الروح، ٣٨٩.
(١١) إثبات العلل، ١٧٨.
(١٢) العزلة، ٦٣.
(١٣) السابق، ٧٠.
(١٤) صيد الخاطر، ٤٢.
(١٥) الوصايا، ١٠٤.
(١٦) صيد الخاطر، ٥١٩.
(١٧) السابق. ٤٤٤.
(١٨) فتح الباري، ٣٠/١.
(١٩) إحياء علوم الدين، ٢٧١/١.
(٢٠) السابق، ٦٢/٢.
(٢١) الرسالة القشيرية، ٢٢١.
(٢٢) عوارف المعارف (على هامش إحياء علوم الدين)، ٣٣٨/٣.
(٢٣) مختصر تفسير ابن كثير، ١٨١/١.
(٢٤) الرسالة القشيرية، ٣٨٠، وإحياء علوم الدين، ٦٦/٢.
(٢٥) قوت القلوب، ٧٣/١.
(٢٦) السابق، ٢٣/١.
(٢٧) الوصايا، ٢٩١.
(٢٨) صيد الخاطر، ٣٠٠.
(٢٩) تيسير الفقه (الصوم). ١٦١ وما بعدها.
(٣٠) صحيح مسلم بشرح النووي، ٤٠/٨.
(٣١) إحياء علوم الدين، ٨٢/٣.

(٣٢) فتح الباري، ١/ ٢٧١.
(٣٣) إحياء علوم الدين، ١/ ٢١٤.
(٣٤) السابق، ١/ ٢١٣.
(٣٥) السابق، ٢/ ٦٤.
(٣٦) السابق، ٢/ ٧٧ و٨٤.
(٣٧) السابق، ٢/ ٨٤.
(٣٨) قواعد التصوف، ٤٨.
(٣٩) الموطأ، ٧٥ وما بعدها.
(٤٠) السابق، ٨٥.
(٤١) السابق، ٨٦.
(٤٢) جمهرة خطب العرب، ٢/ ٤٩٠.
(٤٣) الزهد، ٢٦٠.
(٤٤) السابق، ٢٧٥.
(٤٥) السابق، ٣٥٧.
(٤٦) ربانية لا رهبانية، ٣٩.
(٤٧) منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي، ٦٢.
(٤٨) قال ابن جَزي: «يعني جهاد النفس... لأن القتال لم يكن مأمورًا به حين نزول الآية». (التسهيل، ٢/ ١٢٩). والآية مكية.
(٤٩) الروح، ٤٢٤.
(٥٠) الزهد، ١٣٦.
(٥١) لطائف المنن، ٨٥.
(٥٢) وفيات الأعيان، ٢/ ٢٤٥.
(٥٣) معجم الأدباء، ١٢٦٣.
(٥٤) السابق، ١٢٧١.
(٥٥) وفيات الأعيان، ٢/ ٢٤٤.
(٥٦) زمنت: مرضت مرضًا يدوم زمنًا طويلاً.
(٥٧) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ١٢١.

المراجع

- إثبات العلل. الحكيم الترمذي. تحقيق خالد زهري. الرباط: منشورات كلية الآداب بجامعة محمد الخامس. ط١؛ ١٩٩٨م.
- إحياء علوم الدين. الغزالي. مصر: مطبعة الحلبي. ١٣٣٧هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل. ابن جزي الكلبي. بيروت: دار الأرقم.
- تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة (الصوم). يوسف القرضاوي. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط٣؛ ١٤٢٢هـ.
- جمهرة خطب العرب. أحمد زكي صفوت. بيروت: المكتبة العلمية. ١٣٥٢هـ.
- ربانية لا رهبانية. أبو الحسن الندوي. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط٢: ١٤٠٤هـ.
- الرسالة القشيرية. أبو القاسم القشيري. تحقيق معروف زريق علي بلطه جي. دمشق: دار الخير. ط١: ١٤١٣هـ.
- الروح. ابن القيم. تحقيق عارف الحاج. بيروت: دار إحياء العلوم. ط١؛ ١٤٠٨هـ.
- الزهد. أحمد بن حنبل. بيروت: دار الكتب العلمية.
- صحيح مسلم بشرح النووي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط٣.
- صيد الخاطر. ابن الجوزي. تحقيق محمد عبدالرحمن عوض. بيروت: دار الكتاب العربي. ط١: ١٤٠٥هـ.
- العزلة. الخطابي. تحقيق ياسين السواس. دمشق بيروت: دار ابن كثير. ط٢: ١٤١٠هـ.
- عوارف المعارف. شهاب الدين السهروردي. (على هامش إحياء علوم الدين).
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني. القاهرة: دار الريان. ط١: ١٤٠٧هـ.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام. عزالدين بن عبدالسلام. بيروت: دار الريان. ط٢؛ ١٤١٩هـ.
- قوت القلوب. أبو طالب المكي. مصر: المطبعة الميمنية. ١٣٠٦هـ.
- لطائف المنن. ابن عطاء الله السكندري. تحقيق خالد العك. دمشق: دار البشائر. ط١: ١٤١٢هـ.
- مختصر تفسير ابن كثير. الصابوني. بيروت: دار القرآن الكريم. ط٧: ١٤٠٢هـ.
- معجم الأدباء. ياقوت الحموي. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ط: ١٩٩٣م.
- معجم مقاييس اللغة. ابن فارس. بيروت دار إحياء التراث العربي. ط١؛ ١٤٢٢هـ.
- المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني. تحقيق: سيد محمد كيلاني. بيروت: دار المعرفة.
- منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي. عبدالله محمود الطنطاوي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير. تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي. بيروت: المكتبة العلمية.
- الموطأ. مالك بن أنس. بيروت: دار النفائس. ط٢: ١٣٩٧هـ.
- الوصايا. الحارث المحاسبي. تحقيق عبدالقادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.
- وفيات الأعيان. ابن خلكان. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

رمضان.. انتفاضة الروح

عبدالكريم بكار - الرياض

شهر واحد في العام، له في النفوس وقع مغاير لكل الشهور. ولهذا فقد تفنن الكتّاب والمتحدثون في وصفه وتوصيفه، وسلكوا في سبيل بلورة فلسفة خاصة به كل مسلك. ذلك الشهر هو شهر رمضان المبارك. وعلى كثرة ما كُتب وقيل في ذلك إلا أنني أحس أننا مازلنا نحوم حول الحمى، حيث لا نجد في اللغة ما يسعفنا للولوج إلى داخله، ومع هذا فعلينا أن نستمر في المحاولة.

لم تنل عبادة من العبادات في الإسلام من الاهتمام الشعبي العام ما لقيه صيام رمضان. وذلك الاهتمام يصل إلى حد الاحتفال الزاهي البهيج. وقد ذكر ابن الجوزي في صيد الخاطر أن من الناس في زمانه من لو جلدته حتى يصلي ما صلى. ولو أنك جلدته حتى يفطر ما أفطر، مع أننا نعلم أن حرمة الصلاة أعظم من حرمة الصيام، واهتمام الشريعة بها أوكد. وما ذكره ابن الجوزي مستمر شيء منه إلى يومنا هذا في بقاع واسعة من عالمنا الإسلامي، حيث إنك تجد أهل قرية من القرى وقد فرط كثير منهم بالصلاة، فإذا جاء رمضان لم تكد ترى فيهم مفطرًا. ولا نعرف أسباب ذلك بدقة، ولكن ربما كان من بينها شعور الناس بأن المفطر في رمضان ضعيف الإرادة ناقص الرجولة. أو شعورهم بأن الفطر في رمضان يعبر عن نوع من الدناءة والخسة التي لا تليق بالإنسان السوِّي.

رمضان ليس إمساكًا عن الطعام والشراب.. في توقيت معلوم ومدة محددة، إنه أكبر من ذلك بكثير، إنه في الحقيقة أشبه بحملة روحية مكثفة وعامة، حيث الفرصة سانحة لانتفاضة الروح وانتشال الوعي من الغرق في المشاغل الصغيرة. ولعلي أبدي هنا حول هذه المسألة الملحوظات الآتية:

– علينا أن نعترف أن النخبة المثقفة لدينا تأثرت تأثرًا بالغًا بالثقافة الغربية في إهمال الشأن الروحي إلى درجة الاستغراب ممن يتحدث عن صفاء القلب أو محبة الله – تعالى – أو مراقبته أو الحياء منه... قد صار كثير من المثقفين يرون أن الحديث عن هذه الأمور لا يليق بالمفكر والفيلسوف والباحث الموضوعي! وهذا في الحقيقة ليس سوى صدى لانهيار المركز الذي احتلته الروح على مدار التاريخ. وإذا كان الغرب منسجمًا في موقفه من الروح مع فلسفته ورؤيته العامة للحياة، فإنه لا عذر لأهل التوحيد والإيمان في السير في هذا الاتجاه؛ حيث إن الإخلاص والصدق وحب الله – تعالى – والأنس به والشوق إليه وخوفه وشكره والثناء عليه... تشكل جزءًا جوهريًا من لباب التدين الحق، على ماهو معروف من النصوص والآداب الشرعية الكثيرة والمشهورة.

ثم إن القاعدة الروحية الأخلاقية في أي مجتمع، هي التي تتحمل الأثقال التي تنتج عن طبيعة الحياة المادية وعن إخفاق خطط التنمية المتعاقبة، وعن الانتكاسات التي تصاب بها الأمة في الميادين المختلفة. ومن هنا فإن علينا أن نخطو خطوة نحو الوراء من أجل إعادة الاعتبار لهذا الجانب من حياتنا الخاصة والعامة.

– من الواضح أن العولمة بما هي حركة لمراكمة المنافع المادية، تقلل من تأثير العقائد والأيدلوجيات في صياغة السلوك العام للناس. وهذا يحرم التربية الروحية من أطرها الإيمانية ومن مرتكزاتها العقدية. كما أن خطاب (ما بعد الحداثة) يحاول إسقاط الثوابت والمطلقات الدينية وغير الدينية، مما يجعل

الناس يندفعون في نهاية الأمر إلى عالم سائل، لا نسق فيه ولا مرجع. ولا معيار. عالم خالٍ من المقدرات والغيبيات. وهذا يدفع بالناس في اتجاه إضاعة مبادئهم وأهدافهم في آن واحد. هنا يأتي الصيام ليؤكد أن المسلمين مازالوا أوفياء لإيمانهم، ومن ثم فإنهم يردون على الطروحات الإلحادية بشكل علمي ملموس من خلال حرمان النفس من أكثر مشتهياتها إلحاحًا على نحو صارم وبالتزام حرفي، حيث تحسب بدايات هذه العبادة ونهاياتها يوميًا بالدقائق وليس بالساعات.

– يجب أن نعترف أن الجيل الجديد – وبعض القديم – يعاني من مشكلة متصاعدة، هي هذا الدفق الهائل من الصور والرموز المثيرة للغرائز، والذي تفيض به الفضائيات وشبكة الإنترنت والأفلام والمجلات المختلفة. إن ما يجري الآن من إشعال للسعار الجنسي، قد تجاوز الخيال حيث لم يقتصر الأمر على أن تفتح بعض الشعوب أبواب غرف نومها، ليرى العالم ما يجري فيها، بل تجاوزه إلى تقديم فنون من الإغراء بالرذيلة وممارستها، لا يعرفها ٩٠٪ من الناس! وتجاه هذه الوضعية الخطرة التي زادت في نسبة انتشار الزنا والخيانات الزوجية إلى حدود مخيفة، يدور حديث اليوم حول التوعية بمخاطر هذه الهجمة، وحول ضرورة تدريس (التربية الجنسية) في المدارس. ومع احترامي لما يقال في هذا الشأن إلا أن علينا أن نقول: إن التيار الشهواني، لا يقابل بالمزيد من الفكر ولا بالمزيد من الوعي، وإنما يقابل بإنشاء

يعتمد الصائم في القيام بهذه الفريضة العظيمة على الصفة التي تعتمد عليها التربية الخلقية، وهي تعدّ بحق الدعامة الأولى في بناء الأخلاق، وهي قوة الإرادة والقدرة على ضبط النفس

تيار روحي يقدم للفرد المسلم – ولاسيما الشباب – مسرات وجدانية، تفوق في إمتاعها وعطاءاتها، ما تقدمه الغريزة الجنسية. وشهر رمضان بما فيه من صيام وقيام وقراءة للقرآن، وبما فيه من اعتكاف وتشمير للعبادة في العشر الأخير.. يساعد في تأسيس هذا التيار، ويقدم سنويًا فرصة لتجريب هذا اللون من الطمأنينة والسكينة والشعور بمعية الله – تعالى – والأنس به، كما أنه ينبه الوعي إلى إمكانية البحث عن سعادة غامرة بعيدًا عن رغبات الجسد.

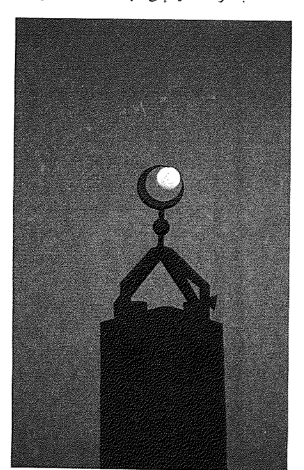
إننا حين ننظر إلى صيام هذا الشهر المبارك على أنه جهد مقدر في سياق إطلاق تيار روحي مقاوم للتيار الشهواني، فإن من المرجح أن نجعل للقربات في هذا الشهر معنى جديدًا يكسر رتابة الرؤية الحالية ويوسع آفاقها.

– إن انتصار أي ثقافة يتوقف على مدى ما تتمتع به من قيم تضفي عليها التألق والجاذبية. وإن أمتنا في أمس الحاجة اليوم إلى أن نتلمس المثل والقيم التي تجعل من ثقافتنا شيئًا ساميًا ومنسجمًا مع تعاليم دينها. ومن تلك القيم: التضحية والتكافل والغيرية وإجهاد النفس والتسامي على الحاجات المادية، والاهتمام بالحاجات الروحية إلى جانب حد أدنى من الالتزام الأخلاقي الاجتماعي، بالإضافة إلى تحديد جديد لمحتوى الحاجات الإنسانية على نحو يجعل إنعاش الأرواح وتطهير النفوس والسمو بالأخلاق ضمن أولويات تلك الحاجات. وهذا في الحقيقة ما تستهدف شعيرة الصيام تحقيق الكثير منه. الصائم يُثبت أنه قادر على كف نفسه عن الطعام والشراب من أجل تدعيم الجانب الروحي لديه. ومن الملاحظ أن معظم المسلمين يُخرجون زكواتهم في رمضان، كما أنهم يُخرجون كذلك صدقة الفطر في آخر الشهر، وترى إلى جانب ذلك الكثير من الصور المعبرة عن الاهتمام بالفقير على نحو ما نجده في موائد الإفطار في المساجد وغيرها. وهذا يعزز التكافل الاجتماعي، ويجعل حاجات الفقراء والمحتاجين حاضرة في الذهن، ويدل على أننا نقوم بعمل نبيل، وهو ترجمة المكاسب الاقتصادية التي يحصل عليها بعض الأفراد إلى مكاسب اجتماعية عامة. وقد ورد في بعض النصوص ما يشير إلى أن الصيام يستهدف تنمية خلق العفو والتسامح لدى المسلم، كما يستهدف تهذيب النفس

والترفع بها عن الرذائل، على نحو ما نجده في قوله - صلى الله عليه وسلم -: «الصيام جُنة، فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل، ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله، فليقل إني صائم»(١).

وقوله: «من لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(٢). إن إثباتنا لعمق فهمنا لهذه الشعيرة العظيمة يتوقف فعلاً على التغييرات الإيجابية التي نحدثها في أخلاقنا وسلوكاتنا وعلاقاتنا، وهذا ما علينا النجاح فيه اليوم.

- الصوم بوصفه عبادة كف (امتناع عن المفطرات) وليس عبادة فعل، يكتسب خصوصية ليست لغيره من العبادات. وتلك الخصوصية، هي البعد عن الرياء، حيث لا يستطيع الناس معرفة تلبس المسلم بهذه العبادة من خلال سلوكه. ومن هنا فإن الصائم يشعر أن الصيام عبارة عن أمانة أو سر بينه وبين ربه - سبحانه - وقد أشار إلى هذا المعنى قوله - صلى الله عليه وسلم -: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف. قال الله



- تعالى -: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه من أجلي»(٣).

وهذا على مقدار ما يجعل رقابة المجتمع على الصائم ضعيفة وغير مجدية، يعزز الرقابة الذاتية لدى المسلم، وينمي لديه الشعور بالمسؤولية تجاه هذه الفريضة.

إن الصيام من هذه الزاوية يشكل فرصة لتدعيم الوازع الداخلي (الضمير) لدى الصائم. ويأتي هذا التدعيم بسبب ما تقدمه طبيعة الصيام من فرصة للاختيار. وتشتد الحاجات إلى هذا اليوم. ولاسيما في البيئات الضعيفة، حيث يختل التوازن الذي ينبغي أن يقوم بين الرقابة الذاتية والضبط الاجتماعي لصالح الأخير؛ إذ إن من الملاحظ أن الفرد بسبب خوفه من المجتمع يكون له سلوكان: اجتماعي وشخصي. ويكون خيرهما ما يظهر للناس! الصيام يساعد على استعادة التوازن في هذه المسألة، حيث يندفع الصائم إلى ترك الملذات والشهوات بسبب خوفه من الله - تعالى - ورجائه لما عنده، وليس بدافع خوف الناس ورقابتهم عليه.

- يعتمد الصائم في القيام بهذه الفريضة العظيمة على الصفة التي تعتمد عليها التربية الخلقية، وهي تعدّ بحق الدعامة الأولى في بناء الأخلاق، وهي قوة الإرادة والقدرة على ضبط النفس. إن الصائم يُثبت كل يوم وخلال شهر كامل أنه يملك أن يقول (لا) في وجه أكثر غرائزه إلحاحًا عليه. وإذا تأملنا في أوضاعنا الشخصية وجدنا أن المشكلة الجوهرية التي نعاني منها، لا تتمثل في نقص الإمكانات والقدرات، وإنما في ضعف العزائم والإرادات. إن في إمكان المسلم أن يفعل الكثير من الأشياء الجيدة كل يوم لكنه لا يفعله بسبب الميل إلى الدعة وفقد ما يحتاجه تحمل المشاق من إرادة وتصميم.. ولذلك فإن المكن القول: إن مشكلة المسلمين اليوم ليست مع المستحيل، وإنما مع الممكن. وليست مع العسير، وإنما مع اليسير. والصائم يقدم نموذجًا في رمضان لما يمكن أن يفعله المرء حين يحرر إرادته من سلطان شهواته. ولا يكتفي الصائم بهذا، وإنما يخطو خطوة عظيمة أخرى، حين يجعل إرادته في حالة استسلام تام لإرادة الله - سبحانه - من خلال المبادرة إلى التقرب بأنواع القربات. وهذا يشكل جوهر التدين

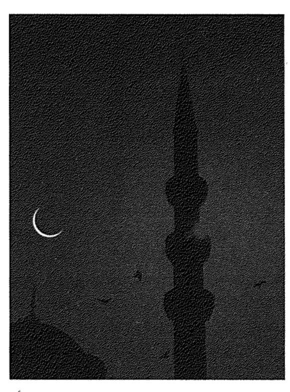
الحق. هذه الوضعية تساعد على الإجابة عن السؤال الصعب: «من يربي المربي»؟ في رمضان يقوم المربي من أب وجد وأم ومعلم ومعلمة.. يقوم هؤلاء بتشذيب أنفسهم وتصحيح أوضاعهم والاقتراب من الحالة التي ينبغي أن يكونوا عليها، وبذلك يصبحون أكثر لياقة للقيام بمهمة التربية.

- هذا هو رمضان في حقيقته وفي طبيعته الأصلية، فكيف يجسده المسلمون في واقعهم العملي؟ وإلى أي حد يستفيدون فعلاً من عطاءاته المتنوعة؟

لابد من القول: إن رمضان يظل الشهر المميز والخاص على الرغم من ابتعاد كثير من المسلمين عن جوهره وتفريغهم له من العديد من مضامينه ودلالاته. إننا جميعًا نشعر بأننا نلنا شيئًا من نفحات رمضان، وفاض علينا الكثير من خيراته وبركاته. هذا شيء ليس موضع جدال، لكن إذا قارنا بين الأصل والصورة والجوهر والمظهر، فسنجد أن السواد الأعظم من المسلمين يمارسون نوعًا من الالتفاف على الصيام، ليحولوه إلى شيء شكلي وذي تأثير مؤقت. والواقع أن الناس على مدار التاريخ كانوا يجدون الفرصة للقفز على الواجبات والتنصل من المسؤولية تجاهها بطريقة من الطرق. ويحضرني في هذا ما يذكرونه من أن أحدهم قال لأعرابي: جاءك رمضان! فقال: نقطعه بالأسفار! إن كثيرًا من شباب المسلمين اليوم يقطعون ليل رمضان بالسهر إلى ما قبيل الفجر مشغولين بكل شيء إلا العبادة. أما النهار فإنهم يمسكون فيه عن الطعام والشراب على نحو طبيعي لأنهم ببساطة يغطون في نوم عميق!

وكان من المفترض والمأمول أن يوفر الصائمون في رمضان نحوًا من ٣٠٪ من إنفاقهم على الطعام والشراب بسبب الاقتصار على وجبتين عوضًا عن ثلاث وجبات، لكن واقع الحال ينبئ بغير ذلك، حيث ينفق كثير من الأسر في رمضان مثل أو ضعف ما ينفقونه في غيره. إنهم يمسكون عن الطعام في النهار ليأكلوا في الليل أكثر مما أمسكوا عنه!

وقد تجاوز الأمر ذلك إلى أن بعض السلوكات السيئة صار شبه مقصور على هذا الشهر المبارك، حيث أنشأ بعض الناس في بعض الدول الإسلامية ما يسمى بـ «الخيام الرمضانية» وهناك يستمر الغناء والرقص إلى آخر الليل في احتفالية مجونية! وتوحي

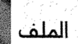


الفضائيات ووسائل الإعلام المختلفة للناس بأن رمضان ضيف ثقيل، ولهذا فإنهم يكثفون في هذا الشهر الإنتاج الفني والفكاهي كي يلطِّفوا من وطأة الصيام!

قد ثبت أن من طبيعة الناس أن يجعلوا (الدين) بتعاليمه وشعائره جزءًا من ثقافتهم العامة عوضًا عن أن يكون مهيمنًا عليها وموجهًا لها. وهذا ما يفعله كثير من الناس في رمضان! وثبت كذلك أن الأمم حين تكون في حالة جمود أو تخلف حضاري، فإنها لا تملك الإرادة، كما لا تملك الخبرة الكافية للاستفادة من مبادئها وتوظيفها في النهوض بأوضاعها. وهذا ما يلاحظه المتتبع لتعامل المسلمين مع الكثير من التعاليم والعبادات. فهل نحن قادرون على أن نجعل من رمضان محطة لإعادة شحن قوانا الروحية وفرصة للاستدراك على قصورنا الاجتماعي من خلال توفير جزء من نفقاتنا وتوجيهه لمساعدة العناصر الأكثر حاجة؟ هل نحن قادرون على جعل رمضان بداية لرحلة تغيير على الصعيد الشخصي، والتخلص بالتالي من مشاعر العجز والإحباط المنتشر في كل مكان؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة متروكة لكل واحد من القراء الكرام ليصوغها بطريقته الخاصة ورؤيته الشخصية.





الروح والتربية الروحية في الفلسفات الغربية المعاصرة

محمد عثمان الخشت* - مصر

* أستاذ فلسفة الدين والمذاهب المعاصرة- جامعة القاهرة .

احتارت فيها العقول، وتباينت في طبيعتها استنباطات الفلاسفة، وتوقف عن تحديد جوهرها الدين؛ فماهيتها لا تدركها الحواس ولا يصل إليها العقل؛ هذا العقل المجبول على الادراك في حدود الزمان والمكان، والمعد لإدراك المحسوس أو الفيزيائي أو المادي فقط، أما الروح فليست كذلك. إنها لامادية، وغير فيزيائية، إنها في مقابل الجسد بغرائزه الحيوانية. وفي مقابل الطبيعة بما فيها ضرورة، وفي مقابل المادي بما فيه من امتداد، وتتعارض مع ما هو محسوس بما فيه من تركيب وكثرة، غير مركبة، ولذا لا تتحلل؛ ومن ثم لا تفنى.

رغم كل هذه التمييزات التي تميز بين الروح والمادة، فإننا لم نعرف طبيعتها بعد مثلما نعرف طبيعة المادة، فكل التمييزات السابقة هي تمييزات سلب[1]. حتى الدين نفسه لم يحدد طبيعتها؛ فهي أمر الله ومن الله؛ وهل استطاع أحد من قبل أن يعرف ما الله: ﴿ليس كمثله شيء﴾[2]؟ بل هل استطاع أحد أن يقدم برهانًا حاسمًا يحدد طبيعتها وماهيتها، برهانًا في قوة براهين القضايا الفيزيائية والرياضية؟

يقف تاريخ الفكر الإنساني شاهدًا على ذلك، وتقف مجادلات العلماء والفلاسفة حتى الآن مؤشرًا على الصدق النهائي للقضية القرآنية ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[3]؛ فالعلم الإنساني علم مقصور على عالم الظواهر كما قال الفيلسوف الألماني كنت، أما عالم الشيء في ذاته: عالم ما بعد الطبيعة الذي تنتمي إليه الروح، فخارج كلية عن حدود الإدراك والعلم الإنساني؛ لأن ماهية الروح خارج حدود التجربة الإنسانية، ولا يمكن للعقل أن يستدل من الأشياء الطبيعية مثل الجسم على ماهية الروح المتميزة تمام التميز عن عالم الطبيعة الفيزيائية؛ لأن الروح لا تمثل هنا موضوعًا لتجربة ممكنة في عالم الظواهر. فمبدأ السببية - الذي تقوم عليه العلوم - لا يصدق إلا في عالم الظواهر الذي يعد الحقل الوحيد للتجارب، وليس له استعمال خارج هذا الحقل، كما أنه ليس له دلالة أو معنى خارجه.

حيرة الفلاسفة

لذا اختلف الفلاسفة حولها في كل العصور: إثباتًا ونفيًا. وتعددت مواقف المثبتين حول مفهومها وماهيتها: فتارة هي النفس مبدأ الحركة وسرها عند طاليس، وتارة هي العقل ولها طبيعة مادية خالصة كما تصورها ديمقريطس. وتارة هي جوهر بسيط خالد متميز كلية عن الجسم عند سقراط وأفلاطون. بينما تصورها أرسطو على أنها النفس مبدأ الحياة بوصفها كمالاً أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة، وهي ما به نحيا ونحس وننتقل في المكان ونعقل أولاً. واعتبر أرسطو النفس الناطقة أو العقل عنصرًا إلهيًا وخصه بالخلود، لكن نصوصه غير واضحة هل هذا الخلود شخصي أم أن هذا الجزء الإلهي يُعاد امتصاصه إلى مصدره الأصلي[4]. وفي العصور الحديثة اعتبرها ديكارت الجوهر المفكر المتميز عن البدن الجوهر المادي، وهي بسيطة لا تنقسم، ومن ثم لا تفنى بعد الموت، بينما الجوهر المادي قابل للانقسام. وتتفاعل النفس(=الروح) مع الجسم في الغدة الصنوبرية؛ ومع هذا فلم يفسر ديكارت كيف تعمل الغدة الصنوبرية بحيث تحول حركات الجسم إلى تمثلات عقلية، وكيف تتحول حركات الغدة نفسها إلى إدراكات في النفس، وكيف أن أفكار النفس وقرارات الإرادة العقلية الخالصة تؤثر في الغدة الصنوبرية، وكيف تحولها الغدة إلى

حركات وأفعال في الجسم؟ ورفض هوبز Hobbes (١٥٨٨-١٦٧٩) الروح كلية واعتبرها مفهومًا لا معقولاً ومتناقضًا، وقال في المقابل بجوهر مادي فقط، وعدَّ العالم كله ماديًا، أما الفكر فليس إلا حركة لجوهر مادي هو المخ[٥]. ويتصور سبينوزا الإنسان على أنه تعين للجوهر، والجوهر له ماهيتان: الفكر والامتداد، والإنسان كتعين لهذا الجوهر له ماهيتان: الفكر والامتداد. أي له جانبان، أو بالتعبير الدارج «عملة واحدة لها وجهان». ورأى أن العقل البشري لا يمكن فناؤه بصورة مطلقة، لكنه مترنح فيما يتعلق بالخلود الفردي. أما مذهب المناسبة عند مالبرانش Malebranche (١٦٣٨-١٧١٥) فقد أكد الاختلاف الجذري بين النفس والجسم، فالنفس والجسم جوهران منفصلان؛ ولا يوجد بينهما تفاعلات متبادلة. ويكمن تفسير العلاقة بينهما في أنه عندما تأتي فكرة للنفس فتريد تحريك الجسم لأداء فعل معين، يقوم الله بخلق هذه الحركة أو خلق هذا الفعل الموازي للفكرة النفسية. وقال لوك بوجود الروح المتناهي Finite Spirit، ويؤكد أن الجوهر الروحي مجهول الماهية وأنه مجرد حامل لعمليات التعقل والاستدلال والمشاعر المختلفة. ويرى ليبنتز أن الأرواح هي المونادات التي يتكون منها العالم، وفي المرتبة الأعلى تأتي المونادات الخاصة بالإنسان، وهي الأرواح أو العقول، التي تملك المعرفة العقلية القبلية، ويتسم إدراكها بالوعي الذاتي، والذاكرة، لكنها تتسم كذلك بوجود إدراكات لا واعية عندها. كما تتميز

■■ في الوقت الذي رفضت فيه ما بعد الحداثة كل هذا، فإنها لم تقدم بديلاً مذهبيًا يمكن الركون إليه، بل قدمت عدم اليقين، ودعت إلى الفردية المطلقة والنسبية المفرطة، وقلب نظام القيم والأخلاق والتربية، وفقدان الثقة في العقلانية وكل دين أو مذهب يدور على معنى أو مركز أو محور ثابت مثل الروح أو الضمير أو الله ■■

النفس العاقلة بالقدرة على التأمل، وتتمتع بالمقدرة على معرفة العالم. أما باركلي فقد أنكر وجود المادة، وقال بجوهر روحي فقط. ثم جاء هيوم فأنكر جوهرية المادة والنفس، وقال إن ملاحظة الطبيعة تدل على فناء الفرد.

واستمرت آراء الفلاسفة تتنازع دون حسم بعد هيوم، وحاول روسو إنقاذ الإيمان، كما حاول كنت ومن بعده هيجل (١٧٧٠-١٨٣١) كل على طريقته. لكن كانت الغلبة في القرن ١٩ للإنكار. لاسيما مع ظهور: الوضعية، والتطورية، والمادية الماركسية، وفلسفة القوة. ثم تأرجحت مواقف الفلاسفة حول مفهوم الروح، مع نهاية القرن ١٩ وعلى امتداد القرن ٢٠، حسب منهج ومنظور المذهب الذي يطل من خلاله الفيلسوف على العالم وما وراءه: البراجماتية، وفلسفة الحياة، والتحليلية، والفينومينولوجية، والواقعية الجديدة، والوجودية، والوضعية المنطقية، والبنيوية، والتفكيكية، أو فلسفات ما بعد الحداثة بشكل عام... إلخ. ورغم الاختلافات بين هذه التيارات، فإن المفهوم الأغلب للروح في اللغة الفلسفية المعاصرة عند المثبتين هو «الروح هي الحقيقة المفكرة عمومًا، هي فاعلة للتمثل بقوانينه وفاعليته الذاتية، بوصفه مقابلاً لموضوع التمثل.. وهو يتضمن عدة دلالات:

- الروح في مقابل المادة...
- الروح في مقابل الطبيعة...
- الروح في مقابل الجسد...»[٦].

بين وضعية وأخرى: الغلبة للانكار

وإذا بدأنا بداية مبكرة بالتيارات الوضعية التي اتخذت أشكالاً متعددة في الفكر الغربي، نجد أن البداية كانت مع الوضعية الاجتماعية عند أوجست كونت Auguste Comte (١٧٩٨-١٨٥٧) الذي رفض مفهوم الروح كما تبلور في تاريخ الدين أو تاريخ الفلسفة؛ وأكد على انحصار العلم في دراسة الظواهر العينية، ورفض ما بعد الطبيعة، وأنكر وجود الروح الفردي، واعتبر أن الإيمان بالروح أو الأرواح من بقايا الدين الذي يمثل المرحلة الأولى التي مرت بها البشرية في تطورها، عندما كانت في طفولتها، وأن هذه المرحلة أعقبتها مرحلتان: المرحلة الميتافيزيقية، ثم المرحلة الوضعية. وذلك حسب قانون المراحل الثلاث الذي قال به كونت ومفاده أن البشرية مرت

في فهم وتفسير الطبيعة بمراحل ثلاث، أولها: المرحلة اللاهوتية التي يفسر فيها الإنسان الطبيعة عن طريق تعليل حوادثها بتدخل إرادات تشبه الإرادة الإنسانية، لكنها من حيث القوة والمدى أكبر من إرادته، وهي إرادات الأرواح أو الآلهة. وقد حدث في هذه المرحلة نفسها تطور داخلي؛ حيث كان دين الإنسانية الأول هو الفتشية Fetishism، وتمثلت في عبادة الفتش Fetish وهو شيء له قوة سحرية أو جنية أو روح فوق طبيعية، مثل حيوان ما، أو جبل ما. وكان يعتقد أن كل الأحداث وراءها أرواح خيرة أو أرواح شريرة، فالأرواح منبثة في الطبيعة، ومحركة لها. ثم عبدت الإنسانية النجوم والكواكب، وقالت بتعدد الآلهة، واستخدمت هذه الآلهة في تعليل الأحداث والظواهر. وهذه الآلهة شبيهة بالأرواح، لكن عددها أقل، وقدراتها أكبر. ثم تطورت الإنسانية وسعت نحو تفسير أحادي للكون ولظواهره، وهنا وصلت إلى التوحيد، حيث ضمت الآلهة في إله واحد له صفات وقدرات كل الآلهة. أما المرحلة الميتافيزيقية فيفسر فيها الإنسان الطبيعة بردها إلى القوى الميتافيزيقية المجردة كعلل للظواهر.



في حين تعتمد المرحلة الوضعية على وصف الظواهر والأحداث وصفًا استقرائيًا، وبيان علاقاتها المباشرة، ومعرفة القوانين الطبيعية الثابتة، دون تفسيرها أو ردها إلى علل دينية أو ميتافيزيقية. وكلما تقدمت الإنسانية تخلصت تدريجيًا من الفكر الديني. ودعا كونت إلى دين وضعي a positive religion يضع فيه عبادة الإنسانية humanity محل عبادة الله، حيث تكون الإنسانية هي موضوع العبادة object of worship[٧]، وحيث يعيش الإنسان من أجل الآخرين لا من أجل إله شخصي! ودعا كونت إلى دراسة الأخلاق بمنهج علمي اجتماعي وضعي، ونبذ الدراسة اللاهوتية والميتافيزيقة للأخلاق، واعتبر الأخلاق نسبية متغيرة، ودعا إلى أخلاق وتربية أخلاقية تحقق مصلحة النوع الإنساني علميًا. ومن ثم لا مجال للتربية الروحية في فلسفته.

وللوضعية أشكال أخرى متعددة، من أهمها الوضعية العلمية عند إرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢) الفيلسوف الفرنسي الذي يؤمن بخلود الروح الكلي التي تضم الأرواح كلها دون فرق بين روح وأخرى[٨]. وينكر وجود الروح الفردي، لأنه لا وجود لحقيقة لا تنبثق من مختبر أو من خزانة كتب؛ فكل ما نعرفه إنما نعرفه عن طريق دراسة الطبيعة والتاريخ. ونظرًا لأن العلم لا يستطيع إثبات خلود النفس الفردية، فإن رينان لا يؤمن بالخلود الفردي، وإن كان يؤمن بتطور العالم تطورًا يتيح للروح الكلي أن يظهر في النهاية باعتباره الهدف والعلة الغائية للعالم. ومع ذلك يرى أن أهم عقيدتين من عقائد الدين، أعني وجود الله والنفس، فرضان نافعان؛ وعلينا أن نسلك كما لو أن الله والنفس موجودان.

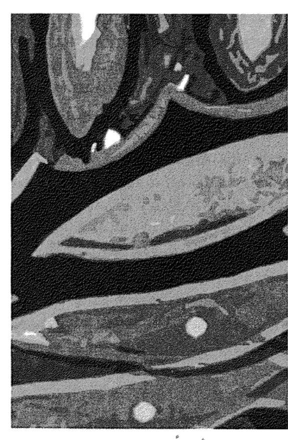
ولا معنى للحديث عن التربية الروحية في المذاهب الوضعية؛ فهي بطبيعتها غير روحانية، لكن في حالة رينان نلاحظ أنه رغم انتباذه للعقائد الكاثوليكية، فقد ظل محتفظاً بحساسيته المسيحية الموروثة؛ حيث يرى أن اكتشاف أصول المسيحية هي المهمة التي ينبغي أن ينتدب نفسه لها لأن المسيحية هي نموذج الديانة الروحية التي تعطي الفرصة للإنسان لكي يرقى فوق الابتذال والسوقية. ويؤكد في «ذكريات الطفولة والشباب» أن كل ما لديه إنسانيًا وأخلاقيًا يرجع للقديس «سيلبيس».

من المادية إلى التطورية: الروح تركيبة مادية متطورة

شغلت التيارات المادية مساحة كبرى من الفلسفات الغربية المعاصرة، وهي ترجع الظواهر الكونية إلى أصل واحد هو المادة Matter، وتعتبرها أساس الوجود من حياة وحركة، بل منبع المعارف والوعي والعقل[٩]. ومن ثم تنكر وجود الروح، وتعتبر النفس تركيبة مادية متطورة، ولا تعترف بأن العقل له طبيعة مستقلة عن الجسم، بل تعتبره درجة عليا من درجات المادة. وللمادية تيارات متعددة أهمها المادية الذرية القديمة عند ليوقيبوس وديمقريطس، والمادية الفرنسية في القرن الثامن عشر، عند لاميتري(١٧٠٩-١٧٥١م) الذي أكد في كتابه «الإنسان الآلي» على مادية الإنسان وأنه مجرد آلة بدون روح، وهو ما أكده هولباخ (١٧٢٣-١٧٨٩م) الذي أنكر في كتابه «نظام الطبيعة» الروح والآخرة، وقال إن عدم وجود حياة أخرى يحرر الإنسان من سلطة القساوسة والكنيسة[١٠]. أما أقوى أشكال المادية فهي المادية الجدلية التي قال بها ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) وهي «تنفي أن يكون للأشياء جوهر أخير، سرمدي ومتجانس، وهي ترى أساس العالم وماهيته في المادة المتحركة والمتطورة أبدًا: مجموعة لامتناهية من أشياء العالم الموضوعي وظواهره المتغيرة دومًا، والتي لا نهاية لها عمقًا»[١١]. ومن ثم فالمادة المتحركة والمتطورة دومًا هي الجوهر[١٢].

وفي هذا السياق المنكر لوجود الروح ولكن على أساس مختلف، يظهر ماخ (١٨٣٨-١٩١٦)، حيث أنكر في كتابه «تحليل الإحساسات» الروح وغيرها من العناصر الميتافيزيقية والدينية كمصدر للمعرفة، واعتبر الإحساسات هي المصدر الوحيد للمعرفة، وزعم: «أن الألوان والأصوات والضغوط والأمكنة، والأزمنة (وهي ما نسميه في العادة الإحساسات)هي العناصر الحقيقية للعالم»[١٣]. أما أفناريوس(١٨٤٣-١٨٩٦)، فهو شريك لماخ في النزعة النقدية التجريبية، ويؤكد في كتابه «نقد التجربة المحضة» أن التجربة المحضة هي مصدر المعرفة الوحيد، وأن الموضوعات الميتافيزيقية أو الدينية أو المثالية زائفة، مثل مسألة الروح.

وفي المذاهب المادية والنزعات النقدية التجريبية



التي لا تعترف أصلاً بوجود الروح، نجد معاداة للتربية الروحية، وقد ظهر هذا جليًا في الاتحاد السوفييتي قبل انحلاله وفي دول أوروبا الشرقية؛ حيث تم محاصرة الدين حصارًا شديدًا.

وفي القرن ١٩ ظهرت نظرية التطور عند دارون(١٨٠٩-١٨٨٢) الذي نظر إلى الإنسان نظرة «آلية» و«مادية»، واعتبر أن الفرق بين الحيوان والإنسان ليس فرقًا كيفيًا بل فرقًا كميًا في الدرجة فحسب. وفسر النفس والعقل تفسيرًا حسيًا، واعتبر أن الروح أو العقل ليس لهما حقيقة مستقلة، بل هما مجرد أدوات بيولوجية للمحافظة على البقاء. ومع هذا فقد اعتبر دارون نفسه «لا أدريًا» وليس ملحدًا. وفي الأخلاق رأى أن قانون البقاء للأصلح في مجال البيولوجيا، يصلح لتفسير أخلاق العصور الهمجية، لكنه لا يصلح لتفسير أخلاق عصور الحضارة والمدنية؛ لأنها تساعد الضعيف والمريض والمحتاج. ومن هنا فإنه اعتبر الأخلاق الإنسانية غير خاضعة لقانون التطور، لكن لا مجال عنده للتربية الروحية، ورفض الأساس الديني للأخلاق الحديثة. وسار على نهجه معظم فلاسفة التطور وأكثر الوضعيين والاشتراكيين الألمان، و«هؤلاء قد مكنتهم جرأتهم من رفض الدين

المسيحي وإنكار مبادئه، ولكنها خانتهم حين أرادوا – مسايرة لمنطقهم – أن يطبقوا قانون البقاء للأصلح على مجال الأخلاق، فواصلوا إيمانهم بالقيم الخلقية القديمة التي تكبر شأن الدعة والغيرية والمشاركة الوجدانية ونحوها من الفضائل... وجاء نيتشه فطالب في جرأة بتطبيق نتائج التنازع على البقاء على مجال الأخلاق»[١٤]. وانتقد التربية الروحية التي دعت إليها المسيحية واعتبرها قائمة على أخلاق العبيد، أخلاق العجز والحقد الدفين. ومن ثم لُقب بعدو المسيح. ودعا إلى أخلاق السادة القائمة على إرادة القوة، ومحو الضعف والضعفاء والقضاء على أخلاقهم أخلاق العبيد. واعتبر أن مقياس القيم هو إرادة القوة وليس اللذة أو المنفعة، وكان هذا امتدادًا لرأيه المنكر لوجود الروح الفردي وخلوده، لكنه من جهة أخرى قال بنظرية «العود الأبدي» التي تقول بالعودة من جديد، ثم الفناء والعودة إلى ما لا نهاية في هذا العالم لا في عالم آخر.

من البراجماتية إلى البرجسونية : عودة الروح

في هذا الجو من الإنكار ظهرت تيارات أعادت الاعتبار إلى الروح من زاوية أو أخرى؛ فهذا جيمس الفيلسوف البراجماتي، يؤسس موقفه من قضايا الإيمان على «إرادة الاعتقاد»؛ فالإنسان هو الذي يقرر الاعتقاد، وتكمن مسوغات هذا الاعتقاد في النتائج العملية المفيدة التي تترتب عليه، وليس في منشئه أو أصله[١٥]. ومن حق الإنسان أن يؤمن بعقيدة ما رغم عدم وجود أدلة عقلية عليها، ومن ضمنها الروح، إن استطاع أن يؤسس هذا الإيمان على الإرادة والرغبة. أما جيمس نفسه فيقبل الإيمان بالأرواح، بل يؤمن بإمكانية تحضيرها؛ حيث يجعلنا ذلك «نتصل بوجدانات أرواح غير منظورة ويوفر لنا من أسباب المساعدة ما يوفره المذهب الصوفي»[١٦].

في حين نظرت الشخصانية إلى الروح من زاوية أخرى، واعتبرت الطبيعة هي المجموع الكلي للأرواح الشخصية الفردية التي يعلوها الله. ومن أهم رواد الشخصانية رنوفييه (١٨١٥ – ١٩٠٣) الذي يرى أن «الشخص» هو المبدأ الروحي الرئيسي والجوهري في العالم. وقد اتخذت الشخصانية شكلاً روحيًا آخر في إنجلترا عند ج. غروت (١٨٦٥) الذي اعتبر الذات الإنسانية أساسًا للمعرفة والقيم، والإنسان في

وقد عجزت الفلسفات الغربية المادية والوضعية والحسية والوجودية بمختلف تياراتها عن تقديم بديل للدين، ونظرت للإنسان نظرة ضيقة الأفق، ولم تستطع تبيُّن الحاجات الروحية في الإنسان، ولم تقدم أي حل للمسائل الفلسفية الكبرى التي تشغل الإنسان

حقيقته روح وليس مادة. ويأتي إمانويل مونييه (١٩٠٥ – ١٩٥٠) على رأس التيار الشخصاني الفرنسي، وأنشأ مجلة «الروح» في أكتوبر ١٩٣٢، ودعا فيها إلى مناهضة الحضارة الأوروبية التي تقوم على المادية المفرطة، ولذا تعاني من أزمة روحية.

وثمة مجال للحديث عن التربية الروحية الشخصانية: فالمهمة الرئيسية ليست تغيير العالم، وإنما تغيير الفرد، أي دعم كماله الأخلاقي الذاتي الروحي. ولذا تدعو إلى التربية التي تقوم على تعليم المبادئ الأخلاقية الروحية، والتي تكرس للسلام العالمي، والتعايش السلمي، وتطالب بالديمقراطية، وتنبذ فكرة الحرب لأسباب دينية أو تجارية أو غيرها. ويرفض رنوفييه التربية التي تعتبر المنفعة غاية للسلوك، ويرى أن شعور الضمير بالرضا أو التأنيب هو الجزاء الأوفى على الفعل. ويؤسس التربية الروحية على العقل والحرية: فالعقل هو الذي يحدد مبادئ الفعل، و«الحرية هي الماهية الأخيرة والجوهر الأصفى للشخصية الإنسانية[١٧]». ودعا إمانويل مونييه إلى قيام التربية على ثورة روحية تعيد الوحدة بين الروح والمادة في الشخصية، وتتأسس على نزعة إنسانية تنظر إلى الشخص باعتباره كائنًا يعيش فى إطار اجتماعي كوني، وليس الشخص المنعزل فى فرديته وأنانيته: فالشخص الذى يتطلع إليه مونييه هو المتفتح على الأشخاص الآخرين فى المجتمع والكون ويتمتع بروح متسامحة إزاء كل الأديان، وهذا هو دور التربية الروحية. ولذا رفض الماركسية، والمادية بكل أشكالها[١٨].

أما التوماوية الجديدة، فهي من أكبر التيارات الروحية في الفلسفات الغربية المعاصرة، وأشهر أعلامها أدلر وماسكول وجاك ماريتان واتين جلسون. وهي فلسفة مسيحية تؤمن بالروح وخلوده، وقدمت نظرية أخلاقية في التربية الروحية ترفض الإخضاع العنيف للعواطف تحت قيادة القوانين الأخلاقية بوسيلة قوة الإرادة، بل تسعى للوصول بالإنسان إلى الكمال عن طريق التربية الذاتية وتنظيم الجهاز النفسي للإنسان وتهذيبه، بحيث يمكن للإنسان ليس فقط أن يفعل ويسلك على نحو خير، بل وكذلك أن يسلك سلوكًا طيبًا على نحو ميسر منطلق، عن طريق تهذيب الإرادة وتنظيمها تحت توجيه العدل بمعناه الأوسع والأعم، مع تنظيم وتهذيب الانفعالات[١٩].

وذهب برجسون(١٨٥٩-١٩٤١) إلى بقاء الروح بعد الموت، وحاول التعبير عن الاحتياجات الروحية للإنسان من خلال نظريته في الأخلاق المنفتحة والديانة الديناميكية وجوهرها التصوف، وكلاهما تقوم على الحب والشعور بالحرية والدفعة الحيوية. ويفرق بين عالم المادة وعالم الروح. ويرى أن دائرة العلم هي دائرة المادة، ودائرة الكم، والامتداد والمكان. ومنهجها هو التحليل والتصنيف. وأداتها هي العقل. بينما دائرة الفلسفة هي دائرة الروح، دائرة الكيف والتوتر، والزمان والديمومة ومنهجها هو التعاطف الروحي وأداتها هي «الحدس» الذي

> تشعبت معظم الفلسفات الغربية المعاصرة بعيدًا عن التربية الروحية، باستثناء حالات قليلة، مثل كيركجور وبرجسون والتوماوية الجديدة. وهنا تظهر ضرورة العودة إلى الدين الخالص لإعادة التوازن بين المادة والروح، عبر تربية روحية جسدية تتعامل مع الإنسان ككل كذات أصيلة، وكائن منفرد لا نظير له Unique، وليس كجسد فقط، فهنا تضيع الذات وسط الماديات

يقوم الإنسان عن طريقه بضرب من ضروب الفحص الروحي للواقع يستطيع معه أن يحس بنبضاته. ومن هنا يستحيل تفسير الحياة والروح بالرجوع إلى أداة ميكانيكية مادية[٢٠].

من الحس المشترك إلى مبدأ التحقق: الروح تتوارى

وتستمر مواقف الفلسفات الغربية في التنوع، وتأخذ شكلاً جديدًا عند الفلسفة التحليلية التي بدأت مع جورج إدوارد مور (١٨٧٣-١٩٥٨م) الذي اعتبر الروح من القضايا الخلافية، حيث جعل التمييز بين الصواب والخطأ قائمًا على مبدأ الحس المشترك Common Sense الذي يجعل الناس يجمعون على أمر من الأمور التي يمكن إدراكها للناس جميعًا بفطرتهم وبداهيتهم، مثل: (إن الأشياء توجد في المكان والزمان - إن عدد الأشياء المادية كبير جدًا)[٢١]. أما القضايا التي ليست محل إجماع للحس المشترك فهي مثل: (وجود الله - خلود الروح - طبيعة الكون باعتباره كلاً)[٢٢]. والمحك في تقرير صحة القضايا هو ما يقره الحس المشترك، وأي قضية ليس لها مستند من الحس المشترك فهي بلا معنى. ومع هذا فإن مور لا يستبعد وجود الله أو الروح، بل فقط يقصد أن الحس المشترك لا يستبعد ذلك ولا يؤكده؛ فهي ليست محل إجماع من الحس المشترك. وقد نقد مور فلسفة الأخلاق التقليدية في كتابه «مبادئ الأخلاق»؛ وذهب إلى أن الخير والشر مفهومان غير قابلين للتحديد. ومن ثم لم يقدم مذهبًا أخلاقيًا، أو منهجًا للتربية.

أما برتراند رسل (١٨٧٢-١٩٧٠م) فقد أنكر وجود الروح وخلودها، وحاول تقديم بديل لنظرية ثنائية المادة والروح، وحل العقل عنده محل الروح، لكنه لم ينظر إليه ككيان وجوهر ذي طبيعة خاصة، ففي نظرية الواحدية المحايدة، رفض اعتبار العقل والمادة شيئين، وقال إنهما مجموعة أحداث؛ لأن مشكلة علاقة العقل والمادة تنشأ من خطأ اعتبارهما «شيئين» بدلاً من اعتبارهما مجموعات أحداث، فالمادة أحداث محكومة بعلاقات العلية الطبيعية، بينما العقل أحداث محكومة بعلاقات علية نفسية، «وإذن فلا يصح وصف حادثة ما بأنها عقلية أو بأنها مادية لصفة في كيانها، بل توصف بهذا أو ذاك حسب



سياقها العلي...»[٢٣]. ورفض رسل التربية الروحية، والأخلاق النظرية، ودعا إلى نظام للتربية قائم على المعرفة العلمية تحت قيادة الحب الوجداني ونبذ الخوف والتربية على الشجاعة من أجل تحقيق المثل الأعلى للحياة الطيبة للوصول إلى السعادة.

ونفى الوضعيون المناطقة الروح من زاوية أخرى؛ فهم لا يؤمنون إلا بما هو وضعي حسي ويمكن التحقق منه بواسطة مبدأ التحقق Principle of Verification، أما ما لا يمكن التحقق منه فهو أمر بلا معنى meaningless ومجرد لغو Non-Sense. ولذا يعتبرون مفهومًا مثل مفهوم «الروح» بلا معنى، لأنهم لا يستطيعون أن يستدلوا عليه حسيًا ولا يستطيعون مشاهدته أو لمسه! ولكن من وجهة نظرنا أن هذا مفهوم يتم الاستدلال على ماصدقه بالعقل، فضلاً عن الاستدلال عليه بشكل تجريبي غير مباشر عن طريق الآثار الحسية له، والعلم نفسه يقوم على مفاهيم لا يمكن التحقق منها حسيًا، مثل مفهوم اللامتناهي في الرياضيات. إن الوضعية المنطقية تظهر: «عداء قويًا للدين والفلسفة التقليدية خاصة الميتافيزيقا»[٢٤]. ومع ذلك لا تقدم بديلاً عنهما، وتعجز عن الوصول إلى الواقع، وتعجز عن تفسير قضايا جوهرية من قبيل: أصل العالم، ووجود الله، وحرية الإرادة، وحقيقة الوجود الإنساني. وهذا ما يقدمه الدين.

وينبثق موقفهم من الأخلاق والتربية من موقفهم الفلسفي العام، ومن هنا يرفضون التربية الروحية والأخلاق ذات الطابع الميتافيزيقي أو الديني؛ لأنها خالية من المعنى؛ إذ لا يمكن التحقق منها لخلو قضاياها من المضمون التجريبي. وحاولوا إقامة الأخلاق على المنفعة أو تحقيق سعادة الإنسان. ولذا «فقد ذهب كل من كارناب وآير مثلاً إلى أن ما يؤخذ عادة على أنها قضايا أخلاقية، ليست في حقيقتها قضايا على الإطلاق. فالقول إن «السرقة خطأ أو شر» مثلاً، يرى الوضعيون الجدد أنها لا تشكل قضية تجريبية عن السرقة، كما أنها لا تربط السرقة بنوع من المجال الترنسندنتالي أو المتعالي. فالقول إن «السرقة خطأ أو شر»، إما أنه يكون معبرًا عن مشاعرنا تجاه السرقة، أي مشاعرنا بعدم الموافقة، أو - بدلاً من ذلك - (وآراء الوضعيين تختلف في هذا الصدد)، هو محاولة لرد الآخرين عن السرقة، وهو في الحالتين لا ينقل إلينا خبرًا جديدًا»[٢٥]. ولذا لا يعتبرون الخير والشر مفهومين، بل مجرد شبه مفهومين؛ إذ إنهما ليسا من الصفات الملموسة في الظواهر، ولا يمكن إدراكهما إدراكًا حسيًا. وينتهي آير وكارناب إلى النزعة الانفعالية التي ترى أن الأحكام الأخلاقية تعبير عن الانفعال، ولا تقدم وصفًا للواقع، وهي تعسفية غير قابلة للبرهان.

من الوجودية إلى الصورية والعدمية: نهاية الوعي الأوربي

تباينت مواقف الوجودية Existentialism من الروح؛ حيث انقسم الفلاسفة الوجوديون إلى نوعين: الوجوديين المسيحيين (كيركجور، جابرييل مارسيل، كارل ياسبرز)، والوجوديين الملحدين (هيدجر، وسارتر،كامي)[٢٦]. ومن ثم فبعضهم يؤمن بالروح وبضرب من الخلود. فهذا كيركجور يتصور الإنسان على أنه مركب من الزماني والأزلي، ويرى أن الوجود الإنساني الأصيل هو الذات المنفردة الماثلة أمام الله.

أما برديابيف فينكر الخلود الميتافيزيقي أو الطبيعي ولكنه يؤمن بإمكان الوصول إلى ضرب من الوجود البشري يتمكن من «الانتصار على الموت». غير أن الموقف الأقرب إلى النموذج الوجودي هو ذلك الذي يرى في الموت حدًا نهائيًا؛ ومن هنا ذهبوا إلى أن الوجود البشري يجاوز ذاته في اتجاهه إلى العدم؛ فليس ثمة إله. والإنسان يولد دون مبرر ومتروك لا يعتني به أحد، ولا يجد لا في نفسه ولا خارجها شيئًا يتمسك به ويتعلق بأهدابه. ولذا يضع لنفسه معاييره الخاصة ويحدد قيمه وما سوف يصبح عليه. فالملحدون منهم ينكرون الروح الخالد، ويرون الموت هو الذي يشكل قبل أي شيء آخر التناهي البشري، ولكنهم مع ذلك يبحثون عن ضرب من الحياة الأزلية وسط الزمانية وذلك في سعيهم إلى تجاوز التعاقب الزائل للوجود البشري[٢٧].

ويرى كيركجور أهمية تربية الروح وتهذيبها؛ لأن الإنسان لو ركزّ على الجسد وحده فإنه يعيش في المستوى الحيواني الخالص وهذه هي المرحلة



الحسية، وفيها لا يصل إلى الذات الإنسانية الأصيلة. أما إذا عمل على تحقيق الواجبات والمبادئ الأخلاقية التي تميّزه كإنسان، فإنه يكون في المرحلة الأخلاقية. لكن لا المرحلة الحسية ولا المرحلة الأخلاقية قادرة على تحقيق ذات الإنسان الأصيلة التي تحقق التوازن والانسجام؛ لأن الذات البشرية الحقة هي الذات المطمئنة - الذات المتدينة التي تعترف بأن هناك اختلافًا مطلقًا بين الله والعالم، وتحاول عبور هذه الهوة عندما تعترف بالاعتماد الأنطولوجي للذات عن طريق الإيمان بأن الله هو الخالق، وأن الإنسان هو المخلوق، وها هنا يمكن «تعليق الأخلاق» في سبيل غاية أعلى، وهي خطوة يقوم بها «فارس الإيمان» على نحو ما فعل نبي الله إبراهيم عندما همّ بذبح وحيده تلبية للأمر الإلهي[٢٨].

أما سارتر فرفض التربية الروحية وأخلاق الدين عمومًا، ودعا للأخلاق الحية، وقال إن الإنسان مسؤول عن أفعاله، «فإذا كان الوجود يسبق حقيقة الجوهر فالإنسان مسؤول عما هو كائن»[٢٩]، وأنه لا وجود لأية أخلاق شاملة، ولا وجود لمعيار مثالي ذهبي يمكن أن يخضع له الفعل الخلقي، ويقول ماذا ينبغي أن نفعل أو لا نفعل؛ والله غير موجود عند سارتر، و«إذا كان الله غير موجود، فإننا لا نجد أمامنا قيمًا تسير تصرفاتنا وتجعلها شرعية». ومن ثم فالإنسان مضطر أن يخلق قانونه لنفسه بنفسه؛ وهو الذي يختار أخلاقه[٣٠]، ولا نستطيع أن نقرر قبليًا ماذا ينبغي عليه أن يفعل! والتربية هي أن ندع الفرد يتجاوز وضعه الحالي ويتجاوزه على نحو يجعله إنسانًا فريدًا. ولهذا - من وجهة نظرنا - لا يمكن قيام أخلاق وجودية، ومن ثم لا يمكن قيام منهج للتربية الروحية.

ونظرًا لما انتهت إليه الوجودية من فشل، بحث الوعي الأوروبي عن طريق جديد، لكنه سقط في حالة من الصورية مع البنيوية «التي انتهت إلى بنية فارغة من أي مضمون، وعادت إلى الصورية، إلى الوجود في الأذهان وليس إلى الوجود في الأعيان»[٣١]. وبعد أن سقط الوعي الأوروبي في الصورية كان سقوطه الثاني في العدمية والتفكيك المروع مع جاك دريدا Derrida ورفاقه في مرحلة ما بعد الحداثة التي تنكرت لكل مرجع، وألغت كل مركز، ونفت كل جوهر، وأنكرت الروح. والتفكيكية هي لب ما بعد الحداثة

Postmodernism[٣٢]. ولا يمكن الحديث عن مفهوم الروح في هذه المدرسة؛ فهي مدرسة تقويض ونقد وتفكيك وزعزعة للفكر الغربي والإنساني الذي يقوم على مفهوم «المركز الثابت للفكر» مثل الحقيقة أو الواقع أو الزمن أو فكرة العلاقة أو السببية. فالتفكيكيون عدميون يرفضون ثبات أي «معنى» فكل شيء مشتت ممزق مفكك ليس له معنى وليس له مركز. وما بعد الحداثة هي نوع من التمرد مارسته المدرسة التفكيكية على منجزات الحداثة، نتيجة الأزمة التي وقعت فيها، وأوقعت فيها الإنسان المعاصر مثل الحروب العالمية، والاستعمار، وتدمير البيئة واستنزاف مواردها، وظهور الحركات المتطرفة، والتناقضات، وزيف «العلامات»، والخداع الإعلامي، إلخ. وجاءت ما بعد الحداثة لترفض المذاهب الفكرية التي تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة واليقين والمعنى الأوحد. وفي الوقت الذي رفضت فيه ما بعد الحداثة كل هذا، فإنها لم تقدم بديلاً مذهبيًا يمكن الركون إليه، بل قدمت عدم اليقين، ودعت إلى الفردية المطلقة والنسبية المفرطة، وقلب نظام القيم والأخلاق والتربية، وفقدان الثقة في العقلانية وكل دين أو مذهب يدور على معنى أو مركز أو محور ثابت مثل الروح أو الضمير أو الله.

لكن هذه العدمية والعبثية التي جاءت بها التفكيكية لم تحل دون ظهور تيارات جديدة في الدرس الأخلاقي والتربية، لكنها لم تكن أبدًا تربية روحية، بل تربية تسعى لمعايير ذهبية تحكم السلوك الإنساني بعد سقوط كل المعايير على أيدي التفكيكيين، لعل أحدثها تيار الأخلاق التطبيقية Ethics Applied الذي قام بتطبيق الأخلاق على المشاكل العملية؛ وابتعد كلية عن التربية الروحية، فالتربية عنده هي تربية رجل الأعمال، أي التربية التي تسعى لإقامة الأخلاق الاقتصادية؛ حيث ظهر اهتمام بالأخلاق المهنية، وأخلاق الأعمال التجارية Business[٣٣].

خاتمة:

إن الروح مبدأ حياة الجسد وحقيقة الفكر، وهي التي تعطي للإنسان شعورًا بوحدة الذات أو الأنا، رغم كل التغيرات التي تطرأ على الجسد.. إنها ضرورة أخلاقية تسلم بها الفلسفة النقدية كمصادرة، وهي قضية إيمانية يسلم بها المؤمن كوحي إلهي. ومع ذلك لا يمكن معرفة طبيعتها، إنها معلومة من الدين بالضرورة، لكن كيفها مجهول، ولذا توقف فيها السلف الصالح كما توقف الفيلسوف النقدي كنت؛ فكل محاولات العقل التأملية بخصوص طبيعة الروح، إنما هي محاولات عقيمة تمامًا، ولا طائل من ورائها بحسب طبيعتها الداخلية، لأن الروح خارج نطاق التجربة. «إن جميع استدلالاتنا التي تريد أن تذهب بنا إلى خارج منطقة التجربة الممكنة إنما هي استدلالات مخادعة بغير أساس»[٣٤].

وقد عجزت الفلسفات الغربية المادية والوضعية والحسية والوجودية بمختلف تياراتها عن تقديم بديل للدين، ونظرت للإنسان نظرة ضيقة الأفق، ولم تستطع تبيُّن الحاجات الروحية في الإنسان، ولم تقدم أي حل للمسائل الفلسفية الكبرى التي تشغل الإنسان. وقد أنكر الملحدون وجود الروح لأنهم لا يستطيعون أن يستدلوا عليه حسيًا ولا يستطيعون مشاهدته أو لمسه! ونسوا أن الوجود الإنساني لا يمكن رده كلية إلى المادة، وأن عدم رؤية شيء لا يستلزم بالضرورة عدم وجوده. وعندما يتوقف العقل عن قبول البرهان يظل الرهان في صالح الإيمان بالروح:

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تحشر الأجساد قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولي فالخسار عليكما[٣٥]

وقد تشعبت معظم الفلسفات الغربية المعاصرة بعيدًا عن التربية الروحية، باستثناء حالات قليلة، مثل كيركجور وبرجسون والتوماوية الجديدة. وهنا تظهر ضرورة العودة إلى الدين الخالص لإعادة التوازن بين المادة والروح، عبر تربية روحية جسدية تتعامل مع الإنسان ككل كذات أصيلة، وكائن منفرد لا نظير له Unique، وليس كجسد فقط، فهنا تضيع الذات وسط الماديات، وليس كروح فقط على الطريقة الرهبانية المسيحية التي تهمل الجسد. فلابد أن تعمل التربية على تحقيق التوازن بين الروح والجسد في توليفة منسجمة؛ وهذه هي التربية الإسلامية التي تعترف بمتطلبات الجسد، مع تهذيبها، وترتقي بالروح في مدارج السالكين دون ترك الجسد، بل الروح هنا ترتقي به معها؛ لأن الإنسان روح وجسد معًا، في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة.■

الهوامش

١ - أي أننا نقول: إن الروح ليست كذا وليست كذا. لكننا لم نقل على وجه اليقين: إنها كذا.

٢ - الشورى:١١.

٣ -الإسراء:٨٥.

٤ - يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. القاهرة. مكتبة النهضة المصرية. ١٩٩٩.ص ١٥٦. وجاك شورون،الموت في الفكر الغربي،ترجمة إمام عبد الفتاح،الكويت،سلسلة عالم المعرفة،١٩٨٤. ص٦٠-٦١.

٥- Thomas Hobbes .Leviathan. London: J. M. Dent & Sons. 1937. p. 210218-.

٦ - أندريه لالاند، معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية. مترجم إلى العربية تحت عنوان «موسوعة لالاند الفلسفية». ترجمة د.خليل أحمد خليل. بيروت- باريس، دار عويدات. ١٩٩٦. ١/ ٣٦٥.

٧-انظر:

Mill. John Stuart. Auguste Comte and Positivism. 1865. repr. 1961.

٨- د.محمد عثمان الخشت،الإسلام والعلم بين الأفغاني ورينان،القاهرة،دار قباء،١٩٩٧م.ص٢٦.

٩ -Simon Blackburn. Oxford Dictionary Of Philosophy. Oxford. Oxford University Press. 1996. P. 233.

١٠ - جاك شورون،الموت في الفكر الغربي، ص١٤٤-١٤٥.

١١ -المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة توفيق سلوم، موسكو، دار التقدم، ١٩٨٦. ص١٧٩.

١٢ - M. Rosenthal & Yudin. A Dictionary Of Philosophy. p. 439.

١٣-مقتبس عن جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، بيروت،دار الطليعة،١٩٨٧، ص٥٧٠.

١٤. د.توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، ص ٢٣٠-

١٥ - William James. The Will to Believe and other essay in popular philosophy. New York. Dover Publication. 1956. p. 17.

١٦. -برهييه، تاريخ الفلسفة، ج ٧، ص١٦١.

١٧. - د.عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج١ص٥٢٦

١٨. - المرجع السابق،ج٢ ص٤٩٢-٤٩٣.

١٩ -بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا. ترجمة د.عزت قرني،الكويت، سلسلة عالم المعرفة،١٩٩٢، ص ٣٨٢.

٢٠ - انظر: د.إمام عبد الفتاح ، مدخل إلى الميتافيزيقا، دار الثقافة،القاهرة.

٢١ - Moore. Some main problems of Philosophy.London.1953.p.16.

٢٢- Ibid.. p.17.

٢٣-برتراند رسل،العقل والمادة،ترجمة أحمد إبراهيم الشريف،مراجعة د.زكي نجيب محمود،القاهرة،مكتبة المتنبي،١٩٧٥،ص٢٠٩.

٢٤ - J. T. Moore. "positivism".in Academic American Encyclopedia. New Jersey. Arete. 1980. volume 15. p.458 .

٢٥- د.عزمي إسلام. اتجاهات في الفلسفة المعاصرة،١٣٢-١٣٣.

٢٦- سارتر. الوجودية مذهب إنساني. ترجمة د.كمال الحج، بيروت، منشورات مكتبة الحياة. ١٩٨٣. ص٤١.

٢٧ -ماكوري، الوجودية،سلسلة عالم المعرفة،١٩٨٢م،ص ٣٦٣.

٢٨- راجع د.إمام عبد الفتاح، سرن كيركجور رائد الوجودية. و مدخل إلى الميتافيزيقا، ص١٥٨.

٢٩.- سارتر ،الوجودية مذهب إنساني، ص٤٥-٤٦.

٣٠.-المرجع السابق، ص٧٩ وما بعدها

٣١. -د.حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص ٧١٤

٣٢- Kevin hart.،Jacques derrida: introduction، in: Grahamward(editor). the postmodernism god. oxford. Blackwell publishers. 1997. p. 159.

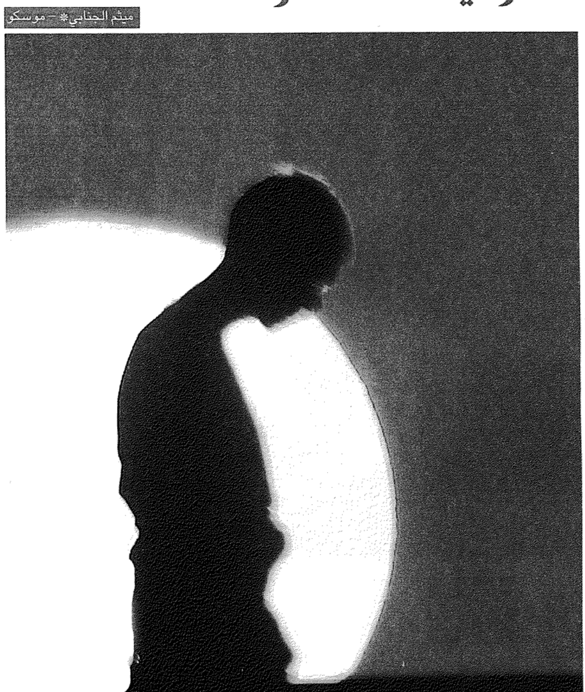
٣٣- Richard t. De George. Business Ethics. ٢nd ed.. New York. Macmillan. 1986. p. 58.

٣٤ - Ibid.. p. 373.

٣٥ - شعر أبي العلاء المعري(٣٦٣-٤٤٩هـ)، مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص٩٢.

ثقافة الروح وتربية الإرادة أو حكمة الروح في الفلسفات الشرقية المعاصرة

ميثم الجنابي* – موسكو



* أستاذ في العلوم الفلسفية والإسلاميات (الجامعة الروسية – موسكو)

إن الثقافات الكبرى تقف على الدوام في مجرى تناول قضايا الروح أمام معضلات لا تحصى، كما لو أنها تكشف عين الحقيقة القائلة: إن البحث عن الروح هو عين البحث عن اليقين. وفي هذا البحث يكمن أيضًا مصدر الشكوك والقلق. وهو الأمر الذي يجعل من الروح مصدر الشك واليقين، والقلق والثبات. وهي الحالة التي يكررها وجود الإنسان في ذاته عندما يقف في مجرى تعمق رؤيته العقلية أمام المفارقة المرهقة للعقل نفسه والقائمة في أن العدم هو مصير الإنسان أينما كان، لكنها مفارقة يذللها العقل نفسه عندما يرتقي إلى مصاف الحكمة، أي عندما يتحول العقل إلى روح. وهي العملية التي تعكس بصورتها المجردة انتقال العقل في بحثه عن اليقين إلى وجدان ما افتقده. وليس مصادفة أن تقول المتصوفة «إن الوجد من الفقد» ومن ثم فإن الوجدان من الفقدان.

ومعضلة الفلسفة ومغزى وجودها هو وجدان حقائق الوجود، أي كل ما يفتقده الفرد والجماعة والأمة في مجرى تطورها من مكونات الروح الأولى. بمعنى إرجاع حقائق الوجود القائمة في الإنسان نفسه إلى الإنسان، أي إرجاع إنسانيته إليه. وهي عملية تتكامل في مجرى التطور التاريخي للعقل والثقافة، إلا أنها تعيد مع كل اكتشاف مكوناتها الأولية القائمة في مستوى الحدس الذي يقابل صفاء الطفولة ومعنى الفطرة. وهي عملية تقترن من حيث خصوصيتها بالكيفية التي تنشأ وتتطور بها ثقافات الأمم، بمعنى كيفية حلها لإشكاليات الوجود الطبيعي وماوراء الطبيعي في الفرد والجماعة والأمة. وهي عملية دائمة تشكل بحد ذاتها أسلوب وجود الإنسان والأمة والثقافة.

وتاريخ الفلسفة الشرقية ومعاناة بحثها على امتداد آلاف السنين في الهند والصين واليابان هو التعبير النموذجي عن هذه العملية المستمرة المرافقة لأبدية الروح في بحثه عن اليقين. وهو بحث يميز كل فلسفة عميقة، إلا أن خصوصيته في الشرق تقوم في تحوله إلى مبدأ وغاية الوجود. وهو الأمر الذي حصل على أشكال متنوعة ومختلفة لفكرة عامة يدركها الحدس ويؤسس لها العقل بأشكال مختلفة تقوم في «روحانية» الشرق. وهو التقييم العام الذي تحول إلى بديهية، بينما هو من حيث مصدره وغايته أحد أكثر الإشكاليات تعقيدًا وإرهاقًا للعقل والضمير «الشرقي» نفسه.

فروحانية الشرق هي ليست شيئًا معطى مرة واحدة وإلى الأبد، بقدر ما هي نتاج المعاناة الفردية

والاجتماعية والقومية في مسار ما أسميته بارتقاء العقل إلى مستوى الروح. ذلك يعني أن فكرة الروحانية الشرقية هي منظومة، ليست الفلسفة والدين ونمط الحياة والفن والأدب والرياضة والطب وغيرها سوى تجليات أو مظاهر لها. ففي الطب نعثر عليها فيما يسمى بالطب الشرقي. وهو طب مبني من حيث الجوهر على رؤية الأبعاد الروحية في الجسد بوصفه وحدة واحدة أو منظومة. وهو الأمر الذي حدد إمكانية ظهور العلاج بالضوء والألوان، والعلاج بالموسيقى والصوت، وعلاج الانبساط والراحة والسيطرة الذاتية. وهي رؤية تستمد مقوماتها أيضًا من رؤية الوحدة الفعلية والحية بين الأرض والسماء، أي بين الروح والجسد أو الإنسان والطبيعة في كل شيء. ذلك يعني أن مضمون العلاج الشرقي هو النظر إلى الإنسان على إنه كل واحد، هو مظهر للروح.

والشيء نفسه نعثر عليه في الموقف من الرياضة البدنية. إذ نعثر فيها على انعكاس لوحدة الروح والجسد، وأولوية الروح. ففي مصارعة «كونغ – فو» على سبيل المثال نعثر على أبعاد فلسفية تؤسس لها من خلال وحدة «إن – يان». فهي الوحدة أو الحلقة التي تتمثل في ذاتها وحدة المذكر المؤنث. وإن التحول الدائم والاستبدال المتجدد في هذه الوحدة هو الشرط الضروري للحياة والحركة والصراع. وفي هذا التبدل والوحدة يمكن رؤية أهم مبادئ وجود وتفاعل المادة والروح، والمكان والزمان، والحياة والموت. ذلك يعني، أن عناصر الصراع في

ذلك يعني أن فكرة الروحانية الشرقية هي منظومة، ليست الفلسفة والدين ونمط الحياة والفن والأدب والرياضة والطب وغيرها سوى تجليات أو مظاهر لها

وحدة «إن – يان» مترابطة فيما بينها، ويؤدي كل واحد منها إلى الآخر. مما يفترض بدوره ضرورة معرفتها. وهي عملية تؤدي إلى صنع المنظومة والوحدة الكلية. ومن ثم طرد كل عنصر طارئ وعرضي وعابر. إن هذه الرؤية تهدف إلى تحسس وفهم حقيقة المصارعة بوصفها فنًا، وذلك لأن غايتها ليس الفوز والانتصار بل الدفاع عن الحياة. ومن ثم فلا ذروة لها بوصفها فن الحياة سوى بلوغ التجانس والتوازن. أما بلوغ حالة التجانس والتوازن هذه فيفترض معرفة الثنائيات المتضادات مثل الروح والمادة، والشهيق والزفير، والشكل والمضمون، والفوز والهزيمة، أي وحدة الكل في المتناقضات. إن معرفة ثنائية الروح والمادة ضرورية من أجل إدراك أن مضمون كل مادة هو روحها، مثل الصوت والصدى، والنار والدخان. ونفس الشيء ينطبق على الثنائيات الأخرى. إن هذا الإدراك يؤدي إلى معرفة النظام الروحي للحياة الكونية، وإلى الحياة في وحدتها بوصفها مظهرًا من مظاهر هذا النظام الروحي الكوني. وهي رؤية تتخذ في تطبيقها على فن المصارعة إدراك كل هذه المكونات ووضعها في منظومة مهمتها إعادة بناء الروح أو الإرادة بالشكل الذي يجعل منها أسلوبًا لوحدة الذات وكمالها. فعندما تكون المشكلة في إتقان فن الحركة، فإن ذلك يلزم إبراز أو إظهار أكثر مناطق الضعف فيها ثم عرضها على معايير القوة والسرعة أو الشكل. فإذا كانت المشكلة، على سبيل المثال، في شكل الحركة، فإن ذلك يعني ارتباطها بالتنفس. فهو الذي يؤثر على السرعة. من هنا يكون تحسين وإتقان كيفية التنفس الطريق إلى تحسين شكل الحركة. وتحسينها يؤدي بدوره إلى تحسين شكل الحركة وإتقانها، مما يؤدي بدوره إلى تحسين القوة. وتحسن القوة يجعل من الحركة أكثر دقة. مما يؤدي بدوره إلى زيادة السرعة، والسرعة إلى تحسين التنفس وارتقائه صوب الكمال. وهي عملية دائبة شأنها شأن الحياة، لا انقطاع فيها. ذلك يعني أنها ضرورية للحياة. وأن حقيقتها تقوم في كونها فنًا يساعد صاحبها على تطوير ملكة الرسم والرقص والموسيقى. وفيها ومن خلالها يجري التعبير عن حالة وجدانية تطابق بين الحياة والفن،

والفن والحياة. وليس اعتباطًا أن تتوصل فلسفة الفن اليابانية إلى القول إنه لا توجد في اليابان فروق حادة بين الفن والحياة العادية. ففي الفن الياباني عادة ما يجري الاهتمام البالغ بالحركة الجسدية المباشرة للممارسة الفنية.

مما سبق يتضح أن مضمون الروحانية الشرقية، وحقيقة الروح في الفلسفات الشرقية هي منظومة. لكنها ليست منظومة بحد ذاتها فحسب، بل وفي استظهارها التاريخي أيضًا. فهي منظومة من حيث قدرتها على تنظيم الإرادة الفردية



عبر تربية ملكة الإرادة نفسها وتوظيفها لخدمة حقائق الروح الكبرى نفسها. مع ما يترتب عليه من استعداد للعمل والتضحية. بمعنى قدرتها على صنع ما يمكن دعوته بمنظومة الروح الفاعل في كل ما يكون «موضوعًا» لها، سواء كان ذلك جسد وروح الفرد والجماعة أو الأمة والدولة. أما استظهارها التاريخي فهو قدرتها على شحن العقل النظري وشحذ العقل العملي في مواجهة الإشكاليات الكبرى أو التحديات التاريخية التي تواجهها الأمم. وليس مصادفة أن تتحول حوارات بوذا، وكتب الأوبانيشاد، وتقاليد الفيدا، وكتب التاو، وحكمة كونفوشيوس إلى مصادر جوهرية لم تفقد قيمتها مع مرور الزمن. بل على العكس، إنها تستعيد قوتها مع كل انعطاف حاد في تاريخ الأمم، وترتقي مع كل تحد أو تجربة هائلة إلى مصاف المصادر الجوهرية للحكمة النظرية والعملية وتربية الإرادة الفردية والاجتماعية والقومية، أي تربية الروح الخاص والعام.

فعندما ننظر على سبيل المثال إلى التجربة اليابانية و«معجزتها» الاقتصادية والتكنولوجية، فإنها لا تخرج في الواقع عن تأثير ما أشرت إليه أعلاه، عندما ننظر إليها بمعايير إدراك أهمية وفاعلية الروحانية الشرقية أو فلسفة الروح الشرقية. إذ نعثر فيها أولاً وقبل كل شيء على كيفية استظهار المنظومة الروحية والثقافية الذاتية المتراكمة في وعي الأمة اليابانية بوصفها خزين حكمتها النظرية والعملية. بمعنى أننا نعثر فيها أولاً وقبل كل شيء على كيفية شحن العقل النظري وشحذ العقل العملي في مجال تربية الإرادة الفردية والاجتماعية والقومية. فقد استطاعت «المعجزة» اليابانية في مجال الاقتصاد والتكنولوجيا والعلم استيعاب نتائج التجارب «الغربية» (الأوربية والأمريكية) مع البقاء ضمن حيز ومعايير الروح «الشرقي» (الذاتي). إذ لم تتبع اليابان نموذج الفردية الأوربية، وذلك لتعارضها مع التقاليد اليابانية التي جمعت كلاً من الكونفوشيوسية والبوذية والسنتوية في نسيجها الخاص. وإن حصيلة هذه التقاليد لم تعقل وجود وفاعلية الفرد بذاته خارج الطبيعة والمجتمع. وليس غير منظوميتها العريقة والذائبة في أصول الوعي

الثقافي، من استطاع شحن العقل النظري وشحذ العقل العملي في مواجهة التحدي الجديد لتحديث اليابان، كما نعثر عليه في فلسفة القلب (سينغاكو) التي بلورها إسيدا بايغان (١٦٨٤-١٧٤٤). فهي الفلسفة التي ساهمت في تأسيس الرؤية الجديدة لإمكانية تقبل وتمثل نتائج الثقافة «الغربية» (الأوربية). وهي فلسفة تنطلق من رؤيتها للإنسان باعتباره شيئًا من «عشرة آلاف شيء» توجد في وحدة جوهرية مع السماء والأرض. وأن الناس متساوين بينهم لأن كل إنسان هو كون صغير. ومن ثم فإن كل إنسان قادر على أن يكون متكاملاً. وأن هذا الكمال مرتبط بما يؤديه من وظيفة معينة أو عمل من الأعمال على قدر استعداده على تجسيد ما فيه وبما يخدم الدولة. فالإنسان بهذا المعنى هو جزء من كيان اجتماعي موحد. وبهذا استطاعت فلسفة القلب هذه أن تعطي لكل الفئات والمهن قيمة موحدة مشتركة ولكل فئة أو فرد واجبًا لا يقل عن واجب أي فئة أو فرد آخر. وذلك لأنها جعلت فكرة الضمير والواجب شيئًا واحدًا يمكن تجسيده من خلال إتقان المهنة والاجتهاد فيها إضافة إلى الصدق والإخلاص والاقتصاد. بمعنى اعتبار تبذير الثروة من أشد الرذائل. أما النتيجة فهي «راحة قلب الشعب». إن حصيلة هذه الأفكار تسعى لإعادة إنتاج منظومة الإرادة الفردية والاجتماعية

وبهذا استطاعت فلسفة القلب هذه أن تعطي لكل الفئات والمهن قيمة موحدة مشتركة ولكل فئة أو فرد واجبًا لا يقل عن واجب أي فئة أو فرد آخر . وذلك لأنها جعلت فكرة الضمير والواجب شيئًا واحدًا يمكن تجسيده من خلال إتقان المهنة والاجتهاد فيها إضافة إلى الصدق والإخلاص والاقتصاد

ضمن تقاليد الرؤية الكونفوشيوسية القائلة إن نجاح الفرد هو عين نجاحه الاجتماعي. وفيها تنعكس وحدة الإنسان والطبيعة المميزة لبوذية دزين، والسنتوية. بمعنى ليس الأخلاق الفردية بل العامة هي مصدر التقدم.

ونعثر على نفس هذه الظاهرة في تجربة الهند والصين المعاصرتين، أي على ما أسميته بالاستظهار التاريخي لمنظومة الفلسفة الروحية الشرقية. فعندما ننظر على سبيل المثال إلى التجربة الهندية المعاصرة، فإننا نقف في الواقع أمام نفس الظاهرة العامة القائمة في كيفية استظهار المنظومة الروحية والثقافية الذاتية المتراكمة في وعي الأمة الهندية بوصفها خزين حكمتها النظرية والعملية. بمعنى أننا نعثر فيها أيضًا على كيفية شحن العقل النظري وشحذ العقل العملي في مجال تربية الإرادة الفردية والاجتماعية والقومية من أجل التحرر أولاً من السيطرة البريطانية ومن ثم بناء ذاتها الجديدة. بمعنى أننا نقف أمام كيفية استلهام تراث الأسلاف بالشكل الذي يجعله طاقة فعالة في مواجهة التحديات الكبرى. وفي هذا الاستلهام كانت تجري إعادة لضم المصادر الجوهرية للحكمة النظرية والعملية في بناء وتربية الإرادة الفردية والاجتماعية والقومية. وهي العملية التي جسدتها بصورة نموذجية فلسفة اللاعنف الغاندية. فقد كانت فلسفة المهاتما غاندي تستند إلى تراث التقاليد الهندية الفلسفية الكبرى وخزينها الروحي. إذ أن مشروعه النظري العام هو تحقيق مشروع راما راج (راما هو الصيغة الأرضية للإلهة فيشنا). أمام أسلوبه العملي، فهو مبدأ المواجهة السلمية ونبذ العنف. فمن الناحية الشكلية والعامة لم تكن فكرة نبذ العنف حتى من وجهة نظر غاندي، فكرة جديدة، إلا أنه حاول أن يعطيها بعدًا جديدا ليجعلها شيئًا معادلاً لفكرة «أرواح الحقائق الإلهية» وأسلوبًا لتجسيدها. بمعنى أن حقائق الله الكبرى لا تحتاج إلى عنف لأنها قادرة على تذليل كل خروج عليها. من هنا مهمة تحقيقها الفردي. إذ جعل غاندي من نفسه وعاءً وأسلوبًا وموضوعًا وذاتًا لتحقيقها في كل فعل، أي جعل من حياته نموذجًا لتحقيق حقائق الروح الهندي كما بلورته تقاليد الفلسفة والدين. وهي الصيغة التي جسدت بصورة

نموذجية كيفية تحويل منظومة الروح الهندي كما فهمها غاندي، إلى مبدأ جوهري لإعادة بناء النفس والإرادة الوطنية العامة (الهندية) في إحدى المراحل الحرجة لانعطاف كيانها التاريخي.

ولا تشذ تجارب الشرق الكبرى في الصين وغيرها عن هذا المسار العام، رغم خصائصها السياسية التي جعلت من الشيوعية إيديولوجيا التوحيد الفردي والاجتماعي والقومي من أجل إعادة بناء الإرادة الجديدة. وهي ظاهرة تصب، رغم إشكاليتها السياسية، في الاتجاه العام لما أسميته باستلهام تجارب الأسلاف عبر شحن العقل النظري وشحذ العقل العملي بمعايير الحكمة



الذاتية، أو منظومة الروح الشرقي في أحد تجلياته الخاصة.

وبغض النظر عن تنوع واختلاف التأويل والتحقيق لحكمة الأسلاف بشكل عام ومنظومة الروح بشكل خاص، إلا أن تجارب الشرق عمومًا في مجال صنع الإرادة الموحدة جلية في شيئين، الأول وهو إدراك الفلسفات الشرقية المعاصرة لقيمة هذا الروح بالنسبة لتربية الإرادة العامة والخاصة للأمة في مراحل الانعطاف التاريخية الكبرى. والثاني هو إدراك قدرة الروح الفعلية على تربية روحية وروحانية الإجماع أثناء التحديات الكبرى التي تواجهها الأمم.

إن التجارب العامة والخاصة، الكبرى والصغرى للفلسفات الشرقية وبحثها عن الروح وتأسيسها العملي الناجح له تبرهن على أن تربية الروح هو النتاج الطبيعي لروح التربية، وأن الذي يربي الروح هو تقاليد الروح، وأن استلهامها الحقيقي يقوم في كيفية تمثلها وتوظيفها لشحن العقل النظري وشحذ العقل العملي في مواجهة التحديات الكبرى التي تواجهها الأمم من خلال تربية الإرادة واحتكامها إلى حكمة الأسلاف. بمعنى قدرتها على التجدد بمعايير المعاصرة. أما الانفصال الفعلي عنها، بمعنى عدم القدرة على إعادة إنتاجها بمعايير المعاصرة والتجديد، فهو سر الخراب القائم في استبدالها بمختلف نماذج التقليد.

إن تجارب الشرق الروحية المتنوعة وتأسيسها الفلسفي المتنوع فيما يتعلق بقضايا الروح وتربية الإرادة تكشف عما فيها من قيمة وفاعلية ومغزى بالنسبة لمغامرات الأمم في بناء كينونتها الذاتية. كما أن الناجح منها يكشف عن سعة وعمق ومدى الانحراف والسقوط الهائل للعالم العربي في مجال تأسيس روحه الثقافي الخاص. إنه يكشف عن فشله في تربية الإرادة الروحية العامة والخاصة. وهو فشل يبرز في الإخفاق الدائم لتوحيد الإرادة في مواجهة التحديات الكبرى التي تواجهها الأمة. وهو إخفاق يشير إلى غياب حكمة الروح العربي، ومن ثم لا شيء غير اجترار الزمن. وهو اجترار لا يصنع تاريخًا ولا حكمة، لكنه يصنع على الدوام مختلف أصناف الهزيمة.■

من تجارب الأمم:
بين الروحي والمادي

محمد الدعمي - العراق

أعيت «الروح» أذكى العقول في التاريخ، فاحتضن العقل البشري الروح وآمن بها دون أن يدركها ويكتشف مكنونها. لقد عصيت الروح على المفكرين، والفلاسفة، والمعلمين الروحيين عبر التاريخ، فبقيت سرًا غيبيًا لم يتمكن أحد من تعيينها أو وصفها أو الاقتراب من حدود عالمها، على الرغم من أن الروح هي من الوجود، وأن الإيمان بها هو عقيدة رافقت قصة الإنسان منذ بداية الخليقة حتى اليوم، كرفقة الظل للجسم.

لذا صارت الروح جزءًا من الوعي الإنساني بالوجود وبالكينونة. هذا ما يفسر استشعار الإنسان بثمة قوة أو طاقة غيبية لا مرئية لها علاقة بحياته وبمماته وبقوى الطبيعة وما فوق الطبيعة المحيطة به، الأمر الذي يبرر مكتشفات التنقيبات الآثارية التي دل فك رموزها ورموز كتاباتها القديمة على تشبث الإنسان بالروح وربما بفكرة التأثر بها والتأثير عليها وتسخيرها لمحاولة السيطرة على ظواهر بشرية وطبيعية كانت مؤثرة على حياته كالأمطار والفيضانات والوحوش والأوبئة وسواها من ظواهر الحياة الفردية والاجتماعية. إن «الممارسات» الروحية تضرب في أعماق تاريخ الإنسان حيث تواصلت مثل هذه المعتقدات المتصلة بالروح ربما من العصور الحجرية وما قبلها على نحو أنماط أسطورية عقيدية متكررة وموروثة archetypes، أنماط تعبر عن نفسها حتى في أكثر المجتمعات مدنية ودنيوية وتقدمًا علميًا وتكنولوجيا، الأمر الذي يفسر انتشار وانتشاء أنواع الممارسات الروحية المتأرجحة بين العقائد الدينية من ناحية، وبين ممارسات السحر والشعوذة وتحضير الأرواح وتسخيرها وسواها من الممارسات التي تحولت إلى حرف في الدول الغربية والشرقية على حد سواء. وعودة إلى التاريخ القديم، فإن الدراسات والتنقيبات تشير إلى الاعتقاد الراسخ بالروح وبتنوعاتها في الحضارات القديمة التي أدت أدوارها حتى قبل ظهور الأديان المنزلة. وقد آمن إنسان الحضارات الأولى في بلاد الرافدين، وبلاد العرب، ومصر، وبلاد الشام، والهند بوجود الروح، الأمر الذي برر تقاليد دفن الموتى القديمة، حيث اعتادت هذه الأقوام وضع أواني وأدوات الميت إلى جانبه في القبر، تعبيرًا عن الإيمان بأن الروح قد تعود إلى الميت فيحتاج إلى ممتلكاته الشخصية، كالسيوف وأدوات الزينة، وحتى الحبوب والزهور.

وقد شهدت الحضارات الشرقية والغربية القديمة، عبر حقب ما قبل التنزيل وعبر عصور الأنظمة الدينية الوثنية والمشركة والثنوية أو التعددية تعبيرات الاعتقاد بالروح وبالأرواح عبر ما خط ورسم من صور وكتابات وصلت إلينا بواسطة التنقيبات الآثارية الحالية. وتدل مثل هذه «المخلفات» أو البقايا واللقى على وصول الإنسان إلى مستوى معقد وشائك من الوعي بقدر تعلق الأمر بهذا الموضوع، إذ برزت معتقدات من نوع الروح الأكبر أو الكبرى التي تجد في البشر والحيوان والنبات «أرواحًا» أصغر بضمن منظومة روحية كونية مفترضة. كما عبرت هذه الثقافات القديمة عن تنوعات في الأرواح، فكتب الإنسان القديم عن الأرواح الخيرة والأرواح الشريرة والمحايدة التي لا تؤذي البشر ولا تفيده. بل إن هذه الأنظمة الروحية القديمة وجدت في الجسد ملاذًا أو سجنًا أو تموضعًا للروح، الأمر الذي برر ظهور معتقدات من نوع الإيمان بالتناسخ وبالحلول، بمعنى أن الإنسان عندما يموت، تغادر روحه الجسد لتحل في جسد إنسان آخر أو مخلوق آخر، قد يكون حيوانًا أو نباتًا أو حجرًا أوكوكبًا أو أي شيء آخر، بحسب أعمال الإنسان الخيرة أو الشريرة. لذا تأصر مفهوم الروح بالسلوك وبالقيم الأخلاقية وبالأعمال الطيبة أو الرذيلة، بضمن اعتقاد تاريخي متواصل يفيد أن روح الإنسان تتحمل وزر أعماله في الحياة الدنيا.

هكذا ظهرت عبادات قديمة ربطت بين الأجرام السماوية والنجوم من جهة، والأرواح من الجهة الثانية، حيث شكل الكون المظلم الغامض بالنسبة للإنسان التائه في فضاء الطبيعة عالمًا للأرواح. وهكذا برز الاعتقاد

بأبدية الروح أو باندماجها مع كينونات روحية أو أثيرية أكبر وأشمل من ذات النوع والطبيعة. لذا كان تاريخ الإنسان منذ البداية هو، من وجهة نظر معينة، تاريخ الحياة والمعتقدات الروحية، وهي المعتقدات أو التيقنات التي ربما أسهمت في صناعة أهم الأحداث في التاريخ. وقد جاءت الكتب السماوية المنزلة التي حلت محل الأنظمة الدينية القديمة في أغلب بقاع العالم لتؤكد عقيدة الروح الغيبية، كما تدل الكتب والنصوص المقدسة على ذلك، ابتداء من التوراة والعهدين القديم والجديد (الإنجيل) وانتهاء بكتابات ومقولات وأحاديث الرسل والأنبياء والأولياء والمعلمين الروحيين.

وتنطبق ذات الحال على عقيدة الروح في القرآن الكريم، حيث وردت اللفظة إحدى وعشرين مرة وبمعان متنوعة. هذا ما يفسر الاعتقاد الراسخ بين المسلمين بالروح، وهو ما يلقي الضوء كذلك على محاولات فلاسفة وفقهاء الإسلام وصف الروح أو الإتيان بما يقرب الوعي الآدمي إليها. واحد من أبدع النصوص حول الروح هو ما قدمه الغزالي حين قال: «إنها البخار اللطيف الذي يصعد من منبع القلب، ويتصاعد إلى الدماغ بواسطة العروق، وإلى جميع البدن فيعمل في كل موضع حسب مزاجه، واستعداده عملاً، وهو مركب الحياة، فهذا البخار كالسراج، والحياة التي قامت به كالضوء، وكيفية تأثيره في البدن ككيفية تنوير السراج أجزاء البيت». وذهب الجبائي إلى أن الروح جسم، وأنها غير الحياة، زاعمًا أن الروح لا تجوز عليها الأعراض كالموت. أما ابن القيم، فقد قال إن الروح «جسم مخالف بالأهمية للجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت

حتى إذا ما جاء العصر الحديث، ودخلت المكنة والتقنيات العصرية الحياة اليومية للمجتمعات، أخذ التنافر بين الروحي والمادي يتبلور على نحو صراع أو صدام يصعب حله أو تسويته

عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح». ولا يبتعد الرأي الأخير عن اعتقاد كان شائعًا في العالم الشرقي، مفاده أن الروح هو اعتدال الطبائع الأربع (الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة). وهكذا صار الروح هو الحياة، ذلك أن تعبيراً مثل «خرجت الروح منه»، يعني أنه قد مات. وهكذا يكون العكس صحيحًا، حيث يعتقد أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن. أما بالنسبة لابن طفيل، فإن الروح هي أمر رباني إلهي لا يستحيل ولا يلحقه الفساد ولا يوصف بشيء مما توصف به الأجسام، ولا يدرك بشيء من الحواس، ولا يتخيل ولا يتوصل إلى معرفته بآلة سواه، بل يتوصل إليه به. هذا الرأي هو الأقرب إلى غموض وماهية الروح بالنسبة للوعي الآدمي.

ولكن على الرغم من «إخفاق الرؤيا» وعجز الإنسان، بغض النظر عن تعقيده الفكري، عن «الإمساك» بمعنى أو وصف للروح، راحت الروح تتسع لمعان وتعميمات وتوسيعات متنوعة، فشهد «تاريخ الأفكار» بروز تعبيرات من نوع الحياة الروحية والحب الروحي والثقافة الروحية وسواها من التعابير التي تعكس تمسك الإنسان بهذا البعد الغيبي اللامرئي الذي عده الملحدون خرافة أو أكذوبة اصطنعها الإنسان ليمنح حياته وأفعاله شيئًا من المعنى أو من «عدالة السماء». ولم يبتعد الماديون التجريبيون عن هذا الفهم للروح عندما حاولوا قياسها بـ«العقل»، باعتباره أداة التيقن الواحدة والوحيدة: فما يقبله العقل هو الصحيح، أما ما لا يقبله ويحس به العقل البشري، فهو من الأسطورة أو الخيال. لذا ذهب البعض من هؤلاء إلى الاعتقاد بأن الروح إنما هي نوع من أنواع الطاقة التي يمكن تشبيهها بالطاقة الأثيرية أو الضوئية أو الكهربائية أو بأشكال أخرى من الطاقة، أشكال لم يتمكن العلم من اكتشافها حتى اللحظة. لقد حاول العلم المادي الحديث تشخيص وتجريد القوى الروحية عن طريق ما أسماه بالإدراكات فوق الحسية، مترجمًا هذا النوع من التفكير عبر حقل علمي جديد نسبيًا سمي بـ«الباراسايكولوجي»، في محاولة لإيجاد حقل مشترك بين العقل والروح.

هكذا تبلور التنافر أو التناقض الجذري بين الروحي والمادي عبر تاريخ الإنسان: فعبرت الممارسات الصوفية (الإسلامية وغير الإسلامية كالهندية) عن هذا التناقض عن طريق تعذيب الجسد ولجم شهواته ونزواته من أجل إطلاق الروح إلى الأعالي لولوج أجواء سامية يخفق

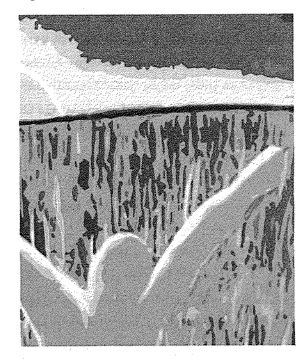
الإنسان العادي المتعامي بالماديات عن الوصول إليها. وتنطبق ذات الحال على الممارسات الرهبانية التي تقدم للجسد اليسير مما يكفي للبقاء من أجل تحقيق «الرفاه» الروحي. ثم نحى مفهوم الروح، تبعًا لتنوع الديانات المنزلة وغير المنزلة، مناحي مختلفة ومتناقضة أحيانًا، لدرجة أن كل إنسان حساس وذكي أخذ يطور مفاهيمه الروحية الفردية الخاصة، معبرًا عنها بطرائق مختلفة وبتفصيلات وتفضيلات لها صلة بالحظ وبحسن الطالع أو بإشارات السوء، بالتشاؤم أو التفاؤل، وهكذا. حتى إذا ما جاء العصر الحديث، ودخلت المكنة والتقنيات العصرية الحياة اليومية للمجتمعات، أخذ التنافر بين الروحي والمادي يتبلور على نحو صراع أو صِدام يصعب حله أو تسويته.

لم يشهد التاريخ الحديث تعابير للصراع بين المادي والروحي كما حدث في لحظة تاريخية نادرة، وهي عصر الثورة الصناعية، خاصة في بريطانيا، حيث ظهرت أوائل الهجمات على المعتقدات الدينية والروحية من قبل المفكرين العقليين والتجريبيين الذين اتخذوا العقل فقط



أداة للإدراك. وقد توافق هذا مع انتشاء الحركة العلمية والروح التجريبية وظهور نظريات مناقضة للافتراضات الدينية المسيحية، كنظرية أصل الأنواع لداروين ونظريات تسفيه أفكار الكتاب المقدس الخاصة بمواضيع كالخليقة وأصل الوجود والنبوءات وسواها من المعتقدات الروحية التي بقي الإنسان الأوروبي يحتضنها طوال دهور جيلاً عن جيل، خاصة بعد انتشار المسيحية في الغرب. وهكذا وجد الروحيون أنفسهم في معسكر معاد للماديين وللعقليين، خاصة بعد الاكتشافات الآثارية المهمة في مواقع عتيقة بالشرق الأوسط. وهي اكتشافات ألقت الكثير من التشكيك على نظريات الكتاب المقدس حول تاريخ الإنسان وحول فكرة الخليقة كما يقدمها الإنجيل. لقد حاول رجل روحاني من نمط جون رسكن Ruskin أن يحرر نفسه من «تجاوزات» الكشوفات العلمية، فوجد نفسه غير قادر على النوم بسبب ما تلقيه التنقيبات الآثارية على معتقداته التي احتضنها منذ نعومة أظفاره، قائلاً: «إنهم لا يحفرون بمطارقهم تربة الماضي، وإنما يدقون على آيات الإنجيل». لقد لخص الكاردينال جون هنري نيومن Cardinal Newman (زعيم حركة أوكسفورد Oxford Movement) المشهد المادي في أوروبا ذلك العصر باعتباره معركة عالمية بين الإيمان والإلحاد، كاتبًا: «في هذه الأيام...تتجه المؤشرات خارج الكنيسة الكاثوليكية نحو الإلحاد بشكل أو بآخر، وعلى نحو أسرع بكثير مما كان يحدث في الماضي بسبب ظروف العصر. ياله من مشهد، وياله من أفق، ذلك الأفق الذي تقدمه أوروبا كلها اليوم (ليس في أوروبا فقط، بل في كل حكومة وحضارة عبر العالم ترضخ لتأثير العقل الأوروبي). إن الفكر المثقف في إنكلترا وفرنسا وألمانيا هو الذي يقدم لنا هذا المشهد». وعلى نحو يتناغم مع معتقدات نيومن في التاريخي وفيما هو «فوق تاريخي»، وفي العقلي معاكسًا للروحي، رأى نيومن تيارين مختلفين فاعلين في تاريخ البشرية الكوني، رمز لهما باسم مدينتين: «القدس»، كرمز للتيار الروحي، و«أثينا»، كرمز للتيار العقلي المادي. لذا تابع نيومن أصول الاتجاه العقلي الخالص إلى الحضارة الوثنية الهيلينية الإغريقية (أثينا)، بينما تتبع الاتجاه الروحي إلى فلسطين، (القدس). وهكذا انتقد نيومن اعتماد المؤسسات التربوية المعاصرة على العلوم الليبرالية الدنيوية وما يرافق هذا الاعتماد الوحيد الجانب من إهمال أو حذف للروحي.

وتأسيسًا على الخوف الهاجسي من تراجع التربية الروحية في مجتمعه الذي سقط ضحية للفلسفة المادية-النفعية utilitarianism، ذهب نيومن إلى أن مصادر التربية الروحية للشبيبة والنشء قد برهنت على ضعفها أمام موجة المادية والعقلية، حيث إن التربية المنزلية والمنابع الاجتماعية الجماعية، خاصة الكنيسة الإنكليكانية قد تراجعت وحيدت في مضمار التربية الروحية. هذا ما حدا به إلى ترك الكنيسة الإنكليكانية واحتضان الكنيسة الكاثوليكية في روما، وهي الكنيسة التي كلفته بتأسيس «جامعة كاثوليكية» في إيرلندا. المهم في هذا السياق هو أن نيومن كتب واحدًا من أعظم كتب التنظيرات في تاريخ العالم حول بناء الأكاديمية الحقة، وهو كتابه العملاق (فكرة الجامعة) The Idea of a University، حيث رصد بالدراسة والتحليل دور التربية الروحية (متمثلة بعلم اللاهوت Theology) في بناء الجامعة، مؤكدًا أن وظيفة الجامعة لا يمكن أن تختزل بتخريج «الرجل المهذب» The gentleman، وإنما في تقديم الإنسان «المؤمن». وهكذا انطلق نيومن في تنظيره حول أهمية جميع الأنظمة العلمية والمعرفية والفنية والتطبيقية (كالتاريخ والفيزياء والكيمياء والجغرافية وبقية الأنظمة العقلية) مقارنة بأهمية اللاهوت، الموضوع الوحيد المعني بالتربية الروحية ليقطع المسافة بين خلاصات الأنظمة العلمية المادية والتطبيقية وبين الخلاصات المنزلة والمعارف الروحية الغيبية التي لا



يدركها العقل البشري بدون التنزيل.

وتأسيسًا على المعتقدات التي نوقشت أعلاه، يبرز الكاردينال نيومن وكأنه رجل مضاد للعقل وللفكرية عامة. ولكن قوله إن «المعرفة هي هدف بحد ذاتها» يبدو مربكًا مقارنة بما ذكر. لقد كرس نيومن (الذي يعده النقاد أهم ناثر في تاريخ الأدب الإنكليزي) كتابه (فكرة الجامعة) لفرز وتصنيف العلوم العقلية الصرف، وهي الفروع المعرفية الليبرالية، أو الدنيوية أو النافعة أو المهنية كما كان يسميها في مواضع متنوعة، عن «اللاهوت»، العلم الذي يتناول ويعالج الروحانيات كموضوع فوق فكري meta-intellectual. بالنسبة لنيومن يمكن للمعرفة أن تطور العقل وتنقيه بوصفه عضو العقلنة أو التفكير المتخصص من خلال العلوم العامة التي تؤول إلى تنشئة الإنسان المهذب. بيد أن الإنسان المؤمن حقًا، ليس باعتباره رجلًا مهذبًا دنيويًا فقط، لا يمكن أن نتوقع تخريجه من كلية دنيوية أو قسم متخصص بأحد فروع العلم التطبيقية كعلم الأرض أو الفيزياء، دون ضابط روحي. إن تخصصات علمية وتطبيقية من هذا النوع لا يمكن أن تزود تلميذها بالإيمان الروحي، حسب خط نيومن في التفكير. ولكن مخططه لجامعة دبلن يظهر أنه لم يلغ أو يستبعد أي واحد من فروع المعرفة الدنيوية باعتباره علمًا إلحاديًا أو مضادًا للروحية. لقد تمكن نيومن أن يقدم تبريرات ثاقبة لوجود ولممارسة كل واحد من هذه الاختصاصات المعرفية. ولكنه في ذات الوقت كان يحذر من مغبة تمادي أي واحد من هذه الفروع في تجاوز حدوده فيطغى، لأن هذا هو عين الخلل المادي النفعي الذي كان الكاتب يحتج عليه. لذا فقد حذر نيومن من مخاطر إلغاء أو إسقاط العلوم الصرف، لأن هذه حال شاذة تخل بالتوازن العام لرؤياه للكون Universe المنعكسة في رؤيته للجامعة University، باعتبار أن الثانية بتشعباتها المعرفية الشاملة إنما هي انعكاس تصغيري للكون.

إن الارتجاع إلى تجارب الأمم الأخرى حول الثقافة والتثقيف الروحي يمكن أن تساعدنا في صناعة وتطوير الأدوات التي تساعدنا على تحصين الشبيبة والنشء روحيًا في عالم تعصف به قيم المادة الوحيدة الجانب التي راحت تتخلل جميع الجدران لتصل إلينا، محطمة ثقافة روحية تاريخية تبلورت عبر الدين والإيمان، التربية الأسرية والمأثور الشفهي■



ثقافة المواطنة في إثارة الطموح

الزبير مهداد - المغرب

لا يمكن لأي مجتمع أن ينشئ أجياله ويعدهم الإعداد المحقق لغاياته ما لم يكن له مشروع مجتمعي واضح ومخطط بعناية يحدد التحديات التي يروم التغلب عليها، وما يبتغيه من إعداد أجياله وطرق التنشئة الملائمة التي تضمن بلوغ الغايات.

المشروع المجتمعي هو نتاج التفكير الواعي والمنظم، يوجه خطط المجتمع وبرامجه الاجتماعية. وهو نابع من سياسته وإيديولوجيته ويعبر عن أهدافه البعيدة»[1] وهو يعتمد في سبيل بلوغ ذلك على المؤسسة المدرسية التي تجعل أنواع المعرفة وطبيعة القيم والمبادئ التي يتوقع أن يحملها الناشئ محددة وواضحة وقابلة للتحقيق، معروضة وفق ترتيب متدرج يراعي مستويات نمو الناشئة وطبيعة الحياة المدرسية والوسائل التعليمية المتاحة والظروف الثقافية والسياسية المحيطة وغير ذلك من الشروط.

وفي الحياة المدرسية كما في الحياة الاجتماعية يتطلب إقرار النهج الديمقراطي أو الشوري إشراك الجميع وإسهامهم في بناء صرح العلاقات التربوية بكل حرية وتلقائية، وتجديده وترسيخه بالحوار والنقاش الحر والتلقائي والمسؤول، ضمانًا لتحقيق الوئام وتبادل التقدير داخل المجتمع الصغير. فالتربية على المواطنة تبدأ من هذه النقطة وتتأسس عليها. ولا يمكن للعلاقات التربوية المدرسية التقليدية المنغلقة على نفسها واللامبالاة بالآخر وبحقوقه وبثقافته أن تدّعي القدرة على التنشئة الحضارية والسياسية التي يرام تحقيقها. فلابد من إحلال طرق تعليم بديلة للطرق التقليدية (التي لا تسمح بتبادل العلاقات بين المعلم والمتعلم) وتتيح للتلاميذ ممارسة حقهم في أن يشاركوا أو يناقشوا أو يمارسوا أو يُعملوا فكرهم فيما يتعلمون، وتكرس في نفوسهم الإيمان بحق الاختلاف وجدوى الحوار الثقافي وقيمة التواصل الحضاري والتبادل المعرفي المجرد من كل تعصب وغلو أو أنانية أو انغلاق.

ومن باب التربية على الشورى وثقافة المواطنة وأسس الديمقراطية ترسيخ قيم التعاون والتضامن والمشاركة. وعلى المدرسة أن تعكس ذلك في مناهجها وممارستها اليومية. فمن المعلوم أن عملية التربية لا تقوم على النقل المباشر للمعارف وتعليمها، وقيم التكافل والتضامن لا يمكن تحفيظها للتلاميذ في شكل منظومات أو أراجيز، فبذر هذه القيم يتم من خلال إشاعتها في الحياة المدرسية وفي العلاقات التربوية بين المعلمين والتلاميذ على اختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم الاجتماعية وأصولهم الثقافية. قد يتحقق ذلك بنسب متواضعة من خلال أعمال الإحسان ومشاعر العطف والمودة التي يجب أن يتحلى بها المعلم تجاه تلاميذه ويبديها نحوهم، ولكنه يترسخ ويثبت في ظل العلاقات التشاركية التي تسود المؤسسة المدرسية، وفي ظل

تواصل تبادلي حر وإنساني بين المعلمين والتلاميذ وبين التلاميذ أنفسهم. فينبغي على المدرسة أن تجعل التعليم يعتمد أساسًا على التنشيط الذي تكثر فيه فرص التواصل الحر ومبادلة العلاقات التربوية والاجتماعية التي تتيح بروز مشاعر التكافل الفطرية الكامنة. كما يجب لفت النظر إلى أن إحلال القيم الديمقراطية والتربية على حقوق الإنسان وترسيخ قيم المواطنة في الجو المدرسي لا ينبغي أن يكون ظرفيًا محكومًا بمناسبات خاصة، كما هو سائد اليوم في أكثر مدارسنا، بل يجب أن يتم بصيرورة مستديمة تعبر بصدق عن انفتاح المدرسة وارتباطها بالتغيرات الاجتماعية.

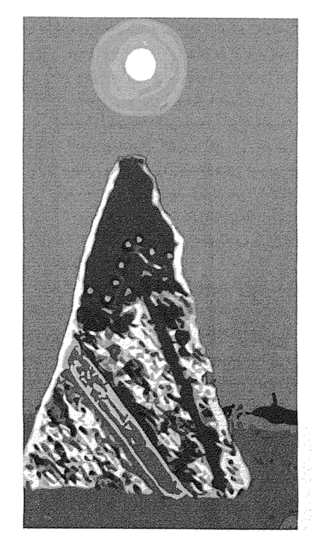
تشكيل نظام القيم

دور المدرسة في بناء قيم صالحة لتشييد صرح البناء الاجتماعي السليم والمتطور، وقدرتها على إشاعة القيم النبيلة في الجسد الاجتماعي يعتمد حتمًا على بناء وتشكيل نظام القيم في الناشئة وصيانة القيم الاجتماعية الأصيلة الخاصة، فلا ينبغي الركون إلى قدرة آلية تعاقب الأجيال على نقل هذه القيم، فهذه القدرة ضعيفة وغير محصنة لأنها تخضع لتأثير العوامل الاقتصادية والإكراهات التاريخية التي لا تقوى الأجيال على التغلب عليها.

لقد ظل المربون والمفكرون والباحثون منذ عقود كثيرة من الزمن يؤكدون أن إرساء القيم الأساسية للمشروع المجتمعي التشاوري مرهون إلى حد كبير بتحقيق النهج الديمقراطي في المؤسسة التعليمية التربوية، ويبينون في الوقت نفسه أن التربية على قيم المواطنة لا يمكن أن تتحقق من خلال دروس الشأن العام وحدها، وأن جميع المعارف المدرسية يجب أن تخضع للقيم وتتضمنها، كما يجب تضمين القيم في كل الأنشطة التربوية المدرسية اليومية الأخرى وكل النظام التربوي المدرسي برمته حتى يتحقق الأمر المنشود(٢).

وقد جاءت توصيات وقرارات المنظمات الدولية الوصية على قطاع التربية والتعليم في العالم مثل منظمة اليونسكو واليونسيف ومكتب التربية العالمي وغيرها تدعو إلى تضمين البرامج التعليمية والكتب والوسائل القيم الكفيلة بتكوين المواطن الحر والمتضامن المسؤول والمتفتح الذي يقدر قيمة الحرية ويحترم كرامة الإنسان ويؤمن بحق الاختلاف. لأجل ذلك تدعو إحدى وثائق اليونسكو إلى العناية بالمقاربة التعددية في مجال اكتساب المعارف، التي تقتضي دعم نمو الفرد وتعزيز إيمانه بقدراته الذاتية واستقلاليته واحترام الآخرين وتطوير معنى المسؤوليات الاجتماعية في سياق التعاون والتآزر والاستقلال المتبادل(٣).

وعلم النفس التربوي - وهو أحد وسائل وأدوات اشتغال المدرسة - يضع في مقدمة أهدافه تشكيل نظام القيم بحيث يسهل انتقال مفاهيم القيم في المجتمع والأهل إلى الأطفال مع الحرص على حماية



قدرة الطفل على الإبداع وتطوير المفاهيم.

المدرسة مدعوة للعناية بالطفل ورعاية الناشئة، وتشكيل نظام القيم حلقة من حلقات هذه الرعاية، فنظام القيم المرتبط بالمعايير الاجتماعية يشكل الإطار المرجعي للسلوك والتنشئة. وبقدر رعايتنا واهتمامنا بالطفولة يرتفع مستوى تشكيل وبناء جهاز القيم، ما ينعكس إيجابًا على الهدف الأسمى، هدف النهوض بالمجتمع.

وفيما يلي تحديد لبعض المحطات التي يمكن الوقوف عندها بانتظام في مسيرة تنشئة الطفولة لبناء سلم القيم بطريقة ذكية وثابتة. ومن هذه المحطات:

تحسين صورة الذات لدى التلميذ

يجب على المدرسة أن تعمل على تعزيز صورة الذات لدى التلميذ. وفي إمكان المدرسين ذلك، ومن خلال مساعدة الطفل على تكوين ورسم صورة مقبولة ومحبوبة عن ذاته، وتزويده من خلال مواقفهم اليومية بمواصفات وأبعاد الصورة التي تشكل الأساس للشخصية، حتى يكتشف الطفل تفرده عن غيره ومزاياه ومهاراته التي تميزه ويختص بها. فكل تلميذ يمتلك خصائص فريدة من نوعها ومواهب شخصية وخيالاً وطباعًا وعواطف وقوى للملاحظة، وقابلية للتحرير والتحليل والإنتاج(٤)، ويكون ذلك كله مصدر اعتزازه ومطية تواصله وتفاعله مع غيره.

فالتلميذ يتقبل من أول وهلة الشخصية التي يعطيها له المحيط ويقوم عادة بالدور الذي تحدده الشخصية التي لم يخترها غالبًا إنما فرضت عليه، فالمدرس الذي يردد باستمرار أمام تلميذه بأنه غبي وكسول، سيؤدي حتمًا بالتلميذ إلى أن يتصرف بإيحاء من هذه الصورة، فالصورة السيئة تحبط عزيمة التلميذ وتشوه تنشئته وتشل فيه كل عزيمة أو طموح.

ولا ينبغي أن يفهم من تعزيز صورة الذات تضخيمًا للأنا، أو احتقارًا للآخر وتجاهلاً له أو إنكارًا لطقوسه وعاداته، والتغاضي عن إبصار أو إدراك أي حقيقة أخرى خارج الذات. فهذا هو التعصب وبداية الطريق للتطرف. لأنه يعوق التفاهم والتعايش والتواصل مع الآخرين.

إثارة الطموح

إن إثارة الطموح لدى التلاميذ الصغار يؤثر في تعزيز صورة الذات لديهم، كما يؤثر في مستوى طموحهم عندما يشبون وفق ما يتلقون من إثارة محبطة أو مشجعة. كما أن مستوى الطموح يوازي درجة هذه الإثارة، وذلك كله يرسم لهم نمط الحياة الشخصية ومسارها في المستقبل، فيكفي أن يوحي المدرس أو المدير أو غيره إلى التلميذ قولاً أو فعلاً بأنه لا يصلح للدراسة حتى يدمروا طموحه ويخنقوا طاقاته ويبقياه طيلة حياته في المراتب الدنيا؛ بينما بالإثارة المشجعة تعزز المدرسة صورة الذات المكتسبة وتحرك في التلميذ دينامية طامحة تسعى لتجسيد أنماط الشخصية الإيجابية الموصوفة والمقتدى بها(٥).

إن تأهيل الموارد البشرية رهين بمدى الإرادة الذاتية والمبادرة المقدامة التي يمكن أن يتوفروا عليها، وسبيل ذلك تحرير الطاقات الكامنة في الناشئة لتأهيلهم لخوض ورش الإنتاج بتنافسية واقتدار، والمساهمة في تنمية المجتمع والمضي به قدمًا على درب التقدم والرخاء.

مساعدة التلميذ على التحرر والاستقلال

لا يمكن تعزيز صورة التلميذ عن ذاته أو إثارة طموحه إلا في جو من الحرية والثقة والمحبة. ومن ذلك إتاحة الفرصة للتلميذ للتعبير عما يريد، وحثه على إبداء رأيه في كل المشكلات المطروحة للنقاش، واحترام الرأي الذي يعبر عنه، وتعويده وتشجيعه على اتخاذ القرار بنفسه بعد توضيح مبرراته وحيثياته وموجباته، وفي ذلك تلبية لحاجات الأطفال إلى الاستقلال التي تعد بحق أهم حاجاتهم النفسية خلال الفترة العمرية التي يشارفون فيها مرحلة المراهقة. فالتعامل مع الأطفال يجب أن يأخذ بعين الاعتبار حاجاتهم، كما يجب أن يتأسس على معرفة

بطبيعة نومهم ومطالبه.

المعلم يجب أن يتعرف التطورات الحالية في الصحة النفسية والعقلية. ونمو الطفل وحاجات المراهق والشاب ودينامية الجماعة. ويرد الحاجة إلى الفردية ويساهم في تحرير المدرسة التقليدية المحافظة من تزمتها وتمحور أنشطتها حول المادة التعليمية، ويساهم في تنمية الروح الاستقلالية والعزائم الخلاقة ليقدم بذلك جيلاً قادرًا على إحداث التنمية الاجتماعية المنشودة [٦].

فوظيفة المعلم هي أن يساعد التلاميذ على مواجهة مشاكلهم لا إلى حلها بالنيابة عنهم، ودفعهم إلى إصدار القرارات التي تهمهم بدل التقرير نيابة عنهم وفرض اختياراته في غيبتهم. ومن خلال ذلك نستطيع أن نصل بأطفالنا في سن مبكرة إلى ممارسة مفهوم المسؤولية والواجب في السلوك والتصرفات، ما يؤدي إلى امتلاك الاعتماد على النفس والسيادة الذاتية وبالتالي إلى أداء الدور الاجتماعي الرائد بحيث يساهم في صون المجتمع من كل انكفاء أو اتكال.

بث روح المسؤولية

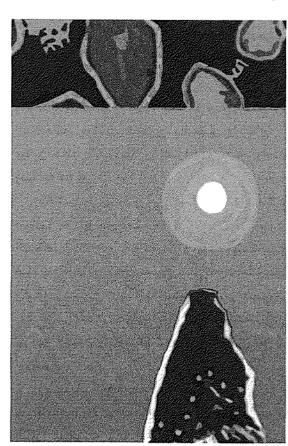
والتدريب على بث روح المسؤولية يقتضي منا تكليف التلميذ بين الفينة والأخرى بتنفيذ واجبات تكبر وتسمو بمستواها بحسب سن التلميذ ونضوجه البدني والعاطفي والانفعالي وبحسب خبرته الاجتماعية، ولا ينبغي أن تقتصر هذه الواجبات على المهام التعليمية المدرسية، بل يجب أن تكون مهمات ثقافية وفنية واجتماعية كتأطير جماعة من الرفاق أو المشاركة في تدبير مرفق جمعوي أو تسيير حساب وتنظيم نفقات حفل مدرسي أو قيادة فريق بحث أو غير ذلك، لتحسيسه بقدره وتنمية روح المسؤولية لديه وزيادة ثقته بنفسه وإتاحة فرصة الشعور بلذة الانتصار عند نجاحه في أداء مأموريته، وفي ذلك ما فيه من إثارة الطموح وتعزيز صورة ذاته لديه.

ففي هذه الأنشطة والأدوار تعويد للتلميذ على احترام الأنظمة ما يعد خطوة أساسية في تشكيل معايير السلوك والمحافظة على حقوق الآخرين وعلى استمرار التواصل بينهم. من أجل ذلك ينبغي التعامل بثبات مع هذا الموضوع حتى تترسخ لدى التلميذ قواعد السلوك وأسس النظام، وهذا يتطلب أن يكون المدرسون قدوة.

إحاطة التلميذ بالمثل العليا

وهذا المطلب يؤكد أهمية وجود أنماط ونماذج سلوكية في حياة التلميذ يقتدي بها توضح له بطريقة غير مباشرة المبادئ والمواصفات المرغوب التحلي بها.

فمن المعلوم أن التقليد يؤدي دورًا مهمًا ومؤكدًا في اكتساب التلميذ من خلال محيطه الأمثلة والأنماط السلوكية، فالامتثال مهم ولازم وضروري في سبيل التعلم والتطبيق والتعزيز، لذلك ينبغي إحاطة المتعلم بالمثل العليا التي تشكل الإطار المرجعي في السلوك والقواعد والمعايير التي على أساسها ينبغي أن تتخذ المواقف. فهذه المثل العليا ستكون منطلقًا لتكوين الصورة المرغوبة عن الذات من خلال الطموحات المتسامية باستمرار.



محاربة التعصب

التعصب هو ممارسة الاتجاه النفسي الجامد المشحون انفعاليًا، أو ذلك الحكم المسبق الذي لا يقوم على سند منطقي ويحاول صاحبه تبريره ومن الصعب تعديله. والتعصب نقيض الديمقراطية وآفتها. لأنه شعور مرضي يفتك بالمجتمع ويدمر فيه روابط الألفة والمحبة والتعايش.

وفي كثير من فصولنا الدراسية تشيع هذه الاتجاهات النفسية الجامدة والمشحونة انفعاليًا. وكثيرًا ما نروج أو نسمح بترويج أحكام مسبقة ضد أشخاص أو أفكار دون أن تقوم تلك الأحكام على حجة معقولة أو سند منطقي مقبول. وكثيرًا ما يتعلم منا أطفالنا التعصب، بوعي منا أو في غفلة عنا، حين لا نبدي احترامًا لاختيارات تلاميذنا وأذواقهم، ونرفض تقبل الاختلافات أو لا نخلق بطرقنا التعليمية وعلاقاتنا بأطفالنا أجواء التسامح في فصولنا الدراسية(٧)، ولا يفهم من تربية الاختلاف تكوينًا للفرد على أن يختلف بتفرده هو فقط. بل هي تربية على أن يقبل تفرد غيره واختلاف الآخرين معه، منفتحًا عليهم ومدافعًا عن حقهم في الاختلاف(٨).

أنشطة الاكتساب

الأنشطة التي يمكن للمدرسة أن تضمنها القيم السالف ذكرها وتحقق الغايات التي تم إحصاؤها والتنويه بها كثيرة ومتعددة ومتنوعة، ولن تعدم المدرسة فرص تقريرها وتنظيمها ومنها:

❖ تشجيع التلاميذ على الانخراط في الجمعيات التربوية التي تعمل وتنشط في كنف المؤسسة المدرسية. أمثال جمعيات التعاون المدرسي والأندية الرياضية والثقافية المدرسية. وإشراكه في تسييرها وتدبير شأنها.

❖ إشراك التلاميذ في الاجتماعات المدرسية التعليمية والتربوية والتأديبية، وإسناد أدوار ومهام ضمن الاجتماعات لتحسيسه بأهمية رأيه وتحميله حصته من المسؤولية في تسيير شأن مؤسسته.

❖ تنظيم النشاطات الكبرى من حفلات ومهرجانات ومعارض واستعراضات وجعل التلاميذ محور كل هذه النشاطات التي تقام في المدرسة.

❖ تنظيم المحاضرات والندوات وحلقات التدريس الجزئي باستغلال مناسبات الأعياد والأيام الوطنية والدولية.

❖ إحداث قنوات اتصال ووسائل إعلام وتثقيف رخيصة الثمن وميسورة مثل المطبوعات والنشرات الإعلامية الموجزة والملصقات والمطويات التي ينبغي إعدادها بعناية وإتقان وبإشراك التلاميذ.

فالجمعيات التربوية والأندية تتيح الفرص الذهبية للتلاميذ لتبادل الزيارات والتعارف والاشتراك في الحفلات وحلقات النقاش والتفاعل والاحتكاك بالآخر، وتدفعه إلى عمليات جديدة من الاكتساب ما يساعده على بلورة شخصيته وفي اتخاذ المواقف التي تصقل هذه الشخصية وتوضح توجهاتها، حتى تتعزز قدرتها على التأثر والتأثير والتفاعل، ويقوى الانتماء للمجتمع والقناعة بأن الانعزال والهامشية خطر على المجتمع ■

الهوامش

١ - أوزي، أحمد: أي شباب لأي مجتمع في مستهل الألفية الثالثة - مجلة علوم التربية مجلد ٣ عدد ١٢ أكتوبر ٢٠٠١م.

٢ - راجع: مكسي، محمد إصلاح التعليم والتربية على المواطنة، جريدة الاتحاد الاشتراكي ٢ نوفمبر ٢٠٠٢م.

٣ - وثيقة (المبادئ الموجهة للتربية على القيم المخصصة للارتقاء، بالبعد الإنساني والدولي للتربية) الصادرة عام ١٩٨٨م.

٤ - كانتور، نتايل: المعلم ومشكلات التعليم والتعلم، ترجمة حسن الفقي وفرنسيس عبدالنور: دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢م.

emetsys ud noitarobale L.J.ruokahC - ٥
euqigolohcysp erutluc nI .sruelav sed

٦ - كانتور، نتايل مرجع سابق ص ٣٠١ .

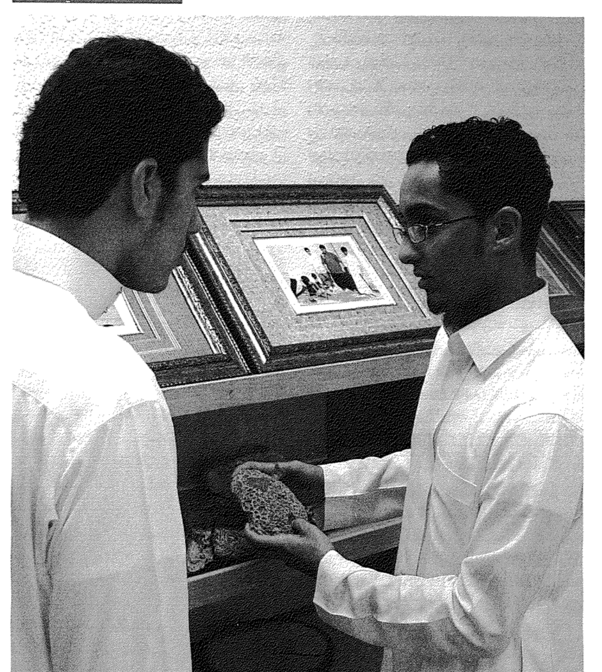
٧ - كانتور، نتايل مرجع سابق ص ٣٤١ .

٨ - الانتصار، عبدالمجيد: تربية الاختلاف مقالة بجريدة الاتحاد الاشتراكي ١٢ ديسمبر ٢٠٠٢م .

تقدم للتلاميذ خبرات حية قوية التأثير :

قواعد لاستخدام الوسيلة التعليمية

محمد عباس عرابي - مصر



يتوقف التعليم الفعال على تكوين مفاهيم دقيقة عند المتعلم، وتعتبر الخبرات الحسية أساسًا لكل فهم يكتسبه الطالب في حجرة الدراسة، وما لم يربط هذا الطالب الكلمة المنظومة أو المكتوبة بخبرة ماضية أو حاضرة فإن من المحتمل أن يكون المفهوم غامضًا لا معنى له. وهنا يأتي دور تقنيات التعليم التي تمد الطالب بالخبرات الحسية المتنوعة. فتجعل ما يتعلمه واضحًا مفهومًا وتزيد من خبراته وتجعله أكثر استعدادًا للتعلم والإقبال عليه.

-إذا أحسن المعلم اختيار واستخدام تقنيات التعليم وتحديد الهدف فيها وتوضيحه في ذهن الطالب، فإن هذا يؤدي إلى زيادة مشاركة الطالب الإيجابية في اكتساب الخبرات، وتنمية قدرته على التأمل ودقة الملاحظة، واتباع التفكير العلمي للوصول إلى حل المشكلات، ويؤدي هذا الأسلوب إلى تحسين نوعية التعلم وزيادة مستوى الأداء عند الطلاب وإشباع حاجتهم للتعلّم.

- للوسائل التعليمية خاصية إثارة الحماس في الأفراد، فتدفعهم إلى أن ينشطوا أو يقوموا بما تدعو إليه الوسيلة التعليمية، فإذا شاهد الطالب فيلمًا عن أضرار الذباب أو تمثيلية عن آداب المائدة أو نموذجًا عن تسوس الأسنان أو غيرها من الوسائل التعليمية، فالمأمول أن يدفعه هذا إلى الاشتراك في مكافحة الذباب أو ممارسة آداب المائدة أو العناية بأسنانه وهكذا.

- الوسائل التعليمية تساعد على اشتراك جميع حواس المتعلم في تحصيل الخبرة. وهي بذلك تساعد على إيجاد علاقات راسخة بين ما تعلمه التلميذ، وما يترتب على ذلك من بقاء أثر للتعلم.

- معالجة الوقوع في اللفظية:والمقصود باللفظية استعمال المعلم ألفاظًا ليست لها عند التلميذ نفس الدلالة التي لها عند المعلم، ولا يحاول توضيح هذه الألفاظ المجردة بوسائل مادية محسوسة تساعد على تكوين صور مرئية لها في ذهن التلميذ، ولكن إذا تنوعت هذه الوسائل فإن اللفظ يكتسب أبعادًا من المعنى تقترب به من الحقيقة، الأمر الذي يساعد على زيادة التقارب والتطابق بين معاني الألفاظ في ذهن كل من المعلم والتلميذ.

فالتلميذ بالمرحلة الثانوية الذي يدرس تكوين البروتين داخل الخلية ضمن مقرر الأحياء قد يصعب عليه تصور مراحل التكوين داخل الخلية لزيادة التجريد والتخيل، ولكن قد يساعد فيلم تعليمي حول تكوين البروتين في تقليل درجة التجريد، وحدة اللفظية.

- زيادة ثروة التلاميذ من الألفاظ: فكلما كانت الألفاظ التي يتعلمها التلميذ ذات معنى واضح - وهذا ما تفعله الوسائل التعليمية - فإن هذا يعني وفرة ذخيرة الفرد من أدوات الاتصال اللغوية، ويتمثل هذا في رحلة لمصنع صابون حيث

يرى التلاميذ خطوات صناعته، ويلجأون إلى التعبير عما شاهدوه وخبروه، مستعملين ألفاظًا جديدة ذات معنى واضح بالنسبة لهم، مثل التسخين والغليان والأنابيب، والصودا الكاوية..إلخ. فكل هذا وغيره من الاصطلاحات يعين التلاميذ على التعبير عن خبراتهم بسهولة.

- تعمل الوسائل التعليمية المتنوعة على تكوين بناء المفاهيم الصحيحة، حيث نستطيع أن نبين أوجه الشبه والاختلاف في موضوع الدرس، فيعمل ذلك على تصنيف الخبرات لدى الطالب، وتستمر هذه الوظيفة معه، فكلما مر بخبرات جديدة كلما ازداد قدرة على تعديل الخبرات السابقة وإعادة تصنيفها فيزداد فهمًا للمعاني حتى يصل إلى تكوين المفاهيم والتعميمات الصحيحة التي تساعد على إتمام عمليات الاتصال والتفاهم.

- يمكن عن طريق تقنيات التعليم تنويع أساليب التعزيز التي تؤدي إلى تثبيت الاستجابات الصحيحة وتأكيد التعلم. ولعل أوضح مثال لذلك من الوسائل التقنية الحديثة هو استخدام التعليم البرنامجي، حيث يعرف الطالب مباشرة الخطأ أو الصواب في إجابته فور إبدائها، فيتم تعزيز الإجابة السليمة ويستمر في تعلمه. ويمكن أن نستخدم وسائل كثيرة لتحقيق هذا الغرض كأن يشاهد الطالب أحد الأفلام التعليمية للإجابة عن الأسئلة والمشكلات التي تصادفه. أو الاستماع في أحد معامل اللغات إلى تسجيل صوتي لأدائه ليتعرف فورًا على كيفية نطقه فيصححها.

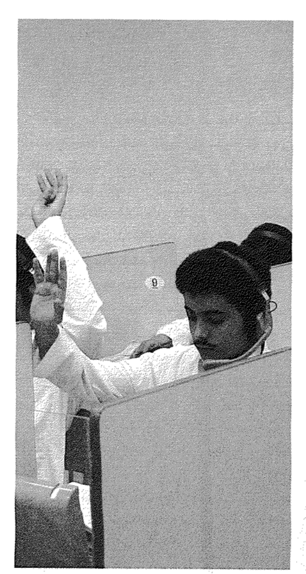
- تتصف الوسائل التعليمية الناجحة بأنها تقدم للتلاميذ خبرات حية وقوية التأثير، ويبدو أن هاتين الصفتين تؤديان إلى بقاء أثر ما يتعلمه التلاميذ.

وتدعم هذه الظاهرة الأبحاث والمشاهدات اليومية. فالتعلم عن طريق التوضيحات العملية والأفلام والرحلات والتمثيليات وغيرها من الوسائل التعليمية ألصق بالنفوس وأبقى أثرًا، بصفة عامة، من كثير من الأمور المتعلقة بالألفاظ.

- تعمل الوسائل التعليمية المعتنى بإخراجها على تسلسل أفكار الطلاب وتماسكها بما تقدمه لهم من خبرات حاسية مشوقة مرتبطة ومصاحبة للموضوع وعلى تتبع التلاميذ له، فإن هذا يساعدهم على التفكير جديًا في الموضوع المعروض عليهم.

- تعين الوسائل التعليمية على مواجهة الفروق الفردية بين الطلاب: فمن المؤكد أن الطلاب يختلفون في قدراتهم واستعداداتهم، فمنهم من يستطيع أن يحقق مستوى عاليًا من التحصيل من الاستماع إلى شرح أستاذه ومناقشته، ومنهم من هو في حاجة إلى الخبرات البصرية والسمعية وإجراء التجارب ومشاهدة العروض العملية كي يصل إلى هذا المستوى العالي من التحصيل، وينادي الاتجاه الحديث في التعليم باستخدام العديد من الوسائل التعليمية مجتمعة كي يسير كل طالب في تعلمه حسب قدراته ويختار من الوسائل ما يحقق له أفضل تعلم.

- توسيع مجال الخبرات التي يمر فيها الطالب لا سيما في الموضوعات بعيدة المنال مثل: دراسة الحياة



في بلاد الأسكيمو، أو الحياة في قاع المحيطات، أو حياة الحيوانات المتوحشة، أو دراسة تفجير الصخور بالديناميت، أو مشاهدة منظر عام لمدينة.

- تستخدم بعض تقنيات التعلم كالملصقات وبعض الأفلام التعليمية في محاولة تعديل سلوك الطلاب واتجاهاتهم وإكسابهم أنماطًا جديدة من السلوك في المجالات المختلفة مثل: اتباع العادات الصحية في المرور، أو التغذية أو الصحة وذلك تأكيدًا للاتجاهات التي تتمشى مع قيم واتجاهات المجتمع.

قواعد استخدام الوسيلة التعليمية:

استخدام الوسيلة التعليمية للموضوعات الدراسية المختلفة لا يعتبر ديكورًا جماليًا لبيئة التعلم، لذلك يجب الأخذ في الاعتبار عدة معايير كي تتحقق الأهداف المنشودة من استخدامها، وأهم هذه المعايير ما يلي:

- أن توافق الوسيلة التعليمية الغرض الذي نسعى إلى تحقيقه منها. فالأفلام المتحركة مثلا تصلح لتقديم المعلومات التي يكون عنصر الحركة أساسيًا فيها، بينما تفي الصور والأفلام الثابتة والشرائح الشفافة بالغرض إذا لم تكن الحركة مهمة في الموضوع. أما إذا كان المطلوب اكتساب مهارات لغوية فقد يكون من الأفضل استخدام شريط تسجيل سمعي يمكن أن يدل الطالب إلى النطق السليم، وأيضًا يسجل عليه حديثه ليتبين مدى اكتسابه لقواعد النطق الصحيح في اللغة.

- صدق المعلومات التي تقدمها الوسيلة التعليمية ومطابقتها للواقع وإعطاؤها صورة متكاملة عن الموضوع. ولذلك يجب أن نتأكد من أن هذه المعلومات ليست قديمة أو ناقصة أو محرفة، إذ من الجائز ألا يسير إنتاج هذه الوسائل بسرعة التغير والتقدم في مجالات المعرفة الكثيرة، كما هو الحال في بعض الخرائط، فإذا ما تبين ذلك للمعلم قبل استخدام هذه الوسائل وجب عليه أن يبحث عن الجديد منها إذا وجد، أو يعالج هذا الخطأ أو التحريف بإضافة المعلومات الجديدة عند عرض الموضوع، أو تصحيح الخطأ الذي جاء في المعلومات التي تقدمها الوسيلة التعليمية.

- مدى صلة محتويات الوسيلة بموضوع الدراسة. فكثيرًا ما نجد أن أجزاء كثيرة من الأفلام التعليمية ليست وثيقة الصلة بالموضوع الذي يدرسه الطلاب مع ما يمتاز به الفيلم من الدقة العلمية والتصوير الجيد. وأمام المعلم طريقتان لمعالجة هذا النقص. فإما استبدال الفيلم واستخدام آخر ألصق صلة بالموضوع، أو الاقتصار على عرض جزء الفيلم الذي يتصل بالموضوع.

- أن تكون الوسيلة في حالة جيدة، فلا يكون الفيلم التعليمي مثلاً مقطعًا، أو الصورة غير واضحة، أو تكون الخريطة ممزقة، أو التسجيل الصوتي مشوشًا، فكل هذه العيوب تعوق التعلم وتنفر الطالب من الدرس وتشتت انتباهه، وتقلل من اهتمامه فيدرك أن المعلم لا يأخذ عمله بمأخذ الجد، فينعكس ذلك على سلوكه فيميل إلى الاستهانة واكتساب اتجاهات سلبية نحو العمل والإتقان وحسن الأداء.

- مناسبة الوسيلة لأعمار الطلاب ومستوى ذكائهم وخبراتهم السابقة التي تتصل بالخبرات الجديدة التي تهيؤها هذه الوسائل، وذلك من حيث اللغة المستعملة وعناصر الموضوع الذي تعرضه وطريقة العرض.

- ينبغي أن يكون العائد من استخدام الوسيلة التعليمية يتناسب مع ما ينفق عليها، وإلا كانت غير اقتصادية، ووجب البحث عن غيرها أكثر مناسبة من الناحية الاقتصادية. فيجب أن تساوي الوسيلة الجهد أو المال المبذول في إعدادها أو في الحصول عليها.

- أن تؤدي الوسائل التعليمية إلى زيادة قدرة الطلاب على التأمل والملاحظة وجمع المعلومات وبقية قدرات التفكير العلمي.■

المراجع

- علي راشد، الجامعة والتدريس الجامعي، جدة، دار الشرق، ١٩٨٨.
- كمال الجندي، استراتيجيات ومهارات التدريس، الإسكندرية، دار الجمهورية للطباعة، ٢٠٠١.
- كمال زيتون، التدريس (نماذجه ومهاراته)، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٣.

المناخ وطبيعة الأرض تؤثر في تكوين صفات الإنسان

الياباني مخلص ويبتكر حلولاً ذكية
الفرنسي يهتم بالتفاصيل والكبرياء القومي
الطوارقي يبدو أكثر جموداً لكنه شاعر
الأسكيمو لا يحتاج إلى أساليب جديدة للبقاء

إياد أبو عوض - موسكو



لو افترضنا أن يقوم شخصٌ ما، لم يغادر منزله منذ ولادته، بالنظر إلى صور لمواقع متعددة من الأرض وشعوبها؛ فإنه بالتأكيد سيشعر بدهشة شديدة تجاه هذا التنوع والاختلاف في طبيعة التكوينات الجغرافية المتعددة، وتجاه هذه المجموعات والأجناس المختلفة من البشر الموجودة على هذا الكوكب الصغير (مقارنة بما يحيط به من كواكب ونجوم ومجرات تغطي مساحة هذا الكون الشاسع الذي نعيش فيه).

الأمر المثير للتفكير في هذا الموضوع هو- وبالرغم من أصل العنصر البشري الواحد ونشوئه كما نعرفه وكما تخبرنا به كل الأديان والحضارات- أن البشر تمكنوا من غزو كل بقعة من بقاع الأرض، وتأقلموا مع الظروف والعوامل البيئية السائدة في ذلك الموقع الجغرافي الذي عاشوا فيه. وليس هذا فقط، بل تمكنوا أيضًا من تطويع المعطيات المحيطة بهم لصالحهم ولصالح استمرارهم في الحياة وتطويرها وتحسين ظروفها بما يضمن توفير أسس أفضل لأجيالهم القادمة.

النظر إلى هذه اللوحة الفائقة الجمال التي هي تنوعنا واختلاف ألواننا وأشكالنا ومظاهرنا وحضاراتنا وعاداتنا وموروثاتنا يمنحنا شعورًا بالغبطة (إلى حد ما) لأنه يؤكد حقيقة واحدة وهي أننا قادرون على العيش والحياة والتقدم مهما كانت طبيعة المكان الذي نجد أنفسنا فيه.

ألا يثير فينا الدهشة معرفة أن بعض المجتمعات البشرية تمكنت من التأقلم والحياة في أقسى الظروف؛ في أكثر المناطق برودة وفي أشدها حرًا؟ ألا يعتبر من الألغاز الحقيقية كيف أن مجموعة من البشر تعيش في أكثر مواقع الأرض ارتفاعًا، ولم يكتفوا بذلك، بل تمكنوا أيضًا من تشكيل مجتمعات متكاملة هناك؟

يعتبر الماء وتوفر مصادره من أهم العوامل التي جذبت البشر للاستقرار والاستيطان والزراعة وغيرها؛ وذلك لأن الماء هو مصدر الحياة، والعامل الأساسي في تسهيلها والسماح باستمراريتها... إذًا من المنطقي القول إن البشر، في تاريخ وجودهم الطويل على الأرض، استقروا فقط حول مصادر المياه وعلى ضفاف الأنهار وبجانب البحار والمحيطات وحول البحيرات الكبرى أو في الواحات الخضراء... لكن هذا الاستنتاج تنقصه الدقة؛ فقد تمكن الإنسان من استيطان الصحارى بحرارتها المرتفعة وبشح الماء فيها، وتمكن أيضًا من الاستقرار في أجزاء قريبة من القطب الشمالي ببرودة بيئته، وتمكن في كل الحالات من إيجاد السبل التي تكفل دومًا حياته وتحسينها.

نصل الآن إلى فكرة أخرى؛ كان تأثير الإنسان في البيئة المحيطة به وتطويعها لصالحه خلال التاريخ حقيقة واضحة... فهو استعمل المياه لحياته واستخدم النبات والحيوان لمأكله ومشربه وملبسه، واستخدم عناصر بيئية أخرى في إنشاء مسكنه مثلًا... إذًا تأثيره في الطبيعة المحيطة به واضح للعيان... السؤال الذي ينتج عن كل ما سبق هو: هل للبيئة ولطبيعة الأرض والمناخ تأثيرٌ على تكوين صفات الإنسان؛ تأثير في شخصيته وفي طريقة تفكيره؟ هل لهذه الأمور علاقة مباشرة بتشكيل مواهبه وهواياته واهتماماته؟

يحدد لنا كل من علم الاجتماع وعلم النفس

في النظرية الخاصة بشخصية الإنسان أن هذه الشخصية وصفاتها –إلى حد ما- تولد مع الإنسان نفسه... هنا نتحدث عن محددات بسيطة موروثة بحكم الجينات وتوارث الصفات المنقولة من الجد إلى الأب إلى الإبن... من هذه الصفات نذكر المزايا الجسدية كلون الشعر ولون العينين والطول... إلخ... لكن علم النفس الحديث يضيف أيضًا أن بعض الصفات المعنوية يتم توريثها كذلك... هذا التوريث محدودٌ بالطبع... فالمحيط والعوامل البيئية والمجتمع بعاداته وتقاليده وأسلوب التفكير العام فيه وعملية التعليم التي يخضع لها شخصٌ ما، كل هذا يساهم في تكوين القدر الأعظم من هذه المواصفات.

البحث الخاص بموضوعنا هذا ليس بجديد: فالتفكير في هذه العوامل والمؤثرات قديم جدًا... فقد تم التطرق إلى قضية أثر الجغرافيا الطبيعية وعوامل المناخ في تكوين شخصية الإنسان وبحثها بإسهاب



شديد في كتاب «طريقة عمل عوامل الجغرافيا في التاريخ» The Operation of Geographic Factors in History الصادر في عام ١٩١١ لمؤلفه إلين تشيرشل سمبل Ellen Churchill Semple... حيث تحدث الكاتب عن أن الأرض تساهم بشكل فاعل في صنع صفات الإنسان الذي يعيش على ظهرها: فهي بجغرافيتها ومناخها تقدم للإنسان مهمات محددة عليه أداؤها ليتمكن من الاستمرار بالحياة، عليه التأقلم مع ظروفها ليتمكن من إيجاد طعامه وشرابه... الأرض نفسها تقدم له المعضلات التي عليه أن يفكر ويتعاون مع الآخرين من أجل الوصول إلى حلول لها تفيده هو كفرد وتفيد المجموعة ككل... فالمؤلف يذكر لنا أن الإنسان الموجود في مناطق جبلية تكون عضلات ساقيه قوية لتمكنه من التسلق والسير في طرق تعلو بمسارها، وفي المناطق الساحلية تكون عضلات صدره وذراعيه أقوى لتمكنه من السباحة وصيد السمك على متن قاربه، أما على ضفاف الأنهار فتكون قدرة عضلاته المختلفة متساوية تقريبًا فهو بحاجة إلى الاستفادة من الأرض الخصبة المحيطة بالأنهار لزراعتها وحرثها.

فكما نرى، الصفات الجسدية للانسان تختلف حسب موقع وجوده وحسب العوامل الجغرافية المحيطة.

قبل الاستمرار في هذا البحث، علينا معرفة العوامل التي تحدد أسلوب حياة وتفكير كل شخص منّا... هذه العوامل هي نزعات بشرية موجودة فينا جميعًا بغض النظر عن مكان ولادتنا وطبيعة جغرافيته ودرجة الحرارة السائدة فيه طوال السنة... بعض هذه العوامل توجد مع الإنسان لحظة قدومه إلى هذه الدنيا وبعضها الآخر يكتسبها خلال حياته... من هذه العوامل نذكر:

- الحواس الخمس.
- المشاعر.
- المعتقدات.
- الاحتياجات.
- العائلة.
- حب الذات (بتفاوت درجاته).
- التعليم.
- الأحلام والطموحات.



- المثل العليا.
- مصادر المعارف.
- الخبرات المحسوسة.
- مقدار التعامل مع الآخرين.
- طريقة الاتصال بالآخرين.
- القصص والأساطير التي تصله.
- الصفات الجسدية.

ماذا إذًا بخصوص الصفات الشخصية والفكرية؟ هل تتأثر هي أيضًا بهذه العوامل؟

نعم، معظم الدراسات تؤكد أن هذه العوامل (الجغرافية والمناخية) لها تأثير كبير في تكوين شخصية الإنسان وتحديد أسلوب تفكيره وطريقة معالجته للأمور... فبفحص دقيق يمكننا أن نرى أن الإنسان الذي يولد في منطقة تحيط به خيراتها (من مياه ونباتات وحيوانات) من كل جانب، ستكون حركته أقل وتفكيره سيكون أكثر استرخاء فيما يخص إيجاد حلول ذكية من أجل الحصول على أساسيات حياته من شخص آخر يولد في منطقة مقفرة لا ماء فيها ولا نبات، حيث إن هذه البيئة القاسية تفرض عليه أن يعمل من أجل إيجاد مصادر المياه (سواء بالبحث عن المياه الجوفية أو تخزين المياه القادمة من مرات قليلة في السنة تمطر فيها السماء) أو أن يبتكر وسائل نقل تمكنه من الحركة باتجاه المناطق التي (حسب الفترة من العام) تتوفر فيها مياه ونباتات وربما حيوانات.

هذه الحقيقة تفسر لنا لماذا تطورت قدرات الإنسان في منطقتنا بشكل كبير في الأزمان الغابرة، ونجد أنه أنشأ عمليات تجارية للتبادل مع غيره من المجتمعات الأخرى... قام باستعمال الخيل والجمال في التنقل... قام بالبحث عن الماء والاستقرار بجانب منابع المياه القليلة، وقام بابتكار أفكار مبدعة فيما يخص بناء منازل تقيه حر النهار الشديد وبرد الليل القارس... في حين أن الإنسان في أدغال إفريقيا لم يستعمل الخيل في التنقل إذ لم يكن بحاجة إلى ذلك؛ فلماذا عليه التفكير في التنقل إذا كان كل ما يحتاج إليه من مستلزمات الحياة متوفرٌ حوله. لم يكن بحاجة إلى إيجاد أفكار إبداعية فيما يخص طريقة تصميمه لبيته، فيكفيه البقاء في ظل واحدة من الأشجار الموجودة حوله بكثافة.

من هذا نعرف أن طبيعة تفكير الإنسان نفسه ستختلف تبعًا لاحتياجاته الحيوية ومدى توفرها أو شحّها، وبالتالي كونه مجبرًا على البحث والتفكير والعمل من أجل الحصول عليها أم لا.

لتحديد مدى التأثير الذي تفعله هذه العوامل يمكننا النظر إلى أمثلة من شعوب مختلفة تعيش في ظروف مختلفة في طبيعة الأرض والمناخ.

اليابان: طبيعة اليابان الخضراء ودرجة الرطوبة المرتفعة في فترات طويلة من السنة، وتوفر المياه من أنهار وبحيرات وبحار وأمطار وغيرها أعطت الياباني صفات خاصة غير متوفرة في العديد من أفراد المجتمعات الأخرى... فابتداءً بلباسه الخاص المسمى «كيمونو» أو النوع الآخر الأقل تكلفة «يوكاتا» يعطي دلالة على توفر الحرير (بخصوص النوع الأول) في طبيعة تلك البلاد أو القطن المناسب لأيام الصيف الحارة في النوع الثاني.

الطبيعة الخضراء المحيطة به جعلت اهتماماته الزراعية كبيرة، وهذا ظاهر في فنون الحدائق الكثيرة التي يهتم باقتنائها وزراعتها ورعايتها كل ياباني تقريبًا حول منزله (نعرف جميعًا أن فن اقتناء ورعاية الأشجار المصغرة المسماة «بونزاي» هي فن ياباني بحت). كذلك فإن طبيعة البلاد المتنوعة تظهر في أنواع الحدائق الثلاثة الأكثر شهرة في اليابان؛ هذه الأنواع هي:

- حدائق تسوكياما: الخاصة بحدائق التلال والمرتفعات.

- حدائق كاريسانسوي: الخاصة بحدائق المناطق الجافة أو الرملية.

- حدائق تشانيوا: الخاصة بطقوس شرب الشاي.

فيما يخص تصميم المنازل في اليابان، نجد أن حقيقة وجود أمطار شديدة لفترات طويلة في السنة جعلت الياباني يفكر في تصميم سقوف محنية (مقوّسة) لتسهيل التخلص من المياه دون تأثيرها على أساسات البيت... كذلك فقد أوجد الياباني حلاً لتجنب آثار الزلازل المتكررة في البلاد وذلك باستعمال مواد أقل تكلفة وأقل وزنًا في البناء وذلك



لعدم تكبد خسائر كبيرة في حالة حدوث زلزال؛ كل هذا يظهر أن طبيعة الأرض تفرض على الإنسان ابتكار حلول وأفكار ذكية.

بالنظر إلى الانتاج الأدبي، فإننا نرى أن المؤلفات اليابانية القديمة تركز فيما ترويه على الأفكار الحربية، وذلك بسبب النزاعات التي كانت سائدة في العصور الماضية وحقيقة اهتمام الياباني في تطوير قدراته القتالية... ففترة التركيز على أدبيات الساموراي[1] التي وصلت إلى حد التقديس تبدو ظاهرة في منتوجات الكتّاب والأدباء في الفترة من ١٦٠٠ إلى ١٨٦٧م.

الأفكار التي تزرع في فكر وعقول اليابانيين منذ نعومة أظفارهم فيما يخص حب الوطن والإخلاص له يجعل الياباني مخلصٌ في عمله ومنتجٌ لأبعد الحدود. وهذا ظاهرٌ في المنتجات اليابانية التي هي في قمة هرم الإتقان والتي نراها تغزو جميع أسواق العالم.

فرنسا: يطغى على حياة البلاد هنا الموروث الثقافي الهائل الذي تحمله منذ مئات السنين... بحكم التطور الثقافي الذي ساد (ولا يزال) حياة الفرنسيين، نجدهم جميعًا مهتمين باستقلالية أفكارهم وبحريتهم الشخصية وبحريات الآخرين بعكس اليابانيين الذين يغلب على فكرهم المفهوم التعاوني والحريات العامة المؤلفة.

طبيعة البلاد الثقافية (وخاصة باريس العاصمة) وانتشار المعالم الثقافية من متاحف فنية وأدبية وتاريخية وغيرها يعطي الفرنسي دائمًا هذا الاهتمام الخاص بالتاريخ الفرنسي وبالكبرياء القومي.

خضرة البلاد وأرضها الخصبة جعلت الفرنسيين من أفضل المزارعين في العالم، وهذا وجههم نحو تحسين منتجاتهم الزراعية وإيصالها إلى أفضل المواصفات.

الأمطار الغزيرة في الشتاء وظهور صور الفصول الأربعة بآثارها المختلفة أعطى الفرنسي تنوعًا كبيرًا في الفكر والرؤى...

الحياة الأدبية الفرنسية هي ربما الأكثر تنوعًا في العالم وذلك لتنوع المدارس الفكرية والثقافية في فرنسا التي تعتبر منبع الكثير من المدارس في العالم.

بحكم آثار الثورة الصناعية، فإن فرنسا من أكثر الدول الصناعية تقدمًا في العالم مما أسهم في تطوير

محاصيل الفرنسيين الزراعية ومنتجاتهم الصناعية ومستوى حياتهم الفردية.

الفرنسي، بحكم كل ما ذكرناه سابقًا، يهتم اهتمامًا فائقًا بالتفاصيل، يدقق في جودة الناتج من عمله، يحب التفرد وإبراز قدراته الابداعية في كل ما يعمل، تتمحور حياته حول العمل الجاد وينتظر بفارغ الصبر إجازته الأسبوعية للقيام بممارسة هواياته، وأهمها هو ما يعتبر الهواية الوطنية في فرنسا وهي صيد السمك؛ حيث تجد -في الأوقات المناسبة من السنة- جميع الشواطئ وضفاف الأنهار مغطاة بالأفراد الذين يقومون بصيد السمك طوال اليوم.

الطوارق (شعوب الصحراء في المغرب العربي): تعيش هذه الجماعات في الصحارى المقفرة.

من غطاء رأسهم إلى لباسهم الذي يغطي كل جسمهم، يظهر لنا فيهم تأثير طبيعة الأرض والمناخ... فغطاء الرأس يحميهم من العواصف الرملية التي عادة ما تحدث في مناطق عيشهم. كل ما يحملوه معهم من مستلزمات الحياة خفيف الوزن (ليتمكنوا من حمله معهم خلال ترحالهم شبه الدائم) وشديد الصلابة (لمواجهة ظروف الصحراء ودرجات الحرارة المرتفعة فيها).

نجد أنهم يتنقلون باستمرار بحثًا عن المناطق الأفضل في ما توفره من مياه وعناصر حياة مهمة أخرى.

في تنقلهم يستعملون الحصان والجمل... حياتهم لم تتغير كثيرًا منذ قرون، ربما لأن ظروف حياتهم الصعبة والتي لم يكن من مواصفاتها الاستقرار، لم توفر لهم الوقت اللازم لإحداث تغيرات جوهرية... لا تزال مظاهر وأفكار وأسس الحياة البدوية ظاهرة في حضارتهم.

هناك من يعتقد أن هذه الحياة الصعبة بل الشاقة إلى حد ما تعطي الإنسان القدرة على التحمل والصبر... وتجعله أكثر جمودًا في أفكاره من الناحية العاطفية من غيره من الشعوب؛ ولكن في نفس الوقت فهي تعطيه إمكانية التفكر والإبداع اللغوي وهذا أمر معروف عن الأشعار الجميلة التي ينظمها أفراد هذه الجماعات في أنحاء مختلفة من العالم.

الأسكيمو: هم مجموعات مختلفة تعيش في مناطق تدخل ضمن حدود عدة دول منها روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

هذه المجموعات تعيش في أقاصي شمالي الكرة الأرضية بالقرب من القطب الشمالي... غني عن الذكر أن درجات الحرارة في مناطق عيشهم تعتبر من أبرد البقع الجغرافية على وجه الأرض.

كلمة «أسكيمو» بحد ذاتها تعني «آكل اللحم النيء»؛ فهم بحكم طبيعة الأرض يفضلون أكل اللحم غير المطبوخ وذلك للاستفادة من المكونات الغذائية الكاملة للحم والتي سيضيع بعضها بالطبخ.

المناطق التي يعيشون فيها ذات طبيعة منخفضة وجرداء بلا أشجار، تبقى الأرض فيها متجمدة طوال فترة الشتاء الطويلة والتي تكاد لا تنتهي أبدًا.

تعتمد هذه الجماعات على الصيد في الغذاء؛ صيد الأسماك أو حيوانات أخرى كالفقمة والحيتان... يعيشون في خيام مصنوعة من جلد الفقمة ويلبسون من نفس الجلد لتوفير أكبر قدر من حفظ الحرارة داخل الخيمة وعزلها عن حالة التجمد في الخارج.

علمتهم الطبيعة القاسية هناك أن يكونوا صنّاع أدوات وصيادين مهرة.

للتنقل يستعمل الأسكيمو القوارب في الأنهار عندما لا تكون متجمدة وفي الشتاء يستعملون العربات التي تجرها الكلاب.

دياناتهم وعاداتهم لا تزال تلك المتوارثة من أصول تمتد إلى بعض الثقافات الخاصة بالهنود الحمر (سكان أمريكا الأصليين).

كل ما يحتاجون إليه طبقًا لأسلوب حياتهم هو نفسه الموروث عن أجدادهم؛ لا حاجة للتفكير في أساليب جديدة أو في طرق مبدعة للبقاء.

يبدو ظاهرًا من كل ما سبق ذكره في هذا البحث أن الإنسان هو -بالإضافة إلى عوامل العائلة والمعتقد الديني أو الفكري- نتاج ظروف طبيعية عديدة تحيط به... وإلا فكيف لنا أن نرى إذًا أرضنا بهذا الجمال والتنوع.■

---

١. الساموراي كانوا سكان القرى الصغيرة والبلدات المقامة بعيدًا عن المدن الكبرى... كان الساموراي مثالاً للمواطن الصالح والمقاتل الشرس في نفس الوقت.

الفيزيائيون يتفوقون على الكيميائيين والمهندسون يستعلون على الأطباء وعلماء النفس والاجتماع يكابدون لملاحقة الركب!

أزمة في عطاءات العلوم

خالد عبدالله الخميس *- الرياض

* أستاذ علم النفس المساعد كلية التربية - جامعة الملك سعود

لقد قدم العلماء في العقود الماضية على اختلاف تخصصاتهم إنجازات علمية مهولة ورائعة تنصب كلها في هدف واحد هو خدمة الإنسان والرقي بمعيشته على كافة الأصعدة. ولقد تطورت المعرفة الإنسانية لمراتب عالية حتى نشأ من التخصصات العامة (فيزياء، كيمياء، أحياء، علم نفس، إدارة...إلخ) تخصصات أخرى فرعية مستقلة. وتلك الفرعية ذاتها نتج منها تخصصات فرعية أخرى ولا زالت المعرفة الإنسانية بين وقت وآخر تواصل نتاجها في سلسلة من العطاءات التي لا تتوقف ولا تنضب.

وهناك قضية جديرة بالتأمل وهي التباين في مستويات الإنجازات بين مختلف التخصصات. فتجد أن بعض التخصصات قد قفزت إلى القمة وقامت بتوظيف إمكاناتها لحل شامل لكل المشاكل التي يستهدفها ذلك التخصص، بينما تجد أن تخصصات أخرى لا زالت في طور التنظير ولم ترق بعد إلى مستوى تطبيقي يقدم خدمات تطبيقية عملية للإنسان تقتلع شيئًا من مشاكله. ولكن منزلة السواد الأعظم للتخصصات الحالية هي منزلة بين منزلتين، فقدمت الكثير من الحلول وينتظرها الكثير.

فعلى سبيل المثال عند مقارنة الإنجازات التي قدمها الفيزيائيون بالإنجازات التي قدمها الكيميائيون نجد أن هناك بونًا شاسعًا بين إنجازات كل منهم. فمعظم الأسئلة التي تساءلها الفيزيائيون قد أجابوا عنها ومعظم الإنجازات المطلوبة منهم قد حققوها خصوصًا في المجال التطبيقي. وبالمقابل بقي عدد من المعضلات في الجانب الحيوي الكيميائي تنتظر حلولاً كيميائية. وفي جانب العلوم الإنسانية نجد أن هناك تراكمات عديدة من المعضلات تنتظر حلولاً لها.

وقبل أن أستعرض ملخصًا موجزًا للإنجازات التي قدمتها بعض التخصصات الرئيسية أود التأكيد أن هذه المقالة لم تكتب بوصفها وصية وقيمة على جميع التخصصات بل بوصفها تمثل مراجعات سريعة لما يدور بخلد رجل الشارع العادي تجاه موقفه من العروض والحلول التطبيقية التي صدرتها له التخصصات العلمية الحديثة والتي تبدي فيما بينها تفاوتًا مختلفًا في مستوى الخدمات المقدمة للإنسان. إن رجل الشارع - الإنسان- لا يأبه بما في بطون الكتب العلمية والأبحاث الدورية من علوم وفلسفات وإنما يؤمن بما يراه بأم عينه من خدمات مفيدة تزرعها له أحد تلك التخصصات.

نواتج الفيزيائيين

لقد قدم الفيزيائيون خدمات إنسانية جمة يلمس أثرها كل انسان يعيش على وجه البسيطة مهما كان موقعه ومهما كان دخله الاقتصادي.

فمن خلال ما قام به الفيزيائيون من معرفة دقيقة لتركيب الذرات وتفسير لكثير من الظواهر الفيزيائية قاموا أيضًا بالإفادة من تلك الكشوفات في تطبيقات صناعية في مجالات مختلفة. فمن خلال فلسفة الموجات الكهرومغناطيسية ظهرت تطبيقات مختلفة كالمصباح الضوئي والتصوير بالأشعة السينية والرادار والميكرويف والراديو والتلفزيون[1]. كما ظهرت بفضل نواتج الفيزياء العديد من الأجهزة المعقدة سواء كانت ميكانيكية أو إلكترونية وغيرها إلى أن وصلت الأمر إلى عصر أجهزة ما بعد الصاروخ.

وتعجب من شدة عزم الفيزيائيين ومثابرتهم حيث لا يكتفون بإثبات البرهان النظري للظاهرة الفيزيائية بل يسعون جادين لتحويل الفكرة النظرية إلى واقع ملموس. فعلى سبيل المثال لم يكتفوا أن تعرفوا على أن الذرات تتألف من نواة وإلكترونات سالبة الشحنة تدور في مدارات حول النواة. ولم يكتفوا أن تعرفوا على أن النواة تتألف من جسيمات غير مشحونة أسموها بالنيوترونات وأخرى موجبة الشحنة أسموها بالبروتونات. ولم يكتفوا أن تعرفوا على أن هناك طاقة تربط البروتونات بعضها ببعض بالرغم من تماثل شحناتها. ولو يكتفوا أن تعرفوا على أن مقدار قوة الترابط هذه أكبر بكثير من قوة التنافر الكهربائي. لم يكتفوا بهذا التنظير كله بل فكروا بوسيلة لفك طاقة

الترابط هذه فعمدوا إلى صناعة المفاعلات النووية[٢] وقاموا بالفعل بشطر النواة وقياس القوة النووية الصادرة عن انشطار النواة. ومن هنا جاء العمل على تحضير القنبلة النووية التي طاقتها تعادل مليون ضعف الطاقة المنبعثة من تفجير الديناميت.

الحاصل أن الفيزيائيين لا يقتنعون بالإثبات النظري للظاهرة الفيزيائية مثل ظاهرة القوة النووية بل يتعدى الأمر للعمل التجريبي ليؤكد هذا الأمر. وتعجب كثيرًا أنهم عندما قاموا بهذا كله لم يكونوا قد شاهدوا الذرة أصلاً إلا أنهم استطاعوا أن يرسموا شكلها وهو أمر يعكس حقيقة ما يتمتع به الفيزيائيون من قدرة تخيلية وذهنية عالية.

ومما يفتخر به الفيزيائيون أنهم قاموا بإنشاء عناصر جديدة لم تكن موجودة أصلاً في الطبيعة. ومن أبرز تلك العناصر التي صنعها الفيزيائيون تكنتيوم (عدده الذري٤٣) ونيبتونيوم (ع=٩٣) وبلوتونيوم (ع=٩٤) وأمريكونيوم (ع=٩٥) وكوريوم (ع=٩٦) وبريكيليوم (ع =٩٧) وواصلوا في التصنيع حتى صنعوا مؤخرًا عنصر العدد الذري[٣] ١١٠ وعنصر العدد الذري ١١١ وعنصر العدد الذري ١١٢ وهم الآن يعكفون على صناعة عنصر ١١٣ وعنصر ١١٤. ونتيجة لأن بعض تلك العناصر لها مجالات تطبيقية فقد صنع منها أعداد كبيرة من الذرات. فلقد أنتج من عنصر البلوتونيوم[٤] المستخدم في المفاعلات الذرية ١٠ ٣٠ ذرات، أي ما يعادل ما وزنه ألف طن[٥]. وبيت القصيد أن الفيزيائيين أصبحوا من القدرة بمكان إنشاء عنصر من عنصر آخر فيحضر عنصر النيون من عنصر الصوديوم ويحضر عنصر النيكل من عنصر الكوبلت[٦].

ولقد خاض الفيزيائيون في جوانب نظرية معقدة فحاولوا من خلال ميكانيكا الكم Quantum Mechanics توحيد القوى الذرية الثلاثة (القوة الكهرومغناطيسية والقوة النووية الضعيفة والقوة النووية الشديدة) من خلال إيجاد صياغة عامة تشترك في نظمها تلك القوى. كما قاموا من خلال قوة الجاذبية والنسبية بتفسير النظام الذي تسير عليه الكواكب والأجرام.

ولقد حق للفيزيائيين أن يتنفسوا الصعداء بعد عجلة سريعة من العطاء الدائم. وفي الوقت الحالي



انحصر دورهم في جوانب نظرية وأخرى تطورية لما هو مكتشف في الأساس. وحق لأحدهم أن يحلم ببزوغ فجر اليوم الذي تخرج آخر نظرية فيزيائية كما عبر عن ذلك العالم الفيزيائي وينبرق Weinberg في كتابه أحلام النظرية النهائية Dreams of a final theory أنه سيأتي يوم يتمكن للعلماء فيه من جمع شتات القوى الفيزيائية الأربعة (القوى الذرية الثلاث مع قوة الجاذبية) تحت مظلة واحدة موحدة.

وبالرغم من الجهود البراقة لإنجازات الفيزياء إلا إنه ينبغي ألا يغفل الدور الخفي الذي تلعبه الرياضيات كأداة ضبط للمقاييس الفيزيائية والتي من خلال المعادلات التي ينتجها الرياضيون توصل الفيزيائيون إلى إيجاد حسابات هامة تحسب مثلاً سرعة الصوت وسرعة الضوء ووزن البروتون ووزن الإلكترون وغيرها من المقاييس الدقيقة.

وقبل أن يقلد الفيزيائيون وسام الشرف ويلبسوا عقد التقدير ويعطوا شهادة عرفان ينبغي أن لا تُبرأ ساحة الفيزيائيين تمامًا فلا زال الإنسان لم ينس ما قدمه الفيزيائيون من كشوفات تدميرية ساهمت في تحطيم الإنسان وزيادة ويلاته. ويظهر هذا جليًا من خلال اختراع القنبلة الذرية ومصائبها المرعبة في

هوريشيما ونجازاكي. كما لا ننسى كارثة الإشعاعات النووية المتسربة من المفاعل الروسي تشرنوبل الذي قضى على كثير من الأرواح. ولا ننسى كوارث المخالفات النووية التي لا زالت السفن المحملة بها تجوب البحار فتطرد من الاقتراب من حدود بعض الدول في الوقت الذي يلوح مرحبًا بمقدمها دول أخرى وللأسف الشديد.

نواتج المهندسين

تمثل الهندسة في الأساس الجانب التطبيقي لنواتج علم الفيزياء فلقد توصل المهندسون من خلال ما قرره لهم الفيزيائيون من قوانين المادة إلى تصميم العديد من الأجهزة التي تخدم الإنسانية.

إن العصر الحديث يشهد ثورة صناعية جبارة ثمرتها تعداد فائق من منتوجات لتصميم الأجهزة والآلات كان بطلها أعدادًا غفيرة من المهندسين. لقد خطى المهندسون خطوات متسارعة في تطوير أداء السيارات والطائرات والرافعات والبرادات والسخانات والراديوات والتلفزيونات والهواتف والحاسوبات والأجهزة الطبية وعدد كبير من الأجهزة التي يصعب حصرها[٧]. كما قاموا بإنشاء العديد من الناطحات والجسور وغير ذلك من المنشآت الضخمة.

وأكثر من هذا فلقد أصبح النوع الواحد من الصناعات يطور كل سنة بطراز جديد فتسمع عن موديلات في كل عام جديد سواء في عالم السيارات أو عالم الحاسوبات وسائر الأجهزة الكهربائية والميكانيكية. والآن أصبح شغل المهندسين الشاغل هو البحث عن المشكلة فقط، أما عمل التصميم الذي يحل تلك المشكلة لم يعد يشكل مشكلة. الأمر الوحيد الذي يقف عثرة أمام المهندسين من المواصلة في عمل الاختراعات والتصاميم هو جانب يتعلق بالجدوى الاقتصادية.

والواقع أن الهندسة لم تكن متوقفة على نواتج علم الفيزياء بل إن لها حظًا آخر من علم الكيمياء، فظهرت لذلك تخصص الهندسة الكيميائية وهندسة النفط من جانب هندسي لتتضافر جهودهم مع الكيميائيين المختصين في الكيمياء الصناعية للعمل بشكل مشترك في تصميم وإنشاء محطة تحلية ماء البحر ومصانع البتروكيماويات والبلاستيك وغيرها.

وإن كان من لوم يوجه إلى المهندسين فهو أمر

الحاصل أن الفيزيائيين لا يقتنعون بالإثبات النظري للظاهرة الفيزيائية مثل ظاهرة القوة النووية بل يتعدى الأمر للعمل التجريبي ليؤكد هذا الأمر . وتعجب كثيرًا أنهم عندما قاموا بهذا كله لم يكونوا قد شاهدوا الذرة أصلًا إلا أنهم استطاعوا أن يرسموا شكلها وهو أمر يعكس حقيقة ما يتمتع به الفيزيائيون من قدرة تخيلية وذهنية عالية

ينحصر في تصنيعهم لأجهزة الدمار والتصنت وغيرها من الأجهزة المتسببة في أذية الإنسان. ومن جانب آخر فلا ننسى أن الزخم الهائل من الأجهزة يساهم في زيادة مستوى الرفاهية وزيادة أوقات الفراغ وبالتالي تعزيز سلوك الكسل لدى الإنسان.

نواتج الكيميائيين

إذا التفتنا للدور الذي يقوم به الكيميائيون فإن هناك العديد من الإنجازات الجبارة التي تمت، فلقد أمكن التعرف على العناصر الكيميائية وطبيعة الروابط التي تربط بين تلك العناصر لتؤلف المركبات. كما أمكن معرفة كيف تتشكل تلك المركبات بل وكيف يمكن تحضير العديد من المركبات في المعمل. ويشكر الكيميائيون على ما قاموا به من جهود ملموسة لخدمة البشرية من خلال تحضير العديد من المركبات الكيميائية المستخدمة في التطبيقات الصناعية والعلاجات الدوائية. وإذا ما نظرنا مثلًا إلى ما أنتجته الكيمياء من خلال التحضيرات البتروكيميائية نجد أنها مستحضرات لا تعد ولا تحصى، يكفيك منها تلك الأنواع المتعددة من قائمة لا نهائية من المنتوجات البلاستيكية (أو اللدائن كما عربها أهل اللغة).

ولقد وسع الكيميائيون علمهم وفرعوا منه علومًا متعددة بل إن كل علم جديد فرعوا منه علومًا أخرى. فعلى سبيل المثال تفرع من علم الكيمياء علم الكيمياء الحيوية وتفرع من الكيمياء الحيوية علم الجينات[٨] الذي يمثل الصيحة العلمية الحالية.

وبالرغم من هذا فهناك العديد من الإنجازات التي لم تتم بعد ولا زالت قيد الدراسة.

هناك العديد من المركبات الكيميائية العضوية لم يتم تحضيرها في المعمل فجانب كبير من المواد العضوية الحيوية كالهرمونات والإنزيمات ومركبات أخرى بروتينية لا زالت تركب بنفس الطريقة التي تركب منها في الجسم. فمثلاً لا زلنا نستورد مادة الأنسولين من أحشاء الحيوانات وبطون البكتيريا ونستخلصها بطريقة تشابه الطريقة التي يتم بها تحضيرها في الخلية. والحاصل أن مادة الأنسولين الموجودة في السوق لم تحضر بطرق صناعية بحتة من خلال إجراء تفاعلات كيميائية في المعمل. وعلى افتراض أنه تم تحضير الأنسولين في المعمل فإن تلك المادة لن تكون بنفس الهيئة الموجودة في الأصل هذا بالإضافة إلى أن تحضيرها يتطلب جهدًا جهيدًا لا يقدر.

والأمر لا يقتصر على مادة الأنسولين وحدها بل إن جميع المركبات البروتينية تندرج تحت هذه القاعدة إذ لا زالت تلك المواد تحضر بنفس الأسلوب الذي يتم به تحضيرها في الخلية[٩]. لا شك أن هذا العجز عند الكيميائيين لتطوير أسلوب جديد يتفوق على أسلوب الخلية في صنع البروتينات يؤكد تفوق الفيزيائيين الذين ذللوا الذرة وتلاعبوا بها.

أمر آخر لم ينته الكيميائيون من إنجازه هو تحليل مفصل لتركيبة الإنسان كيميائيًا بأعضائه وأنسجته إذ لا زالت التراكيب الكيميائية التي أمكن التعرف عليها في جسم الإنسان مشتتة هنا وهناك. وأقل من هذا تعقيدًا فلا زالت تركيبة الخلية على المستوى الكيميائي لم تكتمل بعد. فكل ما هو موجود عن الخلية هو رسمها بناءً على أشكال العضيات والجسيمات التي تحويها الخلية. فلا زال الكيميائيون مدينين للعلم برسم منظومة من التراكيب الكيميائية تمثل شكلاً متكاملاً لبناء الخلية. والحق أن هذه اللوحة لا زالت في بداياتها، فالعلماء أوشكوا مثلاً على الانتهاء من المعرفة الكيميائية الدقيقة لأبرز مكونات الخلية وأهمها على الإطلاق وهي التي تعرف بالكروموسومات (الصبغيات) في مشروع استغرق بضع سنين وكلف الكثير من الدولارات. فإلى أن ينتهي هذا المشروع وتنتهي مشاريع التعرف على كل المركبات الكيميائية وتفاعلاتها ضمن إطار الخلية يمكن رسم صورة دقيقة جدًا للخلية لا تقتصر على تبيان عضيات الخلية فحسب بل تبين جميع التراكيب الكيميائية المكونة لبنية الخلية وآليات تفاعلاتها. لا شك أن لوحة مثل هذه ستكون أكبر لوحة عالمية قد تصل أبعادها إلى بضع كيلومترات مربعة. ولا شك أيضًا أن وجودها يمثل خط البداية لإمكانية النظر للإنسان على أنه جهاز ضخم يعمل فيه بلايين لا نهائية من تفاعلات المواد الكيميائية.

أمر آخر يدل على تفوق الفيزيائيين على الكيميائيين ما أصاب الكيميائيون من فشل ذريع في العثور على جملة من العناصر الكيميائية المفقودة من الجدول الدوري للعناصر الكيميائية -الذي وضعه مانديليف عام ١٨٦٨م- بعد أن قاموا بجهد جهيد من التنقيب عنها بين الأدغال والصخور. ولذا استنجدوا بالفيزيائيين ليحلوا لهم تلك المعضلة فقام الفيزيائيون على التوء بتصنيع تلك العناصر معمليًا وإهدائها للكيميائيين ليضعوها ضمن عناصر الجدول الدوري. ومن أبرز تلك العناصر التي صنعها الفيزيائيون والتي سبقت الإشارة إليها[١٠]: عنصر النيبتونيوم (وعدده الذري =٩٣) والبلوتونيوم (وعدده الذري= ٩٤) وهكذا حتى وصلوا إلى صناعة العنصر ذي العدد الذري ١١٢.

والحاصل أنه لكي يلحق الكيميائيون بركب الفيزيائيين فهناك قائمة لا بأس بها من والأعمال والكشوفات مدرجة في جدول أعمال الكيميائيين تنتظرهم. وحتى يتم الانتهاء من كتابة محاضر تلك الأعمال يمكن القول إن الكيميائيين يستحقون قسطًا كبيرًا من التصفيق المستمر.

الآن أصبح شغل المهندسين الشاغل هو البحث عن المشكلة فقط. أما عمل التصميم الذي يحل تلك المشكلة لم يعد يشكل مشكلة. الأمر الوحيد الذي يقف عثرة أمام المهندسين من المواصلة في عمل الاختراعات والتصاميم هو جانب يتعلق بالجدوى الاقتصادية

نواتج الأطباء

لا أحد يستطيع أن ينكر الدور الذي قام به الطب الحديث في اختفاء كثير من الأوبئة والأمراض السائدة في العصور السالفة. وإذا أردنا أن نهيب بأكبر خدمة قدمها الطب الحديث فهي تتمثل في مجال اللقاحات التطعيمية التي قضت على الإصابة بأمراض وبائية مثل الجدري وشلل الأطفال والسعال الديكي والحصبة والتهاب الكبد الوبائي والحمى الشوكية. وينبغي الإشارة إلى أن ما قدمه الطب لهذه النوعية من الأمراض يتمثل في إيجاد تلقيحات وقائية لتلك الأمراض وليس إيجاد أدوية علاجية لها. بمعنى أن الطفل - غير المطعم بلقاح شلل الأطفال- عندما يصاب بمرض شلل الأطفال فإن الأطباء يبقون مكتوفي الأيدي لعمل علاج له.

وأمر آخر محمود لا يمكن إغفاله هو دور الطب في المجال الجراحي إذ نجحوا نجاحًا باهرًا في استئصال كثير من الأورام والاختلالات العضوية. فأمكن القضاء على الزائدة الدودية والمرارة واللوز والبواسير وتجبير



الكسور وعمل الجراحات التجميلية كما أمكن زراعة كثير من الأعضاء مثل الكلى والقرنية والقلب. هذا بالإضافة إلى الإنجازات الملموسة لطب العيون وطب الأسنان وغيرها من إنجازات طبية لا يمكن حصرها.

وبالرغم من كل هذا فيوجد العديد من الفجوات في عالم الطب لم ترمم بعد إذ إن هناك رزمة من الأمراض لا زالت تنتظر من يصلحها فليس هناك مثلاً علاجات فاعلة وحقيقية Genuine لعدد من أنواع الأمراض الفيروسية والأمراض الباطنية. فلا زلنا نسمع بمعاناة الناس مرض السكر ومرض الربو وأمراض القلب ومرض السرطان والبهاق والتهاب الكبد وشلل الأطفال والأمراض العصبية والأمراض النفسية الذهانية. بل لا زلنا لم نسيطر بعد على ما نظنه أنه أبسط الأمراض وهو ما يعرف بالإنفلونزا أو على الصحيح أنف العنزة كما كان يسميه أسلافنا العرب.

لا شك أن جميع تلك النوعيات من الأمراض لا زالت تشغل اهتمام الأطباء فطرحت كثير من النظريات العلاجية والأدوية والمسكنات لعلاج تلك الأمراض إلا أنه ينبغي الاعتراف بعدم وجود علاجات قاطعة وحقيقية Genuine. بل إن الاطباء أنفسهم يقرون بفشلهم في هذا ومن هنا جاءت تسميتهم لتلك الأمراض بالأمراض المستعصية لأن أمرها عصي عليهم.

وبالمختصر المفيد فهناك العديد من الثغرات التي لا زالت تشغل اهتمام الأطباء. فمن جانب هناك أمور تتعلق بوجود أمراض لم تعرف بعد أسبابها وأمراض أخرى لم يوجد لها علاج حقيقي. ومن جانب آخر لا زال هناك مشكلة تتعلق بصعوبة تشخيص بعض الأمراض إذ لا زلنا نسمع عن مرضى كانوا ضحايا لأخطاء في التشخيص وهو أمر راجع لاعتماد الطب على العمل البشري.

وما يؤكد تقدم المهندسين على الأطباء أنه ما فتئ الأطباء يستنجدون ويشحذون عطف المهندسين لتصميم أجهزة طبية دقيقة تطبق في مجال التشخيص الطبي والعلاج. ومن هنا فإنه لا زال الكثير والكثير من العطاءات تنتظر وتنتظر جهود الأطباء، وإلى أن يصل بنا الأطباء لتلك المرحلة فتتويجهم بلا شك سيكون خاليًا من التحفظات.

طبيب ومهندس على الهواء[11]

عندما تتابع مقابلة تلفزيونية على الهواء مع طبيب

باطنة ومهندس إلكترونيات مثلاً تجد أن هناك بونًا شاسعًا في مستوى الحلول الإيجابية لكل منهم ووضوحية المنهج المتبع في العمل.

فالمهندس غالبًا ما تكون إجاباته موجبة فليس لديه إشكالية في أن يصل إلى مكان القطعة المختلة في جهاز معين، وبعد يطلب من السائل القيام بإجراءات معينة. كما أنه غالباً ما يكون موجبًا عندما يُسأل في إمكانية تصميم جهاز له خصائص معينة يخدم منشأة ما.

أما بالنسبة لطبيب على الهواء فإنه إذا حدد المرض فإنه قلما يصف علاجه على الهواء. وأكثر ما يقوم به الطبيب في التلفزيون هو التثقيف الصحي وليس العلاجي فدائمًا ما يكثر أن يقول "لابد من رؤية الحالة أو لا بد من عرض الحالة على طبيب مختص". ولا زال من أخلاقيات المهنة Profession ethics عند أهل الطب عدم صرف الدواء بالهاتف أو في الصحف، وهو أمر يعتبره البعض ليس من الممدوحات بل يعكس مدى تعقد هذه المهنة وضعف مرونتها.

وقد يقول قائل إن المهندسين يتعاملون مع آلة صنعوها بأنفسهم ولذا يسهل إصلاح عطبها أما الأطباء فهم يتعاملون مع كائن لم يقوموا على تصنيع أي ذرة فيه بل هو من صنع الله وحده. ومع هذه فإن الشيء يبقى ممدوحًا للمهندسين أنهم لا يقتصرون على جوانب إصلاح الأجهزة بل يتعدى الأمر لتصميمها في الأساس وتصنيعها.

ويبقى أن الأطباء يعانون صعوبات تفوق الصعوبات التي يعانيها المهندسون. والعلم ينتظر منهم زيادة إضافية من العطاءات التي تخدم البشر. إن سر تفوق المهندسين على الأطباء لا يرجع بأي حال من الأحوال إلى ضعف همة الأطباء وإنما يرجع إلى طبيعة مادة الإنسان موضوع ومحل اهتمامهم.

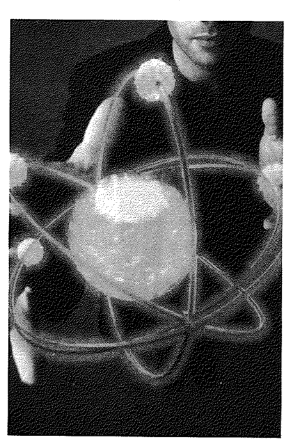
نواتج علماء النفس

يهدف علماء النفس لدراسة الظواهر النفسية – مثل الانفعال والتعلم والإدراك والدافعية– وقوانينها وطرائق التحكم بها. وتتعدى الجهود التطبيقية لعلماء النفس[١٢] من الاهتمام بعلاج المرض النفسي إلى تطبيقات عدة في المجالات سواء الإدارية والتعليمية والتجارية والصناعية والإعلامية والدعائية وغيرها. ولقد أثبتت تلك الأطروحات النفسية في تلك التطبيقات فعاليتها وجدواها. فكل الشكر والعرفان لتلك الجهود الرامية لخدمة الإنسان.

ومع هذا فعند النظر للإنجازات التي قدمها علماء النفس نجد أنها ضئيلة بالنسبة لتخصص الفيزياء أو الهندسة أو الكيمياء أو الطب. ولعلي أؤكد أن ما يقصد بالإنجازات أي الإنجازات المطبقة على أرض الواقع وليست مجرد النظريات التي ليس لها حظ وافر في خدمة الإنسان بشكل مباشر.

يجب الاعتراف أن علماء النفس لا زالوا منشقين في تفسيراتهم السلوكية، فمن جانب تجد منهم من ينتمي إلى المدرسة المعرفية ومنهم من ينتمي إلى المدرسة السلوكية ومنهم من ينتمي إلى مدرسة التحليل النفسي ومنهم من ينتمي إلى المدرسة الإنسانية. ومنهم من تبنى مذهبًا يشكله خلطة فلسفية تجمع بين أطروحات تلك المدارس. إن هذا التباين الحاصل بين علماء النفس يقود بلا شك إلى تباين آخر ينعكس أثره في طريقة علاج الانحراف السلوكي وطريقة استثارة الدوافع.

وأمر آخر لا زال يشكل أزمة عند علماء النفس هي قضية يظهر أنها تتعلق بأبسط مما سبق ألا وهي قضية تعريف الظاهرة النفسية التي تمثل القالب الذي يتركب منه السلوك الإنساني. ولقد قيل مثلاً إن الحديث عن



الوعي consciousness أسهل من تعريفه[١٣] وإن قياس الذكاء أبسط من تعريفه.

ويبقى الدور الرئيسي المنوط بعلماء النفس والمتوقع منهم أن يخدموا البشرية وهو الدور المتعلق بعلاج الأمراض النفسية إذ لم يصل هذا الأمر إلى الحد الذي يطمح إليه الإنسان. فلا زال الإنسان مثلاً يعاني مشكلات نفسية كالاكتئاب والرهاب والوسواس والهذاءات والفصام ولا زال علم النفس لم يصل بعد إلى نضج يعلن فيه اقتلاع تلك الاضطرابات بلا رجعة. إن الإنسان لا زال ينتظر – وأخشى أن يكون مل من الانتظار- أن يقدم له علم النفس حلولاً آنية وسريعة لما يكابده بين وقت وآخر من معانات نفسية واضطرابات عقلية.

نواتج علماء الاجتماع

يهدف علماء الاجتماع لدراسة الظواهر الاجتماعية بما في ذلك عادات الشعوب وتقاليدها والأنظمة الاجتماعية التي تربط أعضاء المجتمع بعضهم ببعض، فيدرسون نظام الأسرة والنظام العشائري ونظام المجتمعات والعلاقات الزوجية وجملة من المشاكل الأسرية والاجتماعية كالطلاق والمخدرات والسرقة والشغب والعنصرية والعنوسة والعنف والتحرش الجنسي والعنوسة والهوة الاجتماعية بين الآباء والأبناء.

وبالرغم من أن تلك الجوانب تبدو بسيطة إذ يستطيع أي شخص - مهما كان مستوى تعليمه - أن يدركها ويبدي رأيه فيها، إلا أن نوعية مشاكلها تمثل أعضل المعضلات اليوم فلا زالت تلك المشاكل قائمة في أرض الواقع بل إن وجودها يتزايد بشكل مستمر على الرغم من الجهود العلمية لعلماء الاجتماع لإيجاد حلول إجرائية لتلك المشاكل.

وللمتأمل البسيط أن يوجه العتب لعلماء الاجتماع وعلماء الخدمة الاجتماعية على وجه الخصوص لأنهم هم المعنيون بوضع استراتيجيات تمكن الفرد من التكيف مع الظروف الاجتماعية مهما كانت سيئة. وقد يسائلهم رجل الشارع البسيط عما قدمه علماء الخدمة الاجتماعية من حلول إجرائية (وليست نظرية) تجاه مشكلة الطلاق والسرقة والعنصرية والعنف والجنوح وغيرها كثير. فنسبة هذه الظواهر في تزايد ومعاناة الإنسان منها في تصاعد فهل أجدت تلك النصائح

مع هذا فعند النظر للإنجازات التي قدمها علماء النفس نجد أنها ضئيلة بالنسبة لتخصص الفيزياء أو الهندسة أو الكيمياء أو الطب. ولعلي أؤكد أن ما يقصد بالإنجازات أي الإنجازات المطبقة على أرض الواقع وليست مجرد النظريات التي ليس لها حظ وافر في خدمة الإنسان بشكل مباشر

والتوجيهات الاجتماعية نفعًا في حماية الناس من شرور وعواقب تلك المشكلات؟ وهل استطاع الطفل والراشد أن يتكيفوا في ظل وجود فوضى أسرية وفساد اجتماعي؟

إن الواقع يشهد بوجود تلك المشاكل ويفتقر أيضًا لتطبيقات ناجحة شافية تمامًا لتلك النصائح والفلسفات، فالآثار النفسية والاجتماعية للاختلالات الاجتماعية لا زالت عنيفة بدرجة تفوق على ما كانت عليه قبل بزوغ فجر العلم الحديث.

وكثيرًا ما يعول علماء النفس وعلماء الاجتماع في أطروحاتهم الإصلاحية والعلاجية على عامل الوقت في حل المشاكل الاجتماعية والنفسية. والواقع أن النفس البشرية مجبولة على الحلول السريعة والأكيدة عندما تتواجه مع مشكلة ما. وكأني برجل الشارع يهمس في أذن العلماء المعنيين ويقول لهم "شيئًا من السرعة يا علماء فنحن في عصر السرعة".

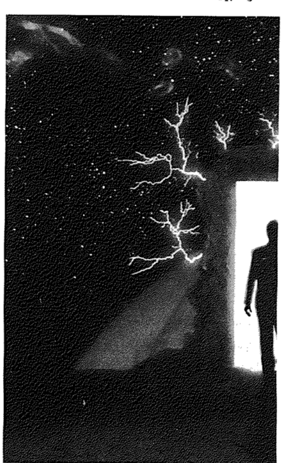
نواتج العمل التكاملي

لقد وعى علماء العصر الحديث أهمية العمل التعاوني المشترك[١٤] في رفع مستوى الخدمة المقدمة للإنسان. فقد يصب في هدف واحد أو خدمة واحدة مساهمة مشتركة بين عطاءات متراكمة لعدد من التخصصات يقوم كل منهم بتكميل ما انتقص عند الآخر. فكثير من الإنجازات البشرية هي في واقع الأمر تمثل تداخلات متسلسلة ومتكاملة لعدد من التخصصات تصب كلها في الأخير في هدف واحد مشترك.

فعلى سبيل المثال تجد أنه في مجال الإنتاج الزراعي

والحيواني يكون التعاون مشتركًا بين علماء النبات والحيوان مع علماء الكيمياء عندما يقوم الكيميائيون بتحضير الأسمدة والمبيدات الحشرية، وتعاون مع المهندسين عندما يخترعون أفضل الجرافات والأجهزة الزراعية وتعاون مع أطباء البيطرة عندما يقومون بعلاج الأمراض الحيوانية والنباتية وتعاون مع علماء الوراثة عندما يختارون السلالة الجيدة وتعاون مع علماء الجينات عندما يحسنون نوعية المورثات وتعاون مع علماء النفس عندما يسعون في تحقيق الرضا الوظيفي للعمال لزيادة عملهم. وبهذا العمل التعاوني والتكاتفي يتحسن الإنتاج ولا شك أنه في غياب واحد من تلك التخصصات يقل مستوى الخدمة المقدمة للإنسان في مجال الإنتاج الزراعي والحيواني.

والأرقام تؤكد هذا الأمر فقد وجد على سبيل المثال أن الاستهلاك الزراعي المحلي في بريطانيا ازداد من ٣٠٪ إلى ٨٠٪، وأن معدل إنتاج البقرة الواحدة سنويًا من الحليب ارتفع من ٢٥٠٠ لتر إلى ٤٠٠٠ لتر. وهذه الأمور لم تكن لو لم يكن هناك نظام العمل التعاوني المشترك بين التخصصات المختلفة[١٥].



والفلسفة الجديد للعلم الحديث لا تقوم على مبدأ التجزئة والفصل كما كان معهودًا في العقود الماضية بل تقوم على التقارب والتزاوج. ولذا خرج العديد من العلوم المدموجة كعلم الكيمياء الحيوية وعلم الهندسة الكيميائية وعلم النفس الإداري وعلم الفيزياء الحيوية وعلم الكيمياء الفيزيائية وعلم الإدارة التربوية وعلم النفس العصبي الدوائي وغيرها من العلوم التي تجمع في الأساس بين علمين مستقلين أو ثلاثة علوم أو أكثر من ذلك. وكأن العلم الحديث بدأ ينتقل من عصر التخصصات التفرعية إلى عصر التخصصات التجميعية.

سر تفوق الفيزيائيين

قد يقال إن السر في تفوق الفيزيائيين على بقية المختصين يرجع إلى أن المختصين في الفيزياء هم في الأساس ممن تتوفر لديهم مستويات عالية من العبقرية والذكاء، الأمر الذي جعل تطور مجالهم يأخذ قفزات متسارعة ومذهلة. وقد يقال إن طبيعة علم الفيزياء تسترعي فضول أصحاب العقول المتميزة ولذا توجهوا إليه في الأساس. وقد يقال إن الدعم المادي اللامحدود للفيزيائيين هو الذي ساهم في إنجاحهم وتفوقهم. قد تكون جميع تلك الأمور ممكنة لكن الجدير بالقول إن سر تفوق الفيزيائيين يرجع لتعقد التخصصات الأخرى وصعوبتها ويظهر ذلك من خلال النظر في الحجم الكبير للوحدة المدروسة التي تقوم عليها بقية التخصصات.

فلو تأملنا وحدة الفيزيائيين التي يتعاملون معها لوجدنا أنها تمثل أصغر الوحدات وهي الذرات والإلكترونات، والكيميائيون يتعاملون مع العناصر والإحيائيون والأطباء يتعاملون مع الخلية، والنفسانيون يتعاملون مع حركات الإنسان وسكناته وانفعالاته وتفكيره، والاجتماعيون يتعاملون مع نظام الأسرة والأنظمة الاجتماعية. ولا شك أنه كلما كبر حجم وحدة موضوع الدراسة كلما زاد تعقد ذلك العلم. وعليه فإنه من خلال قراءة سريعة سيكون الترتيب التصاعدي – على وجه التقريب- لتعقد العلوم من حيث قدرتنا على تسخيرها على النحو التالي: فيزياء، كيمياء، أحياء، علم نفس وفي الأخير علم الاجتماع الذي يحتل درجة عالية من التعقد من حيث قدرة الانسان على السيطرة والتحكم بآثار المؤثرات الاجتماعية.

معضلة أخرى تخص الدراسات الإنسانية هي أنها تتعامل مع كيان لم يمكن تحويله بعد إلى جانب مادي جامد وثابت فهم يتعاملون مع بنى ضبابية ليس لها مجسم محدد الأبعاد. ويتوقع البعض أنه عندما يصل العلم للكشف عن تجسيمة هذه المعاني-هذا إن أمكن- سيسهل لهم كثير من العقبات ويحل كثير الإخفاقات.

مرجعات للنواتج العلمية

إن الطبيعة البشرية تسعى لإيجاد الحلول السريعة لمشاكلها فالحل الذي يستغرق يومًا أو يومين يبادر إليه شريحة كبيرة من المجتمع بعكس الحلول التي تستغرق شهورًا أو سنوات والتي لا تشجع الكثير على العمل بها. وهذه هي الجوانب التي ميزت أعمال الفيزيائيين الناجحة بدعم المهندسين.

فمثلاً عندما تكون الغرفة حارة بضغطة زر على المكيف تتحول الغرفة الحارة إلى غرفة باردة، وبضغطة زر أخرى تضيء الغرفة المظلمة، وبضغطة زر تكلم صاحبك في أي قطر من الأرض بل وتنظر إليه على الشاشة، وبضغطة زر تصل بسرعة الصوت إلى أي مكان تريد في العالم، وبضغطة زر تدمر بيتًا يقع في زقاق ضيق من أزقة باريس مهما كان موقعك، وبضغطة زر تمحو روسيا من الوجود. لا شك ولا شك ولا شك أنه تقدم رائع ومذهل لم يحلم به أسلافنا السابقون.

إن البشرية تطمح لتحويل منتجات التخصصات الأخرى بصورة تماثل ما وصل إليه الفيزيائيون من حلول إجرائية. فهل وصل الطب لدرجة تماثل إنتاجيات الفيزيائيين فتمكنوا من خلال تناول قرص أن يتشافى مريض السكر ومن خلال قرص آخر يتشافى مريض الربو ومن خلال ثالث يتشافى مريض السرطان وهكذا يشفى مريض البهاق والصدفية ويشفى المصاب بالشلل والمصاب بالعمى والصمم. وهل وصل التقدم بالطب -النفسي- أن يشفوا مريض الفصام والتوحد والاكتئاب والخرف.

وهل تمكن علماء النفس من خلال جلسة واحدة أن يخلصوا المريض النفسي من معاناته؟ وهل تمكن علماء الخدمة الاجتماعية من خلال توجيه واحد أن يجعلوا الإنسان يتحمل أي مشكلة اجتماعية تواجهه؟

إن ما تشهده التخصصات الأخرى يمثل تفاوتًا بائنًا في تسابقهم إذ لا زالت بعض التخصصات تتسارع على عجل وبعضها يسرع بسرعة متوسطة وبعضها يجري جري النعام وبعضها يمشي على مهل وبعضها يزحف وبعضها متقوقب حول ذاته لا نبض فيه ولا حراك.

فإلى متى ننتظر ليوافينا العلم الحديث بحل جذري وسريع لأي مشكلة تواجهنا مهما كان صنف تلك المشكلة! وهنا نسأل العلم القادم عن مدى توجهه لتحويل جميع إشكاليات العلوم البحتة والعلوم الإنسانية ليدرسها عنهم الفيزيائيون من خلال تجزئة وحدات العلوم إلى وحدات صغرى وصغرى حتى ينتهي المطاف بالذرة والتي يتم الانطلاق منها للبحث عن حل أي مشكلة كانت مهما كان موضوعها. اليوم مثلاً يتحدث الفيزيائيون النظريون عن نظرية الأوتار الفائقة[16] superstrings ويزعمون أنها نظرية تصلح لتفسير كل شيء فهل ينجحون في ذلك[17].

إن جهلنا ما زال مطبقًا في كثير من الجوانب وسيظل كما عبر عن ذلك ألكسيس كاريل[18] إذ قال " وواقع الأمر أن جهلنا مطبق فأغلب الأسئلة التي يلقيها أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب لأن هناك مناطق غير محددة في دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة".

وقبل الختام فإن موضوعًا كموضوع أزمات العلوم موضوع متشعبة أركانه فما بالك بفروعه وأغصانه. ويجدر قبل أن تنفلت هذه المقالة وتذهب إلى قارئها أن أختمها بمقولة لسيد قطب[19] " إنه ستبقى جوانب نجهلها في حياة الإنسان مهما بذل من الجهد، ومهما تعددت حقول البحث ودرجاته وذلك نظرًا للصعوبات الذاتية الكامنة في تعقد موضوع الحياة من جهة وفي طبيعة عقولنا من جهة أخرى. هذا الجهل كان ولا يزال يقتضي أن يظل الإنسان لاصقًا بالله سبحانه قريبًا منه ملتجئًا إليه مهتديًا بمنهجه الذي يضعه له عن علم وحكمة. وألا يغتر بفتوحات العقل في عالم المادة ولا بمهاراته في الإبداع المادي – مهما بلغت قدرته ومهما فهم أنه أتى بالخوارق في هذا المجال – فيدفعه هذا الغرور إلى تطبيق محاولاته في عالم المادة على عالم الحياة وبخاصة حياة الإنسان. وألا يفتنه هذا الغرور فيجعله يحاول أن يضع لحياته مناهج مستقلة عن منهج الله".

ختامًا:إن الحياة لن ينضبط إيقاعها إلا بعد أن نستجيب جماعات وأفرادًا لقوله تعالى " فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى" ■

الهوامش

١- عندما تضع مؤشر الراديو على موجة FM عند تردد ١٠٠ فهذا يعني أن الحقول الكهربائية والمغناطيسية في جهاز الراديو يتحول بعضها إلى بعض بسرعة ١٠٠ مليون مرة في الثانية.

٢- تقوم المفاعلات النووية بتوليد مصدر عال من النيوترونات من خلال انقسام أنوية عنصر اليورانيوم. فيقوم المفاعل في البداية بالعمل على انقسام نواة واحدة لليورانيوم إلى قسمين، ونتيجة لهذا يخرج عدد محدد من النيوترونات وعندما تخرج تلك النيوترونات تقوم بالعمل على الاصطدام بأنوية أخرى لليورانيوم وينتج من هذا الاصطدام خروج نيوترونات أخرى وهكذا تستمر سلسلة العمليات حتى نفاد كمية اليورانيوم أو العمل على إيقاف تلك العمليات المتسلسلة بطريقة معينة والتي لو لم توقف لانفجر المفاعل. وينتج من خروج النيوترونات طاقة عالية تستخدم في تطبيقات متعددة.

٣- لقد وجد أن العناصر التي يزيد عددها الذري عن ١٠٠ تقريبًا عند تحضيرها تفككت في الحال ولم يدم عمرها عن أجزاء دقيقة من الثانية.

٤- هذا العنصر يزيد عدده الذري عن عنصر اليورانيوم بواحد وبهذا يشابه أهمية عنصر يورانيوم (ع = ٩٢) ولذا فله أهمية تطبيقية.

٥- مقالة بعنوان «تصنيعًا لعناصر الجديدة» Scientific American (١٩٩٨)، ٢٩٣، ٣

٦- انظر «الإشعاعات المؤينة» محمد فاروق ود.أحمد السريع، ١٩٨٣.

٧- يخلط الكثير بين عمل المهندس والفيزيائي وفني الأجهزة. ويتلخص الفرق ببساطة في أن الفيزياء يمثل علمًا نظريًا والهندسة تمثل عملاً تطبيقيًا وفني الأجهزة يقوم بالجانب الصياني. فلو أخذنا جهاز الراديو مثلاً فإن الفيزيائي هو الذي أوصلنا إلى الفكرة النظرية للكهرباء والموجات والمهندس الإلكتروني هو الذي قام بتصميم الدوائر الكهربائية التي تستجيب لذبذبات معينة، والفني هو الذي يقوم بصيانة الجهاز وإصلاح عطله. وهذا يعني أن الفيزيائي يهتم بالجانب النظري البحت والمهندس يهتم بالتصميم الهندسي لعمل الجهاز والفني يهتم بالصيانة.

٨- علم الجينات أو علم المورثات كما ينبغي أن يسمى هو مساهمة مشتركة بين علماء الخلية وعلماء الوراثة وعلماء الكيمياء الحيوية وأصبح الآن علمًا مستقلاً بذاته. ويهدف هذا العلم لمعرفة تركيب المورثات ومواقعها على شريط DNA وكيف يمكن تحسين المختل منها. فإذا علمنا أن جميع صفاتنا الجسمية واستعداداتنا السلوكية تتوضع على مورثات فإن التحكم في تلك المورثات يعني التحكم في جميع خصائصنا.

٩- يتم هذا من خلال معرفة المورثة التي تشفر لصنع بروتين الأنسولين. ويتم في البداية استخلاص تلك المورثة ولصقها في شريط الدنا الخاص بالبكتريا ومن ثم تعمل تلك المورثة على إنتاج بروتين الأنسولين من خلال عمليات النسخ والترجمة.

١٠- إن تسمية تلك العناصر الجديدة هي حق من حقوق الفيزيائيين وليس الكيميائيين لأنهم هم الذين قاموا باكتشافها. ومع هذا فهناك تنازع كبير بين الفيزيائيين حول من صنعها أولاً ومن هم أحق بتسميتها، ففي الوقت الذي يصر فيه فيزيائيون من السويد على تسمية العنصر ذي العدد الذري ١٠٢ بجوليتم يسميه فيزيائيو أمريكا بـ نوبليوم. ولا زال الخلاف أيضًا على تسمية العنصر ١٠٣ والعنصر ١٠٤ والعناصر الأخرى التي تلي ذلك. انظر «تصنيع العناصر الجديدة» ٣، ٢٩٣، (١٩٩٨) Scientific American

١١- هناك تقصير واضح في الإعلام المرئي لاستضافة المهندسين.

١٢- يظن البعض أن علم النفس يقتصر اهتمامه على علاج المرض النفسي. والواقع أنه علم يهدف لدراسة الدوافع التي تحكم السلوك الإنساني السوي وغير السوي. ويشتمل علم النفس على جوانب نظرية وأخرى تطبيقية وما دراسة الأمراض النفسية إلا تخصص فرعي من أفرع علوم النفس التطبيقية.

١٣- للاستزادة انظر كتاب أساسيات علم النفس العصبي (٢٠٠٠) فصل «الوعي»، د. خالد الخميس.

١٤- لا زال العرب يعانون فقد ثمرة العمل المشترك ليس على الصعيد السياسي فحسب بل على الصعيد العلمي. فكل شخص يرى أن تخصصه هو الأهم والأفضل بل قد يصل الأمر إلى تسفيه أعمال الآخرين. والآن تجد في المؤتمرات العالمية تجمعًا لعدد كبير من العلماء لمناقشة موضوع معين. فكل باحث له صلة بالموضوع العام للمؤتمر يقدر رأيه مهما كان تخصصه. ولقد حضرت مؤتمرًا في لندن حول الإعاقة الدماغية اشترك فيه علماء من تخصصات مختلفة: أطباء الأعصاب وجراحو الأعصاب وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء التربية. دون أن يكون هناك فوقية من قبل البعض بل إن عمل كل واحد منهم يكمل عمل الآخر.

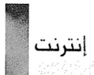
١٥- كتاب ضرورة العلم: دراسات في العلم والعلماء(١٩٩٩) ماكس بيروتز، ترجمة بسام معصراني: سلسلة عالم المعرفة.

١٦- انظر كتاب ما بعد أينشتاين (١٩٩١)، ميشيو كاكو وجنيفر ترينر، ترجمة د.فايز فوق العادة.

١٧- يصف واضعو النظرية بأن الأوتار الفائقة تمثل جسيمات فائقة في الصغر أقل من حجم البروتون ببليون بليون مرة.

١٨- كتاب الإنسان ذلك المجهول(١٩٨٤) ألكسيس كاريل. ترجمة شفيق سعيد.

١٩-كتاب الإسلام ومشكلات الحضارة(١٩٨٠) سيد قطب ص ٣٣.



في بريطانيا

المدرسة تسلِّم إلى أصحاب العمل

الكاتب: ريتشارد هاتشر
ترجمة: حسام أبو جبارة - دبي
المصدر: صحيفة «لوموند ديبلوماتيك» الفرنسية - عدد إبريل ٢٠٠٥م

في مارس ٢٠٠٠م، حدد المجلس الأوروبي في «لشبونة» هدفًا رئيسًا لسياسة الاتحاد التربوية، وهو إنتاج رأسمال بشري مثمر في خدمة المنافسة الاقتصادية. فانطلقت في إنجلترا حكومة «طوني بلير» من الأسس التي خلفتها مارغريت تاتشر لتستخدم ثلاثة أسس في سبيل إصلاح النظام المدرسي:

- الأساس الأول يتمثل في الوكالات الحكومية النافذة، كمكتب المعايير التربوية الذي يقوم بأعمال التفتيش الدقيق على المؤسسات التربوية، وهيئة إعداد المدرسين المكلفة بالإشراف على التدريب الأساسي للمعلمين.

- الأساس الثاني يتمثل في محاولة إعادة تأهيل المديرين والمسؤولين التربويين، من أجل تحويلهم إلى كوادر إدارية ملتزمة بخدمة أهداف السياسة الحكومية.

- الأساس الثالث (والذي يعنينا هنا) هو القطاع الخاص الذي وصف من قبل مستشار الحكومة لشؤون التربية «مايكل باربر» في عام ١٩٩٨م، أي بعد عام على وصول بلير إلى السلطة، على أنه «الأقدر على التغيير والتجديد».

وبعد مرور سبع سنوات، يمكننا التأكد من أن الشركات والمتعهدين الخاصين، سواء بصفة تجارية أو تطوعية، باتوا الأطراف الأساسيين الفاعلين في النظام التربوي. فالحكومة تعتمد عليهم في الوسائل التربوية أو البرامج أو إدارة المؤسسات. وخير دليل على ذلك (في باب الوسائل التربوية) العقد الذي أبرمته الحكومة مع «كابيتا»، الشركة الرئيسة في مجال الأعمال التربوية، وهو لمدة خمس سنوات، بمبلغ ١٧٧ مليون جنيه إسترليني (٢٥٣ مليون يورو).

وستستخدم الشركة عدة آلاف من المستشارين، لتنظيم دورات إعدادية وتوجيه الإرشادات للأساتذة حول سبل تطبيق الاستراتيجية الوطنية لتعليم القراءة والكتابة والحساب في المرحلة الابتدائية، وكذلك بالنسبة لخطة المستوى الثالث الثانوي للتدرب على القراءة والكتابة.

ويترجم دور القطاع الخاص في الإدارة التربوية أيضًا منح الأجور بناء على معيار الاستحقاق. فقد تم توقيع عدة عقود بمئات ملايين الجنيهات الإسترلينية مع عدد كبير من الشركات من أجل بلورة المعايير لتقييم عمل الأساتذة، ومن أجل استخدام مستشارين يعدون مديري المدارس لتمكينهم من تقييم المدرسين لديهم، وكذلك من أجل تقييم عمل هؤلاء المديرين أنفسهم.

ويأتي مصدر الربح الكبير الآخر من خصخصة الخدمات داخل المؤسسات التربوية، والتي بقيت (حتى الآن) من صلاحيات السلطات التربوية المحلية، وتتراوح هذه الخدمات بين المطاعم المدرسية، وصيانة المباني، مرورًا بشؤون تربوية بحتة مثل تأمين مدربين مختصين أو مستشارين تربويين، وتشمل صلاحيات السلطة التربوية المحلية كافة المقاطعات والمدن، وتضم «لندن» ٣٢ منها، فجاءت سياسة حكومة بلير ترغم هذه السلطات على نقل كامل موازناتها تقريبًا

إلى المؤسسات التربوية نفسها التي تعمد إلى شراء عدد من الخدمات من القطاع الخاص. فالسلطات التربوية المحلية لم تحظ برضا التفتيش، واعتبرت مقصرة في دورها، مما اضطرها (بناء على طلب الحكومة) إلى تلزيم خدماتها للقطاع الخاص.

ويجدر القول إن الشركات الخاصة غير متحمسة للإدارة المباشرة للمدارس الرسمية كمجال لتحقيق الأرباح، مع أن القانون لا يحول دون ذلك، فقانون التربية الصادر في عام ٢٠٠٢م يرغم السلطات التربوية المحلية على اللجوء إلى القطاع الخاص. من أجل إدارة المؤسسات التربوية المنوي إقامتها، أو لتلك التي يعتبرها جهاز التفتيش مقصرة في أداء مهمتها.



مع ذلك، فإن ثلاث مدارس رسمية فقط انتقلت إلى إدارة الشركات الخاصة المباشرة، منذ وصول حزب العمال إلى الحكم في عام ١٩٩٧م. هناك سببان وراء ذلك: السلطات التربوية المحلية تحاشت حتى الآن إطلاق عمليات تلزيم عامة، والشركات نفسها غير مقتنعة بالفائدة المادية الكافية من وراء هذا النوع من العقود.

كما اعتمدت الحكومة أيضًا خطة إضافية تجعل من القطاع الخاص محركًا للتغيير المطلوب في النظام التعليمي، وتقوم الخطة على تشجيع الرعاية المجانية، واتخذت شكلًا غير مباشر وأكثر تأثيرًا في توفير الرعاية لبعض مؤسسات التعليم المتخصصة، أي إلى المدارس التي تتخصص في فرع علمي معين أو طلبة معينين، إضافة إلى البرنامج العام في ميادين خاصة كالفنون والعلوم واللغات الحديثة أو في مجال الأعمال والشركات. أما المبرر فهو أن مؤسسات التعليم المتخصصة تستجيب لتنوع المؤهلات عند الطلاب، ويمثل تنوع الخيارات التخصصية توسيعًا للهامش الديموقراطي، لكن غالبية المدرسين غير مقتنعين.

ومن أجل الحصول على هذه الصفة، على المؤسسة أن توفر مبلغ ٥٠ ألف جنيه إسترليني (٧١ ألف يورو) من مصدر خارجي، أي من الشركات بصورة خاصة.

هذه الآلية تلبي وظيفتين هما إدارة المؤسسات وفق عقلية إدارة الشركات، وربط هذه المؤسسات أكثر فأكثر بعالم الأعمال. في الواقع فإن العديد ممن يمنحون الرعاية هم من الشركات الكبيرة الراغبة في الظهور بثوب «الشركات الوطنية» وهي غير مهتمة بإدارة المدارس، ولو أن بعضها يرسل ممثلين له إلى مجالس إدارة هذه المدارس. أما الغائبون عن هذه الرعاية فهم الشركات العاملة في حقل تعهدات التربية والتعليم. شكل الرعاية الأخرى، والأكثر سخاء، يتمثل في «الأكاديميات»، أي تلك الثانويات الرسمية الجديدة التي أنشئت في مناطق الحرمان الاجتماعي، وهي ممولة مباشرة من الحكومة بإدارة مستوحاة من الشركات الخاصة، مما يحررها من القيود المفروضة على المدارس الرسمية الأخرى. فهي لا تتبع السلطات التربوية المحلية، وتتمتع بحرية كاملة لجهة المناهج (بشكل خاص)، وقد افتتح منها حتى

اليوم ١٧ مدرسة، والهدف الوصول إلى ٢٠٠ مدرسة في حدود عام ٢٠١٠م. ولكي تنتقل ملكية أراضي المدرسة ومبانيها القائمة من السلطات المحلية إلى السلطات الأكاديمية الجديدة، مما يعني تملكها من قبل شركات الرعاية بنسبة ٢٠٪، على الرعاة أن يدفعوا ٢٠٪ من كلفة البناء (مليوني جنيه إسترليني أو ٢,٨ مليون يورو) لتساهم الحكومة بباقي الكلفة، ومعدلها ٢٥ إلى ٣٠ مليون جنيه إسترليني، أي ما بين ٣٥ و٤٢ مليون يورو، إضافة إلى نفقات التشغيل. ويمكن للراعي تسمية غالبية أعضاء مجلس الإدارة والإشراف وبالتالي على المؤسسة ولا سيما من خلال اختيار المدرسين وتكليفهم بالمسؤوليات.

إضافة إلى أرباب العمل، تشجع الحكومة المدارس الخاصة الراقية والمؤسسات الدينية على «رعاية» هذه المؤسسات، وقد أدرجت جميعها، على موقع الحكومة الرسمي مع كل ما قدمته من تجديد تربوي. أما أصحاب الرعاية فهم عادة من أصحاب الشركات والمليارات وذوي دوافع مختلفة لا يلغي أحدها الآخر، كنزعة الخير ونقل قيم عالم التجارة والأعمال والتسويق لشركاتهم وتحسين صورتها والسعي إلى أداء دور سياسي.

هل تشكل الرعاية التربوية خطوة باتجاه وضع اليد على المدارس الرسمية لأغراض الربح المادي؟

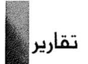
إنه بالطبع احتمال لا ينبغي إقصاؤه في المستقبل، ولا سيما في إطار «الاتفاق العام حول تجارة الخدمات» الذي تسوقه منظمة التجارة العالمية، بالرغم من وجود عدة عراقيل، منها: أولاً ضرورة أن يستبدل بالرعاة الحاليين غيرهم ممن يرغبون في الربح، إضافة إلى تأمين احتمالات للربح أكثر مما يتوفر في قطاعات أخرى. وقد أبرمت ٤٧ شركة في الولايات المتحدة الأمريكية عقودًا لإدارة ٤١٧ مدرسة، للعام الدراسي ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، لم تحقق الأرباح المتوخاة بالنسبة لغالبيتها.

وتطرح مسألة الربحية النتائج المحتملة للاتفاق العام حول تجارة الخدمات. فالهدف الرئيس للوبي المعني بـ«تجارة التعليم» هو التعليم ما بعد الإلزامي، وليس إدارة المدارس، وذلك من خلال أنظمة التعليم عن بعد أو إنشاء جامعات في الخارج. كما أن غالبية الحكومات الأعضاء في الاتحاد الأوروبي (وخلافًا لمواقف المفوضية) ما تزال تبدو مترددة في الالتزام بتعهدات الاتفاق العام لتجارة الخدمات على مستوى التعليم الإلزامي. فالمادة ٣١٥- II من المعاهدة الدستورية الأوروبية التي يجري إبرامها من قبل الدول توضح ضرورة حصول الإجماع (وليس الأغلبية المطلقة)، من أجل التفاوض حول الاتفاقيات التجارية وإبرامها «في مجال الخدمات الاجتماعية والتربية والصحة، إذا ما أضرت هذه الاتفاقيات بتنظيم هذه الخدمات على المستوى الوطني، وانتقصت من مسؤولية الدول الأعضاء في تأمين هذه الخدمات».

تجاوز رئيس الوزراء بلير موقف الاتحاد الأوروبي من التفاوض حول تجارة الخدمات بفتح النظام التربوي الرسمي أمام القطاع الخاص، لكننا لا نشهد أي توجه في أوساط رجال الأعمال من أجل الإمساك بإدارة المدارس لأغراض الربح، وهذا ما تنفيه الحكومة صراحة. فما يعني الحكومة البريطانية ليس تحديدًا شركات «تجارة التربية»، وهو قطاع ضعيف نسبيًا داخل الشبكة الاقتصادية، بل مصالح القطاعات الرأسمالية المهيمنة، والشركات التي توفر أكبر عدد من فرص العمل. لكن بالنسبة لهؤلاء فإن على القطاع العام تكوين «رأسمال بشري» وفق رغبة هذه القطاعات.

هذا تحديدًا ما تطلبه اللجنة الاستشارية للأعمال والصناعة، التابعة لمنظمة التعاون والتنمية، في وثيقة عمل قدمت إلى اجتماع وزراء التربية المنعقد في ١٨ و١٩ مارس ٢٠٠٤م في دبلن: «إن الحكومة تتحمل في نظرنا المسؤولية الرئيسة في التربية الأساسية، ويساهم أرباب العمل والشركات، من خلال العمل مع الحكومة والمؤسسات التربوية، في تحديد أهداف واضحة متوافقة مع حاجات السوق».

ويتناسب «الكتاب الأبيض» حول الفئة العمرية من ١٤ إلى ١٩ عامًا، الذي نشرته الحكومة البريطانية في فبراير ٢٠٠٥م، تناسبًا تامًا مع هذه الخريطة. فبدل المحافظة على جذع مشترك للمواد حتى سن السادسة عشرة، يلحظ توجهًا نحو التعليم المهني ابتداء من الرابعة عشرة بإشراف أرباب العمل: «ننوي تسليم القيادة لأرباب العمل كي يؤدوا دورًا محوريًا في تحديد مسارات التعليم والتوصيف المفصل لمحتوى الشهادات».■



زيارة إلى :

مدرسة نموذجية وراء القضبان!

أسامة أمين - ألمانيا

طلاب ترتسم على وجوههم ابتسامة عريضة، أمام كل واحد منهم جهاز كمبيوتر متطور، والمعلمة الأنيقة تساعد من تعثر منهم، الأثاث أنيق، والصور التوضيحية على كل الجدران، وفي الصف المجاور طلاب آخرون يرسمون لوحات فنية، وصف ثالث عندهم تدريب مسرحي، وصف رابع يجلس في ورشة الحدادة، وصف خامس عندهم تدريب على النجارة، ومجموعة سادسة تتعلم العمل في الحديقة، ومجموعة سابعة عندها دورة في العمل الفندقي، كلهم يرتدون زيًا أنيقًا، بنطالاً أزرق، وقميصًا لبنيًا، وحذاء أسود. هل تصدقون أن الحديث هنا عن مدرسة وراء القضبان؟!

العقاب ليس هو الهدف

إذا كان الشعار المرفوع في بعض بلادنا هو «السجن تهذيب وإصلاح»، فإن وزارات العدل في الولايات الألمانية المختلفة، ترفض استخدام كلمة سجن، وتستبدل بها اسمًا أرق هو «مؤسسة تنفيذ الأحكام»، وترى أن السجين يبقى إنسانًا، من حقه أن يحصل على ما نصت عليه المادة الأولى من الدستور الألماني من أن «كرامة الإنسان لا يجوز المساس بها»، وأن الحكم على شخص بالسجن، يعني فشل كل الوسائل الأخرى لمساعدته على أن يصحح من سلوكه، وأن الهدف الرئيس من السجن ليس معاقبة الشخص، بل تأهيله ليصبح شخصًا أكثر اندماجًا في المجتمع المحيط به، مع الحفاظ على شخصيته وإرادته واختياراته الذاتية.

وانطلاقًا من هذا المفهوم، قامت إدارة سجن للأحداث يقع في جنوب ألمانيا، قبل ثلاثة أعوام بتكليف مجموعة من علماء التربية، ومعهد متخصص في الدورات التربوية للشباب، بوضع تصور لتحويل السجن إلى مدرسة شاملة، ووافقت وزارة العدل في الولاية، ومؤسسات الاتحاد الأوروبي على تمويل هذه التجربة، أما الممول الأكبر للمشروع فهو مؤسسة أبحاث الفضاء الألمانية التي رأت أن سكان الأرض يستحقون الاهتمام بهم، بدرجة لا تقل عن النزول على سطح القمر.

حقائق وأرقام

يبلغ متوسط عدد نزلاء السجن هناك حوالي ٣٧٠ شخصًا، منهم حوالي ٢٠٠ سجين من الأحداث، و٤٥ سجينًا تجاوزوا الرابعة والعشرين، يكملون فترة العقوبة، بعد موافقة إدارة السجن على بقائهم، وحوالي ١٠٠ في السجن الاحتياطي، وحوالي ٢٥ شخصًا في انتظار ترحيلهم إلى بلدانهم.

تبدأ أعمار النزلاء من سن العشرين، حتى إذا بلغ أحدهم الرابعة والعشرين، يجري تقييم وضعه، وبحث ما إذا كان بقاؤه في سجن الأحداث أفضل، أم الانتقال إلى السجن العادي، ويشترط أن تكون فترة السجن لا تقل عن ستة أشهر، ولا تزيد على عشر سنوات.

الجرائم التي ارتكبها هؤلاء الأحداث تتأرجح بين السرقة بالإكراه (٥٥)، والنشل (٤٠)، مخالفة قوانين المخدرات (٣٥)، الاعتداء الجسدي على الغير (٢٠)، والقتل (١٠)، الاعتداء الجنسي (٨)، ومخالفات مرور والقيادة بدون رخصة، ومخالفة قوانين الإقامة للأجانب، والإضرار بالممتلكات.

تتراوح نسبة غير الألمان بين النزلاء بين ٥٠ و ٧٠٪، وهناك أكثر من ٤٥ جنسية، والغالبية العظمى من السجناء لم يحصلوا على الثانوية العامة، ولا حتى على شهادة المرحلة المتوسطة، و٣٪ فقط، كانت لهم وظائف ثابتة، ويعاني ٤٠٪ منهم مشاكل إدمان المخدرات.

البعض يتمنى البقاء وراء القضبان

لا أعتقد أن أي مدير مدرسة يتخيل أن يكون طلابه من هذه النوعية، ثم يضع خطة للرقي بهذه المجموعة من الطلاب غير المتجانسين، الذين لا يكاد يجمع بينهم

شيء سوى ارتكابهم تجاوزات قانونية. ولكن الفريق المكلف بتحويل السجن إلى مدرسة كان أمام خيارين:

- إما الاكتفاء بإجراءات تجميلية لتحسين الشكل الخارجي، والتعلل بأن هؤلاء مجرمون لا يستحقون مكافأتهم على جرائمهم.

- أو النظر إلى كل منهم كإنسان له حق العودة إلى كنف المجتمع، بدلاً من أن يستمر مصدر خطر وأذى لهذا المجتمع.

جرى الاتفاق على تكليف معهد (إنباس) التربوي المرموق، الذي يترأسه عالم اجتماع ألماني من أصل إيراني، حاصل على وسام الشرف الألماني، لجهوده في اندماج الأجانب، بالتعاون مع المعهد الاتحادي للتأهيل الوظيفي للمهاجرين، ليقوما بتطبيق الخطة الطموحة التي وضعها علماء التربية من جامعة دورتموند، بالتعاون مع خبراء في التعليم الفني، وهي الخطة التي تنطلق من حقيقة أنه من الضروري البدء بدورات لغة ألمانية، حتى يمكن التفاهم بين الجميع، ثم التركيز على دورات مدة كل منها ستة أشهر، يحصل بعدها الطالب على شهادة صادرة عن جهة حكومية، تشرف على الاختبارات، وتضمن الاعتراف بها خارج السجن، بحيث يستطيع أن يكملها إن أراد، أو أن يعمل بها في وظيفته بعد انتهاء فترة العقوبة.

ونظرًا لأن هذه الدورات تكون لكل النزلاء، حتى من كان على ذمة التحقيق، أو المقرر ترحيلهم إلى بلدانهم، فإن بعضهم يصدر حكم بخروجه من السجن فجأة، ولا يستطيع إكمال الدورة، ويعرب عن أسفه لعدم القدرة على إكمال الدورات، ويتمنى لو تمكن من البقاء حتى ينتهي، وقد وافقت إدارة السجن في حالات نادرة جدًا، أن يأتي السجين ليؤدي الاختبار فقط.

«طالب» جديد يدخل السجن

كما تستقبل المدارس الخاصة باهظة التكاليف تلاميذها الجدد باحتفال يهدف إلى إزالة الرهبة من نفوسهم، فإن إدارة السجن خصصت مبنى مستقلاً «للضيوف الجدد»، يتعرفون فيه على حقوقهم وواجباتهم، الزنزانة لا تتسع لأكثر من شخص، فيها سرير ومكتب ومقعد واحد -حيث ليس من المتوقع قدوم ضيوف- ومذياع في الحائط، ودورة مياه، ومكتبة صغيرة، فيها عدد محدد من الكتب، ودولاب ملابس، وشباك عليه قضبان، وباب معدني ضخم للغاية.

المشرفة التربوية، تتعامل بذوق بالغ وحازم صارم في الوقت نفسه، تجعل النزيل قادرًا على الثقة بها، ولكنها تفرض عليه احترامها والاحتفاظ بوجود مسافة بينهما دائمًا، لا تضع مجالاً للاحتكاك الشخصي، فهي تمثل إدارة السجن بكل ما لديها من قوة، لكن دون جبروت، ودون ميول للعقاب أو التعذيب.

ولكل مجموعة من الزنازين بهو صغير، يتفق النزلاء على أسلوب تزيينه، ومن مالهم الخاص الذي يحصلون عليه لقاء عملهم في مصانع السجن، يقومون بدفع تكاليف وضع الزهور أو أحواض الأسماك، بل إني شاهدت مركبًا خشبيًا أنيقًا، يتوسط إحدى الصالات التابعة لسكن السجناء، قاموا بصنعها في ورشة السجن، بعد دفع قيمة الخشب الذي احتاجوا إليه.

في كل يوم اثنين وأربعاء، تقام جلسات في عنبر السجناء الجدد، تتعرف فيها إدارة السجن على كل قادم جديد، عن طريق توزيع (بطاقة تشخيصية)، تهدف في المقام الأول إلى أن يتعرف النزيل على نفسه، ويستعيد بذاكرته أهم الأحداث التي جرت في حياته، وانعكاساتها على تصرفاته، والوظائف التي مارسها، والمهارات التي اكتسبها من خلالها، علاوة على أسئلة تحليل للشخصية، وتحديد الأهداف التي يضعها كل نزيل لنفسه خلال الفترة القادمة.

حتى إذا تبين إمكانية مساعدة النزيل على تحقيق أهدافه، من خلال التحاقه بدورة تعليمية يوفرها السجن، جرت مناقشته في ذلك، ويجري وضع صيغة تعاون تشبه العقد بين الطرفين، يتعهد فيها النزيل بالجدية في التحصيل والمذاكرة، ويلتزم السجن في المقابل بتوفير الفصل الدراسي المناسب، والمعلم الكفء، والإشراف التربوي، والشهادة المعترف بها.

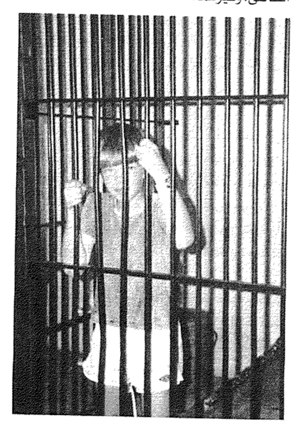
في هذه المدرسة رفع المعهد التربوي المشرف عليها، ثلاثة شعارات أولها إفريقي يقول «كل إنسان هو عالم مستقل»، لإبراز تفرد كل إنسان، وحقه في هذا التفرد، والثاني صيني يقول: «إذا شرحت لي شفهيًا، فإنني سأنسى، وإذا صنعت الأمر أمامي، فسأتذكر، أما إذا تركتني أفعل الأمر بنفسي، فسيبقى محفورًا في ذاكرتي»، وذلك للتركيز على التدريب العملي، وعدم الاكتفاء بالشرح النظري. والشعار الثالث يقال إنه عربي، وهو: «الحياة شقان: ماض عبارة عن حلم،

ومستقبل عبارة عن أمل»، بهدف رفع روح النزلاء المعنوية، ولذلك اختار النزلاء من جانبهم شعار «إنس المكان الذي أنت فيه».

حصيلة ثلاثة أعوام

بعد ثلاثة أعوام من بدء التجربة، أقامت إدارة السجن ندوة لتقييم هذه التجربة، ودعت إليها مجموعة من علماء التربية، وممثلي الجهات الممولة للمشروع، والوزارات والهيئات الألمانية والأوروبية المهتمة بالأمر، ووافقت على حضور جهة إعلامية وحيدة، هي مجلة «المعرفة»، باعتبارها المجلة العربية الرائدة في طرح القضايا التربوية والتعليمية.

طبعًا لابد من التسجيل قبل موعد المؤتمر بفترة، حتى تقوم الجهات الأمنية بالتحري الدقيق عن الشخص المشارك، وفي يوم الندوة فوجئنا أن السجن يقع داخل المدينة، وفي منطقة راقية للغاية وليس في منطقة نائية كما هو معتاد، ثم جرت إجراءات أمن صارمة: أبواب حديدية ضخمة، وقضبان في كل مكان، وزجاج مصفح، ولكن بعد اجتيازك لكل هذه الحواجز، تشاهد المباني الأنيقة الحديثة الطلاء، وملاعب كرة القدم، وكرة الشاطئ، وغيرهما.



مدرسة نموذجية.. وراء القضبان

لكن يبقى الشعور بالرهبة من المكان، وعندما تصل إلى القاعة المخصصة للندوة، تفتح لك إحدى السيدات الباب الضخم، وترحب بك بحرارة، وتقدم لك نفسها بأنها مشرفة علمية على المشروع، ثم تقابل شبابًا من كل الأعراق، عربًا وروسًا وألمانًا، وأتراكًا، هذا يقدم لك القهوة أو العصير، وهذا يدعوك لتناول قطع الحلويات التي خرجت توًا من الفرن، وثالث يصحبك إلى الركن المخصص لابتكارات النزلاء، هذا متخصص في الكمبيوتر، وهذا صنع أشكالاً هندسية في ورشة الحدادة، وهذا صنع قطارًا من الخشب، ذاك رسم لوحات فنية رائعة، ثم تعرف بعد ذلك أن هؤلاء الواقفين في كل مكان، هم النزلاء.

نشاهد فيلمًا توثيقيًا لما تم إنجازه، لغة الأرقام توضح مدى إقبال النزلاء على الدورات، ونسبة النجاح العالية تجسد قدرة القائمين على المشروع في كسب ثقة النزلاء، وصورًا لعروض مسرحية، تنسيك أنك في سجن، وشرائط كاسيت عليها تسجيلات للأغاني التي قاموا بأنفسهم بتأليفها وتلحينها، وصورًا من حديقة السجن، وكأنها حديقة قصر عامر.

ثم يتحدث المشرف على المشروع، فيقدم فريق العمل المكون من أربعة سيدات ورجلين، ويشرح دور كل واحد منهم، ثم يشير إلى أن كل العاملين في السجن يشاركون في العمل، فقد اتفقوا على الهدف، وترسخت لديهم القناعة بأن الجهد الذي يبذلونه في التعامل مع النزيل بأسلوب تربوي، يساهم في صناعة إنسان جديد، ورفضهم اللجوء إلى الفظاظة التي قد تكون أقل جهدًا، وأسرع تأثيرًا، ولكنها تهدم أي مشاعر إيجابية داخل السجين، وتجعله ناقمًا كارهًا على المجتمع، وعازمًا على الاستمرار في طريق الشر، بل وربما التمادي فيه.

ثم تناول المتحدثون الأسباب التي قادت بالشباب إلى السجن، من غياب الهياكل الأسرية، وعدم اهتمام الآخرين بمشاعرهم، ونقص الوعي بالصواب والخطأ، علاوة على الصدمات الناجمة عن نزع الأطفال في صغرهم من المحيط الذي اعتادوه، ونقلهم إلى ثقافة وعالم آخرين.

يقوم آخر الحاضرين ويستنكر الحديث بهذا الشكل عن النزلاء في وجودهم، دون مراعاة لمشاعرهم، ويطالب الحاضرين بالحديث معهم، بدلاً من الحديث عنهم، رغم حضورهم. فيصفق له النزلاء.

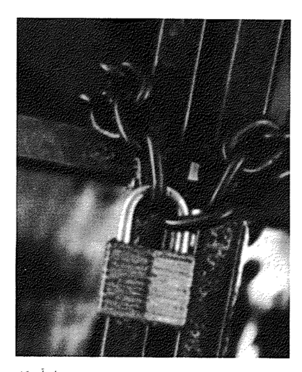
مرحلة ما بعد السجن

كان السؤال عن مرحلة ما بعد السجن تشغلني طوال الوقت، فسوق العمل في ألمانيا ليست في أفضل أوضاعها، حيث يبلغ عدد العاطلين عن العمل حوالي خمسة ملايين شخص، وأصحاب المؤهلات متوفرون، والسيرة الذاتية للنزلاء لن تشجع الكثيرين من أصحاب العمل على قبولهم. ولكن أحد الحاضرين قام ليشرح مفهوم (إدارة الفترة الانتقالية)، موضحًا أن هناك فريقًا كاملاً، يضم عالمة اجتماع، وممثلين عن مكاتب العمل في المدن المحيطة بالسجن، وعن اتحادات أصحاب العمل، وعن مجالس تمثيل الأجانب، كلهم يشرفون على الشباب الذين خرجوا من السجن، طوال مدة لا تزيد على ستة أشهر، يعملون فيها على تذليل الصعاب أمامهم، وأولها الاندماج في المجتمع الخارجي، فالحياة داخل السجن مفروض عليها نظام صارم، ومكان محدود، ومهام واضحة، على عكس العالم الخارجي الذي يتطلب قدرة الفرد على التحرك في إطار من الحرية شبه المطلقة، كما يرى أن أصحاب العمل يتوقعون المرونة الكبيرة في الوقت، وبذل الجهد الكبير، وتحمل المسؤولية.

كما أن الكثير من النزلاء السابقين يخرجون ليجدوا ديونًا باهظة من جراء الغرامات التي صدرت بها أحكام، نتيجة للمخالفات القانونية التي ارتكبوها، وعليهم العمل على سداد هذه الديون، وليس من النادر أن يخرج الشاب ليجد أقرب الناس إليه من أفراد أسرته ينفرون منه، وترحيب أصدقاء السوء بعودته إلى أوكار الشر والجريمة.

ويبدأ الشاب في التعود على فترة ما بعد السجن، في المرحلة الأخيرة له في السجن، حيث تسمح له إدارة السجن أن يقضي يومه في العمل خارج السجن، ثم يعود بعد الظهر للمبيت هناك، بشرط أن يلتزم بالأوقات المصرّح له بغيابها.

أقسى ما يتعرض له العاملون في السجن، هو أن يعود إليهم أحد النزلاء السابقين إلى السجن بعقوبة جديدة، بعد ما بذلوا كل هذا الجهد، عند دخول السجن في المرة الأولى، وطوال فترة وجوده هناك للحيلولة دون ذلك بالذات، ومن أجل التنسيق مع الجهات المشرفة عليه



بعد انتهاء فترة العقوبة، حيث يشعرون عندها بأن كل العناء المضني السابق ضاع سدى، ولكن إدارة السجن تركز على حق كل إنسان في الاستفادة من الفرصة تلو الفرصة، وعدم اليأس.

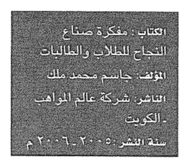
حتى لا نتمنى السجن

سألت مشرفًا تربويًا في السجن عن صحة ما تردده بعض الصحف الشعبية من أن أفراد قبائل الغجر القادمين من رومانيا مثلاً، يرتكبون الجرائم بعنف، ودون خوف من السجن، لأن (سجون ألمانيا أفضل من الحرية في بلادهم)، فرد عليّ بالقول: إن هؤلاء الغجر بالذات، لا يطيقون العيش في بيت ثابت، فما بالك بالسجن بأسواره العالية، وقيوده الصارمة، وأبواب حديدية مغلقة دائمًا، مما يدفع بعضهم للمطالبة بأن يقتسم الزنزانة الضيقة مع شخص آخر، لأنه لا يتحمل الوحدة. ونبهني إلى أن إدارة السجن تعرف أن الحرمان من الحرية، هي عقوبة قاسية للغاية، بحيث لا ينبغي أن يضاف إليها عناء آخر.

خرجت من السجن بعد هذه الساعات، وأنا في سعادة لا توصف، وتمنيت لو استفادت إدارات بعض سجون الأحداث في بلادنا من هذه التجربة، كما تمنيت لو أتيحت الفرصة للمديرين الذين يرون في طلابهم حالات ميؤوس منها، لمعرفة السبب الحقيقي في فشل طلابهم.

مفكرة طلابية « عملانية » تحدد خطوات النجاح

اكتشف قدراتك .. حدد أهدافك .. تحقق طموحاتك



الكتاب: مفكرة صناع النجاح للطلاب والطالبات

المؤلف: جاسم محمد ملك

الناشر: شركة عالم المواهب - الكويت

سنة النشر: ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ م



اقتصر اهتمام المفكرات الطلابية التي تنتشر في المكتبات التجارية وتوزعها المدارس (مجانًا) على بعض من الأنشطة الفصلية والواجبات المنزلية، دون إشارات واضحة فيها تعين الطالب والطالبة على إدراك غاياتها القريبة فضلاً عن البعيدة، مما جعل منها عبئًا ثقيلاً على الطالب والمعلم، وحوّلها إلى تقليد مدرسي يوجب على الطالب ملأ الصفحات وعلى المعلم المتابعة وتسجيل الملحوظات!!

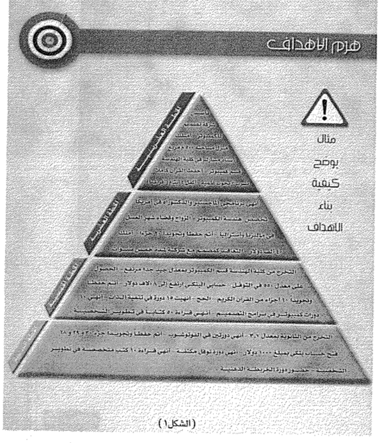
وخلافًا لمثل هذه المفكرات التي غيبت شمولية التعليم وتكامل المناشط وإرشادات التربويين صدرت «مفكرة صُنّاع النجاح» لمساعدة الطلاب والطالبات (في المرحلتين المتوسطة والثانوية) على اكتشاف قدراتهم ومواهبهم، وإعانتهم على تنظيم أفكارهم وتدوينها على نحو دقيق لتحقيق الأهداف والوصول إلى النجاح.

لغز الحياة

يتصدر المفكرة التي تقع في مئة وخمس وسبعين صفحة دليل إرشادي مصوّر من أربع صفحات يوجز بناءها العام ويقدم تطبيقًا مكتوبًا يمكن محاكاته في التعامل مع أجزائها الأربعة.

يلي هذا الدليل الإرشادي الجزء الأول من المفكرة الذي يطرح تساؤلات متنوعة تعين على بلورة الأفكار والطموحات والأمنيات وتشكيل الحياة. ويؤكد هذا الجزء من المفكرة العلاقة المطردة بين اكتشاف القدرات والمواهب والإمكانات من جهة والثقة بالنفس من جهة أخرى. كما يؤكد ضرورة تحديد رسالة الطالب في الحياة (ما يريده)، ورؤيته (أهدافه) من خلال طرح عدد من الأسئلة، مثل: ماذا تريد أن تتعلم؟ ماذا تريد أن تكون؟ ما المهارات التي تريد أن تتقنها؟ ما أعمال الخير التي تريد أن تفعلها؟ من الأصدقاء الذين تريد مصادقتهم؟ ماذا تعني الحياة لك؟ ما المخاوف التي تريد أن تتغلب عليها؟ وغيرها.

وتقدم المفكرة نموذجًا للطلاب والطالبات لكتابة سيرهم الذاتية (المتوقعة) بعد عشرين سنة، يحوي: الممتلكات، والمؤهلات العلمية، والمهارات، والخبرات، والهوايات، والدورات، ونقاط الضعف التي سيتغلبون عليها، ونقاط القوة التي سيعززونها، والآثار التي سيتركونها. وبشكل أكثر تركيز ووضوح تقدم المفكرة «هرم الأهداف» لتحديد الأهداف بأنواعها: البعيدة والمتوسطة والقريبة (الشكل١) والذي يأخذ ثلاث



(الشكل١)

مبان تعبر فيه قاعدة الهرم عن خطة السنة الحالية، ويعبر فيه البناء التالي لها عن خطة الدراسة الجامعية الخمسية، والثالث عن الخطة العشرية المعنية بالزواج والدراسات العليا، أما رأس الهرم فيعبر عن الخطة العشرينية ومحصلة النضج المعرفي والمادي والغايات النهائية.

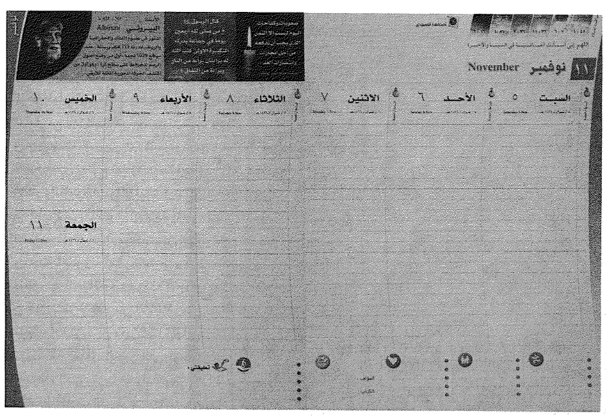
ويساند «هرم الأهداف» جدول «سجل الأهداف» لتمكين الطلاب والطالبات من وضع أهدافهم لعام واحد (العام الدراسي الحالي)، والذي يتكون من قائمتين متقابلتين يدون الطالب والطالبة تحت الأولى منهما الأهداف، وتحت الثانية موعد الانتهاء من تحقيق كل هدف. وتضع المفكرة تحت هاتين القائمتين بعضًا من الأسئلة المعينة على وضع الأهداف، مثل: ماطموحاتي؟ وكيف سأحققها؟ وما نوع العطاءات التي سأقوم بها؟ مع من سأتواصل؟ ما الطريقة التي سأعامل بها المعلمين؟ وكم ساعة أريد أن أدرس؟ وغيرها.

أهداف الأسبوع:

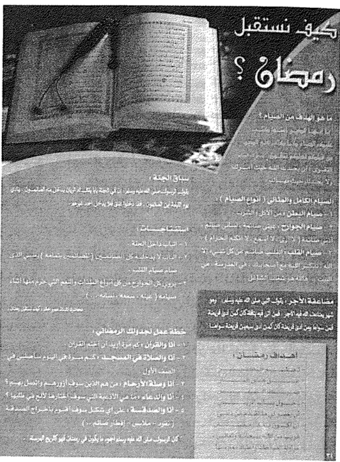
في تفصيل لأهداف السنة الدراسية تقدم المفكرة في جزئها الثاني نموذجًا لتحديد الأهداف الشهرية على هيئة جداول (شبيهة بجداول دفاتر التقويم السنوية) موزعة على أسابيع شهور السنة الميلادية، بدءًا من شهر سبتمبر (أول الشهور الدراسية). ويأخذ كل جدول منها لونًا خاصًا بدرجة هادئة مريحة للعين فالبنفسجي لشهر سبتمبر، والبرتقالي لشهر أكتوبر، والأخضر لنوفمبر، وهكذا. وتخصص المفكرة لكل أسبوع صفحتين متقابلتين (الشكل٢) يعلوهما دعاء مأثور ومقولة تحفيزية من التراث العربي والعالمي وحديث نبوي توجيهي وتعريف بأحد أعلام المخترعين أو المكتشفين أو الناشطين في مختلف المجالات العلمية والإنسانية. وقد ذيلت صفحتا المفكرة برموز صغيرة تشير إلى جملة من مناشط (رياضية واجتماعية وروحية وعقلية وخيرية) قام بها الطالب والطالبة خلال الأسبوع، وببضعة أسطر للتعليقات.

ولربط «الجداول الشهرية» بقواعد النجاح على نحو عملي وبالمناسبات السنوية صدّرت المفكرة كل شهر من الشهور بصفحة توجّه إلى سلوكيات أو مهارات تكامل الشخصية وتميزها (الشكل٣). وذلك على النحو التالي:

- «بناء الشخصية» الخاص بشهر سبتمبر (أول



(الشكل٢)



(الشكل٣)

شهور السنة الدراسية) وفيه تحدد المفكرة ثلاث خطوات لبناء الشخصية، هي: تحليل الشخصية، معرفة الصفات الحسنة، التعرف على طرق التنمية.

- في «كيف نستقبل رمضان» الخاص بشهر أكتوبر تعريف بالصيام المثالي والجدول الرمضاني اليومي.

- «قل لي رؤيتك أقل لك مستقبلك» الخاص بشهر نوفمبر دعوة إلى تخيل الذات بعد عدة سنوات وقد حققت طموحاتها وأحلامها، وإلى التركيز على الحلول والبدائل بدلاً من المشكلات والعوائق.

- في الجزء الخاص بشهر ديسمبر «تجربة فريدة» لعلماء الاجتماع على مئة طالب تمّ اختيارهم من خريجي الثانوية العامة أظهرت نتائجها أن الدخولات الشهرية لمن كانت لهم أهداف مدونة زادت على من كانت لهم أهداف غير مدونة بمقدار سبعة أضعاف، وزادت بمقدار عشرة أضعاف على من لم يدونوا أهدافهم نهائيًا!

- في «الوعي بالذات» الخاص بشهر يناير بيان لمراحل هذا الوعي: تحليل الشعور الذاتي، والقرار الصائب، والمبادرة الإيجابية. كما فيه بعض من طرق تقوية الإرادة.

- ترصد المفكرة في «طبق سير العظماء» الخاص بشهر فبراير اثني عشر سلوكًا للعظماء كالمبادرة بالسلام، والابتسام، والتواضع، والرفق، وستر عيوب الآخرين، واللجوء إلى الله. مؤيدة كل سلوك بما يوافقه من أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم.

- «الحياة أخلاق ومنها الوفاء» توجيه تخصصه المفكرة لشهر مارس لخصلة الوفاء مع الله بشكر نعمه، وتنفيذ أوامره، واستغفاره ودعائه.

- «احترام الآخرين عندما نختلف» تدريب سلوكي لشهر إبريل يبيّن الأسباب الحقيقية لاحترام الآخرين وأهمية الاختلاف باعتباره سنة إلهية لا بد منها لتحقيق التكامل.

- في «الوطنية والمواطنة» الخاص بشهر مايو عدد من مؤشرات حب الوطن كإبلاغ السلطات عن أي تخريب، وتحمل معاناة الدراسة لخدمة الوطن، وعدم تجاوز القوانين واللوائح وغيرها.

- في تزامن مع إجازة الصيف تقدم المفكرة لشهر يونيو في «خطط لصيفك» توضيحًا لدور الشباب ونشاطاته وخياراته (في الإجازة) من المهارات المرغوب تعلمها والسلوكيات المرغوب تركها.

- تحلل المفكرة في «حب الآخرين لك سرّ القيادة» الخاص بشهر يوليو مكونات مراحل كسب حب الآخرين: التشخيص، والألفة، والتفاهم، والتكامل.

- «كبار السن لماذا نرعاهم؟» الخاص بشهر أغسطس يحمل تعريفات بالتغيرات البيولوجية والاجتماعية والنفسية التي يمرّ بها كبار السن (الوالدان) وبطرق إسعادهم كالتحدث معهم عن ذكرياتهم، والدخول في مجال اهتمامهم، والاستفادة من خبراتهم، وإشعارهم بدورهم بالحياة.

مهارات دراسية

تعزز المفكرة «الجداول الشهرية» التي استنفدت ثلاثة أرباع صفحاتها بـ«خمس خطوات للاستعداد للاختبار» وهي: وضع خطة زمنية للمراجعة،

والاختبار المثالي، والتركيز على الملحوظات، وإنهاء المراجعة قبل الاختبار، واستغلال الساعات الأخيرة. وبـ«العادات السبع للطلبة المتفوقين»، وهي: تحضير الدروس ومراجعتها، والنوم مبكرًا والاستيقاظ مبكرًا، وحل جميع التمرينات، والتلخيص، والمناقشة، والاستفسار، والمثابرة والتفاؤل، وتناول وجبة الإفطار. وبـ«محتويات الأبحاث الجيدة والتقارير السليمة» كالعناوين، والمقدمة، والفهرس، والخاتمة، وتقدير الصفحات، والالتزام بموعد التسليم.

وتحاول المفكرة تحت هذا العنوان (مهارات دراسية) تبسيط مشكلة اختيار التخصص الدراسي والوظيفة في طريقتين: تعتمد الأولى منهما على خمسة أسس: الرغبة، وفرص العمل، والقدرة، والنفوذ والسلطة، والراتب. بينما تعتمد الطريقة الثانية على نظرية «الذكاء المتعدد» والتي تصنّف الذكاء إلى ثمانية أنواع: الذكاء اللغوي، الذكاء المنطقي، الذكاء البيئي، الذكاء الذاتي، الذكاء البصري، الذكاء الاجتماعي، الذكاء الإيقاعي، الذكاء الحركي، وتقدم المفكرة وصفًا لكل نوع من أنواع الذكاء ولقدرات صاحبه ولمسميات المهن المناسبة له. كما تقدّم عددًا من الطرق التي يتعلم أصحاب كل نوع من أنواع الذكاء من خلالها، وبعضًا من التمرينات المعينة على تقوية وتنشيط الذكاء (بمختلف أنواعه). فعلى سبيل المثال:

- في «الذكاء اللغوي» تصف المفكرة من يمتازون فيه بأنهم محبّون للقراءة وسرد القصص وكتابتها، وأنهم مهتمون بتعلم اللغات والمناقشة وكتابة الأفكار. ويناسب هذا النوع من الذكاء جملة من المهن، مثل: المحاماة، والصحافة، والخطابة، والتأليف. كما أن لدى أصحاب هذا الذكاء القدرة على استخدام الكلمات (شفهيًا وكتابيًا) بكفاءة عالية. وتعتبر كتابة الأفكار والمذكرات والقراءة للتلخيص واستخراج كلمات جديدة من القاموس وألعاب الألفاظ والقوافي من التمارين المناسبة لهم.

- «الذكاء المنطقي» يمتاز أصحاب هذا النوع من الذكاء بحبّهم للرياضيات والعلوم والألغاز وتصنيف الأشياء، وبقدراتهم العالية في اكتشاف العلاقات بين الأعداد وفي تذكر الأرقام والإحصاءات. ويناسب هذا



(الشكل٤)

الذكاء العمل في المحاسبة، والبحث في الاستثمار، وتدريس الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الفلك، وبرمجة الكمبيوتر، والهندسة، وعلم النفس. ويتعلم أصحاب «الذكاء المنطقي» من خلال التجارب، والبحوث، والمشروعات، وأساليب حل المشكلات. ويمكن أن تكون التدريبات الحسابية، وزيارة المتاحف والمعارض ذات الصلة بالعلوم والرياضيات، وقراءة المجلات العلمية، وتخمين المسافات، وتعلم برامج حاسوبية جديدة - من التمارين المناسبة لتقوية الذكاء المنطقي.

- «الذكاء الاجتماعي» لدى أصحاب هذا النوع من الذكاء قدرة على تكوين الصداقات ومساعدة الآخرين بتشجيعهم وحل خلافاتهم، كما أن لديهم حبًّا للأنشطة واللقاءات الجماعية. وهم يتكلمون كثيرًا ويرحبون بالآخرين بحماس واحترام. وتناسب أصحاب هذا الذكاء مهن في الإدارة، والتدريب، والاستشارة، والمحاماة، والسياسة، والتربية، والعلاقات العامة، والتجارة، والتمريض. ويتعلم أصحاب «الذكاء الاجتماعي» من خلال التعاون، والمجموعات، والمقابلات، والألعاب الجماعية. ويعتبر تحليل مواقف الناس وأصواتهم وإيماءاتهم (في التلفاز مثلاً) وسؤال الناس عن خبراتهم والأعمال التطوعية من التمارين المناسبة لهم.

- «الذكاء الحركي» لأصحاب هذا النوع من الذكاء محبة ظاهرة للأنشطة الحركية والمهارات الرياضية والأعمال اليدوية، ولديهم قدرة على تقليد الآخرين بدقة. وتعد الجراحة، والخط، والتمثيل، والنجارة، والتدريب الرياضي، والعلاج الطبيعي، والميكانيكا، وقيادة المركبات من المهن المناسبة لهم. ويمكن لأصحاب هذا الذكاء أن يتعلموا من خلال التقليد والمحاكاة، والأنشطة العملية كألعاب التناسق بين العين واليد، ومشروعات الطين والورق، والتدرب على الخطوط، وفنون القتال.

وتلحق المفكرة وصفها لأنواع الذكاء بـ«مؤشر روجر للذكاء المتعدد» الذي يساعد على اكتشاف مستوى الذكاء واتجاهاته (مع احتمال أن يمتلك الطالب والطالبة أكثر من نوع من أنواع الذكاء الثمانية) والمكوّن من ٥٦ سؤالاً (الشكل٤) تدور في مجملها حول المهارات والميول والقدرات الشخصية في مختلف المجالات الإنسانية. ويقابل كل سؤال من هذه الأسئلة عدة مستويات للإجابة يختار الطالب والطالبة منها أقربها لصفاته وفق التدرج التالي:

- نادرًا ١.
- أحيانًا قليلة ٢.
- أحيانًا ٣.
- عادةً ٤.
- دائمًا ٥.

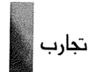
ومن خلال مفتاح الأجوبة المرفق بأسئلة «مؤشر روجر للذكاء المتعدد» يمكن للطالب والطالبة معرفة محصلة درجاته في كل نوع من أنواع الذكاء. وبالتالي تحديد أي نوع (أو نوعين) من الذكاء يمتاز به والتخصصات التي تناسبه والوظائف التي يمكنه أن يمتهنها.

ولأهمية تحديد «مناطق التميز» تُجمل المفكرة المبررات التي تستدعي التعرف عليها لدى كل طالب وطالبة، وهي: التركيز في الأنشطة، تحسّن المهارات، والإصرار، وزيادة التحفّز والحماس والثقة بالنفس والطاقة والعلاقات بالآخرين.

بانوراما

في هذا الجزء المكوّن من ثماني صفحات (هي خاتمة المفكرة) تعريف ببعض الأغذية الصحية للطالب، وبيان بضرورة القراءة، وملامح من سير الناجحين، ودعوة للبدء بمشروع صغير والتزام قواعد النجاح فيه (الجدية، ومناسبته للميول، والمعرفة بأساليب إداراته وإنتاجه وتسويقه)، كما أن فيه دعوة للعمل الخيري، وإجابة لسؤال عن «كيف تحاور الآخرين؟» تحوي تسعة مبادئ، منها: الإنصات، والاعتدال بالعرض، والاستعانة بطرف ثالث، والتركيز على نقاط الاتفاق، وتعداد الشواهد والأرقام، وغيرها. مع التنبيه على أن الفائز في النقاش هو من يحترم الرأي المخالف ويوفر له البيئة المشجعة للتحدث عن رأيه.

المفكرة إضافة لمحتواها المعرفي الإرشادي، امتازت بالإخراج الفني الجميل وبرسومات متنوعة وألوان متناسقة وطباعة فاخرة جعلت منها إصداراً جديراً بالإشادة والتوثيق■



خطوة خطوة نحو مكتبة فصل مثالية

إيمان عبدالرحمن الكرود - الدمام

في ركن قصي مظلم تقبع طاولة صغيرة اصطفت فوقها بعض الكتب المهترئة الزهيدة ومجلة أو مجلتان من القرون البائدة، ووضعت فوقها لافتة كتب عليها بخط يد كبير «مكتبة الفصل». تلك هي المكتبة التي كانت كل معلمة تحرص على إنشائها. فمع بداية كل عام دراسي تنادي المعلمة طالباتها الصغيرات بصوت جهوري: «بنات! كل واحدة تحضر كتابًا لنضعه في مكتبة الفصل». تهب الطالبات لأمر المعلمة فلا يأتي اليوم الثاني إلا ومع كل طالبة كتاب أو ربما عدة كتب، سرقتها من مكتبة منزلها، وقد تنوعت الكتب في مضمونها فكتب الدين والتاريخ والثقافة العامة لم تكن إلا جزءًا من القائمة التي تندرج تحتها تلك الكتب، تنوعت هذه الكتب في مضمونها إلا أنها اتفقت في شيئين: أولهما أن أيًا منها لم يكن يناسب سني طفولتنا المبكرة، وثانيهما لم يكن في أي منها ما يجذبنا كأطفال. وهكذا بعد أن اجتمع للمعلمة مجموعة من هذه الكتب لم يبق إلا أن تضيف هي لمساتها الفنية على هذه المكتبة فترتب الكتب بطريقة بديعة تراعي أن ترص الكتب كبيرة الحجم أولاً تليها الكتب الأصغر فالأصغر، فهي لا تسمح بالعشوائية في الترتيب! والنظام يقتضي أن نبدأ بالأكبر فالأصغر.

وهكذا تستطيع المعلمة أن تتنفس الصعداء بعد أن أدت مهمتها على خير وجه، وأسست لطالباتها الصغيرات مكتبة يفاخرن بها مكتبات أوروبا وأمريكا!! وملأت فراغًا في الفصل كانت حائرة في أمره!!

وتمر الأيام ويوشك العام الدراسي على الانتهاء وتشرع المعلمة في تفريغ الفصل من محتوياته فتتذكر فجأة تلك المكتبة، وإذا هي كما عهدتها عندما رتبتها أول العام لم يتغير فيها إلا ذلك الغبار الذي يعلو الكتب والذي تراكم على مر الأيام. هكذا كانت مكتبة الفصل التي لا أذكر يومًا، رغم محبتي للقراءة، أني توقفت عندها فضلاً عن أن أستعير كتابًا منها والتي ما زلت أجهل إلى اليوم سبب حرص معلماتي على إنشائها. وعندما أصبحتُ معلمة اختفت هذه المكتبة من أغلب الفصول إلا فيما ندر، واكتفت كثير من المعلمات بإرسال طالباتهن إلى مكتبة المدرسة رغم أنه حتى هذه الأخيرة عليها من المآخذ ما لا يعد ولا يحصى. وبين الماضي وما فيه من جهل وسوء استخدام وبين الحاضر وما فيه من تجاهل وتهميش

يبرز السؤال: ما هي مكتبة الفصل وما الدور الذي تؤديه في العملية التعليمية؟

تحظى مكتبة الفصل باهتمام متزايد في العالم الغربي، وذلك للدور المهم الذي تؤديه في حياة الطالب وفي سير العملية التعليمية. فهناك تعقد ورشات العمل، وتؤلف الكتب في أفضل الطرق لتأسيس مكتبة فصل مثالية. وتتجلى أهمية هذا الدور في النقاط التالية:

❖ غرس محبة القراءة في نفوس النشء الصغير: تذكر دراسة حديثة أن الأطفال الذين تحتوي فصولهم على مكتبات معدة إعدادًا جيدًا يتفاعلون أكثر مع الكتب وينظرون إلى القراءة نظرة إيجابية، ويقضون وقتًا أكثر في القراءة ويحققون معدلات أعلى من غيرهم في التمكن من القراءة، كما يؤكد الباحثون أن الطلاب الذين تحتوي مكتبات فصولهم على مجموعة متنوعة من الكتب المحببة يقرؤون ٥٠٪ أكثر من الطلاب الذين لا يتمتعون بمثل هذه المكتبة.

❖ إتاحة فرصة القراءة للطبقات الفقيرة: تظهر أهمية مثل هذه المكتبة في المدارس التي تؤمها غالبية فقيرة. ذلك أن أبناء الأسر المحدودة الدخل، بخلاف أقرانهم من أبناء الطبقة المتوسطة أو الغنية، لا تتوفر لهم الكتب في المنزل، بل حتى مناطق سكناهم لا تحتوي على مكتبات سواء عامة أو خاصة إلا فيما ندر، ومن ثم تمثل لهم مكتبة الفصل معينًا ثرًا من الكتب وفرصة ذهبية. وكم سمعنا عن مشاهير كانت مكتبة الفصل هي نواة المعرفة الأولى لهم، وكم قرأنا عن أدباء كانوا يقتاتون في صباهم على ما يهديه لهم المعلم من كتب.

❖رافد مساعد للمنهج الدراسي: مما لا شك فيه أن المعلومة التي يتعلمها الطالب في كتابه المدرسي ثم يجدها مذكورة في كتاب آخر تكون أكثر رسوخًا وأشد وقعًا من تلك التي يقرؤها في الكتاب المنهجي فقط، إذ لو لم تضف هذه الكتب شيئًا من المعلومات إلا أنها قد تقدم المعلومات التي يطرحها الكتاب المدرسي بطريقة مبتكرة جذابة فيسهل على الطالب هضمها. فلو فرضنا مثلاً أن وحدة الأسبوع هي عن حيوان معين يجهز المعلم ركنًا في المكتبة يضم مجموعة من الكتب التي تتحدث عن هذا الحيوان وصوره وصفاته بالإضافة إلى القصص التي تحكي عن هذا الحيوان أو يكون هو أحد أبطالها، ومن ثم يطلب من التلاميذ عقد مقارنة بينه وبين حيوان آخر، أو لتكن وحدة الأسبوع مثلاً عن الماء فيملأ المعلم المكتبة بكتب تتحدث عن أهمية الماء وكيفية المحافظة عليه وترشيده وبعض كتب التجارب التي يجريها المعلم مع طلابه.

وبغض النظر عن دور مثل هذه الكتب في خدمة المنهج الدراسي فإن مجرد تنمية مهارة البحث والتعلم الذاتي هي هدف سام بحد ذاته يستلزم من المعلم تكريس الجهود من أجل تحقيقه.

❖تعليم مهارتي القراءة والكتابة: ولما كان تعليم مهارة القراءة هي من الأساسيات الأولية في عملية التعليم خصوصًا في المراحل المبكرة كانت مكتبة الفصل هي المعين الأول والمساعد الأهم، فوفقًا للقاعدة التي تقول إن التمكن من مهارة ما لا يتم إلا عن طريق ممارستها بكثرة فإن الطالب كلما اطلع على المزيد من الكتب وقرأ أكثر ازداد تمكنه من هذه المهارة التي ستقوده بلا شك إلى الارتقاء في المهارات الأخرى مثل مهارة الكتابة والإملاء والتعبير وغيرها من المهارات التي

> الكثير من المعلمين ينفقون على فصولهم من جيبهم الخاص. وشراء الكتب التي تملأ مكتبة الفصل هي جزء من النفقات التي يتحملها المعلم في سبيل تعليم أفضل لطلابه

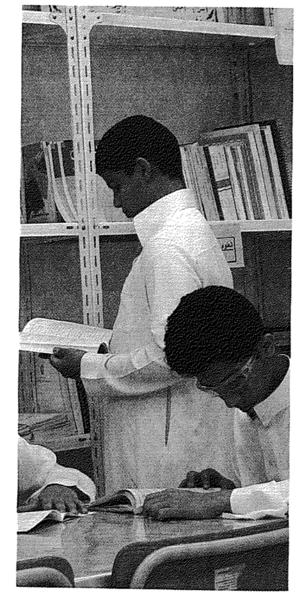
يسعى معلمو الصفوف الدنيا والعليا على حد سواء إلى تنميتها في طلابهم.

كيف تنشأ مكتبة الفصل؟

إنشاء مكتبة الفصل اليوم ليس عملية عشوائية، بل لابد أن تكون وفق خطوات مدروسة. والمعلم الذي يود إنشاء مكتبة الفصل لا يتوقع أن تتكون له مكتبة متنوعة مثالية بين يوم وليلة. بل هي حصيلة تراكمية لخبرات وكتب جمعها على مدى السنوات.

من أين نحصل على الكتب؟

❖ شراء الكتب: رغم أن اللوائح المتعارف عليها



لا تلزم المعلم بشراء أي من مستلزمات الفصل من جيبه الخاص إلا أن الواقع الملموس غير ذلك تمامًا. ذلك أن المبلغ الذي توفره غالبية المدارس للمعلم حتى يقوم بإعداد الفصل وتوفير مستلزماته لا يغطي إلا أقل القليل من نفقات الفصل هذا في حال أن كان المعلم من النوع المثالي الطموح الذي يسعى للكمال.

من هنا فإن الكثير من المعلمين ينفقون على فصولهم من جيبهم الخاص. وشراء الكتب التي تملأ مكتبة الفصل هي جزء من النفقات التي يتحملها المعلم في سبيل تعليم أفضل لطلابه. لا مانع للمعلم أن يبدأ مكتبته بمجموعة من الكتب التي اشتراها من حر ماله. وذلك لا يلزمه أن يقوم بشراء كم كبير من الكتب من أول مرة إذ لا أحد يتوقع أن يمتلك مكتبة مستوفية الشروط من بداية الأمر، فروما لم تبن في يوم واحد. بل يقوم بإضافة مجموعة من الكتب إلى المكتبة من وقت إلى آخر كلما سنحت له الفرصة. ومع مرور السنوات وعلى المدى البعيد سيكتشف أنه جمع مجموعة كبيرة من الكتب التي أفاد منها شريحة عريضة من طلابه. وعن ذلك تحكي إحدى المعلمات فتقول إنها بدأت في جمع الكتب بالتدريج ومع تقاعدها كانت قد جمعت ما يربو على ثلاثة آلاف كتاب.

❖ الاستعانة بالطلاب وأولياء الأمور: جميل أن نشرك الطلاب وأولياء الأمور في هذه المهمة السامية، وأعتقد أن الكثير من أولياء الأمور لن يترددوا في إسداء هذه الخدمة ذلك أن المستفيد الأول هو الابن. وتتمثل هذه المساعدة إما بالتبرع بمجموعة من الكتب للمكتبة أو الإعارة. ويبقى دور المعلم الأهم هو التدقيق في هذه الكتب وفرزها للتأكد من ملاءمتها لمستوى الطلاب.

❖ الاستعارة من مكتبة المدرسة: يفضل كثير من المعلمين الاستعارة من مكتبة المدرسة من وقت إلى آخر وذلك لإثراء مكتبة الفصل خصوصًا إذا كان المعلم يسعى للتوسع في الدروس المنهجية، فيستعير من المكتبة الكتب التي تدور حول الوحدة التي هو بصدد تدريسها.

❖ الاستعانة بالأصدقاء والأقارب:كثير من

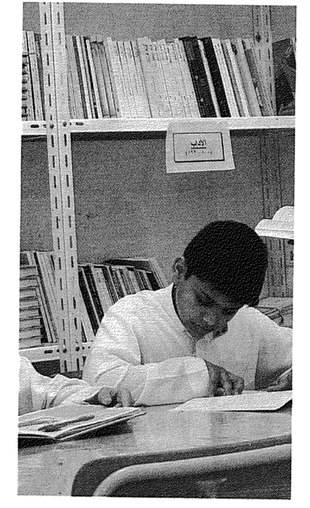
الأسر تزدحم مكتباتهم المنزلية بكتب لم يعد أطفالهم بحاجة إليها بعد أن كبروا وشبوا عن الطوق. بل أصبحت هذه الكتب تشكل لهم عبئًا سيكونون شاكرين لك مساعدتك إياهم في التخلص منها.

مواصفات المكتبة:

لأهمية هذا الركن لابد أن يتميز عن باقي الأركان بحيث ما إن يضع الطالب قدمه في هذا الركن حتى يشعر أنه دخل عالمًا آخر غير عالم الفصل وهذا كله يعتمد على المعلم وهمته، ولكن هذا لا يعني أن يرهق المعلم ميزانيته بشراء أثاث فاخر بل كثيرًا ما يكون الجمال في البساطة فقطعة سجاد وبعض الوسائد والطاولات والكراسي المريحة والملصقات الجذابة ستؤدي الغرض وأفضل ما تزين به مكتبة الفصل أعمال الأطفال أنفسهم من رسومات وتقارير وأبحاث، ما سيضفي على المكتبة شيئًا من الخصوصية. كذلك لابد أن نضع في الحسبان أن تكون المكتبة في ركن سهل الوصول إليه وأن تكون الإضاءة مناسبة.

نوع الكتب:

معلم اللغة الإنجليزية لن يجد أي صعوبة في توفير الكتب المناسبة فمواقع الإنترنت المختلفة والمكتبات الشهيرة لا تعرض قوائم عن آخر كتب الأطفال وأهمها فحسب بل تطرح تقارير كاملة عن هذه الكتب وعن أنواعها والمراحل العمرية التي تخاطبها والتصنيفات التي تندرج تحتها، ولنفرض مثلاً أن المعلم يود أن يختار بعض الكتب التي تتحدث عن السير الذاتية للصف الرابع الابتدائي فما عليه عندها إلا أن يسجل طلبه من خلال لوحة المفاتيح لتظهر له قائمة بأهم الكتب وأشهرها وأكثرها مبيعًا، بل تعرض بعض المواقع عناوين كتاب الأطفال وحتى الرسامون الذين يرسمون القصص المصورة حتى تتمكن من التواصل معهم فضلاً عن الكتب المخصصة للباحثين عن كتب الأطفال بأنواعها المختلفة، أما بالنسبة لمعلم العربية فالأمر مختلف تمامًا. فلا توجد مواقع متخصصة لكتب الأطفال إلا فيما ندر. أما بالنسبة للكتب العربية التي ترشد المعلم والوالدين إلى أهم كتب الأطفال فأكاد أجزم بأنها لم تظهر بعد على وجه اليابسة! لذا فعلى المعلم أن يعتمد على نفسه أو يستعين بخبرة غيره من المعلمين للبحث عن أفضل الكتب وأهمها. ويجب ألا ينسى المعلم في غمرة انشغاله بالبحث عن أفضل الكتب أن يوفر كتبًا لجميع مستويات الطلاب فلا تخاطب جميع الكتب المستوى نفسه فتكون غالبية الكتب موجهة للمرحلة العمرية المناسبة للفصل الذي يدرسه المعلم وأما الباقي فيضم كتبًا أعلى مستوى، وذلك للأطفال الأكثر ذكاء وكتبًا أقل مستوى وذلك للأطفال الذين يعانون صعوبات في التعلم عامة أو القراءة خاصة. أما بالنسبة لنوعية الكتب فلابد أن تحتوي المكتبة على كتب مختلفة في نوعها فكتب القصص والحروف والأرقام والشخصيات



المحبوبة لدى الأطفال والكتب العلمية والدينية ما هي إلا بعض الأنواع وإلا فالقائمة طويلة، وكل معلم يضع في قائمته ما يجده مناسبًا من أنواع الكتب المختلفة. كذلك لا ينسى المعلم أن يشترك في مجلة أو اثنتين من مجلات الأطفال المعروفة.

ترتيب المكتبة:

❖أول خطوة في عملية بناء المكتبة هو الاستعانة بالتكنولوجيا في ترتيب الكتب وتبويبها. فمن خلال جهاز الكمبيوتر ندخل جميع المعلومات المتعلقة بالكتب من عنوان الكتاب ونوعه واسم الكاتب وعدد النسخ وغيرها من تفاصيل مهمة. وهذه العملية وإن بدت مجهدة بعض الشيء في البداية إلا أنها ستثبت فائدتها على مر الأيام عندما يلمس المعلم كم هي مفيدة، حيث إنها تساعده على إحصاء عدد كتبه واكتشاف المفقود منها بسرعة، كما سيطلع من خلالها على نمو مكتبته والكتب الأكثر شعبية...إلخ.

❖ تختلف طريقة ترتيب الكتب وتصنيفها من معلم إلى آخر. ولنفرض أن المعلم رتب الكتب وفقًا للأبواب التالية: القصص المصورة، قصص الخيال العلمي، الكتب العلمية، كتب التاريخ...إلخ. يعمد كثير من المعلمين إلى تمييز كل نوع. وذلك بوضع ملصق ملون ثم تغليف هذا الملصق بشريط لاصق شفاف لضمان الحفاظ على هذا الملصق. هذا الملصق من شأنه أن يساعد الطالب على أن يعيد الكتاب إلى مكانه الصحيح مع الكتب التي تحمل الملصق ذاته والتي قد توضع أحيانًا في سلة أو صندوق من اللون نفسه.

كيف نجذب الطلاب إلى مكتبة الفصل؟

❖ هذا الركن من أهم أركان الفصل، لذا لابد من تمييزه عن غيره من الأركان، وذلك بتقديمه بطريقة مميزة ومشوقة فيقدم للأطفال بالتدريج. فيعمد المعلم إلى إخفاء محتويات هذا الركن في الأيام الأولى، وذلك عن طريق تغطيتها بقطعة من القماش الأمر الذي يثير فضول الأطفال ويشوقهم لمعرفة ما تخفيه قطعة القماش هذه، والذي لابد أن يكون شيئًا مهمًا ثم بعد ذلك يبدأ المعلم بتقديم المكتبة جزءًا جزءًا، فيعرض محتوياتها ويشرح لهم طريقة استخدامها وقوانين الإعارة وكيفية التعامل مع الكتاب، وفي أثناء ذلك كله لا ينسى أن يثير حماسهم، وذلك بقراءة قصة يومية لهم.

❖ مع بداية العام الدراسي نقوم بإرسال رسالة إلى أولياء الأمور نشرح فيها للآباء عن مكتبة الفصل وأهميتها ونطلب منهم تشجيع أبنائهم على الاستعارة منها.

❖ رصد جوائز للطلاب الأكثر ترددًا على هذه المكتبة.

❖ من وقت إلى آخر يقوم المعلم بقراءة كتاب للأطفال ثم يعرض هذا الكتاب في ركن خاص. وسوف يفاجأ بالإقبال الذي سيلمسه من الطلاب لاستعارة هذا الكتاب، إذ إن الكتاب الذي يقرؤه المعلم للأطفال يكتسب أهمية خاصة، ثم إن الأطفال يحبون قراءة الكتب المألوفة لديهم المرة تلو الأخرى.

❖ لا تعرض جميع الكتب التي تحتويها مكتبتك من أول يوم دراسي، إذ حتى لو افترضنا أن مكتبتك تحتوي على ألف كتاب فلن يمر شهر أو اثنان إلا وقد بدأ بعض الطلاب بالتذمر من عدم وجود كتب جديدة وأنهم اطلعوا على جميع الكتب!! لذا من الحكمة بل كل الحكمة ألا تستعجل في عرض جميع محتويات مكتبتك بل قم بإضافة مجموعة من

لا تعرض جميع الكتب التي تحتويها مكتبتك من أول يوم دراسي، إذ حتى لو افترضنا أن مكتبتك تحتوي على ألف كتاب فلن يمر شهر أو اثنان إلا وقد بدأ بعض الطلاب بالتذمر من عدم وجود كتب جديدة وأنهم اطلعوا على جميع الكتب!

الكتب من وقت إلى آخر.

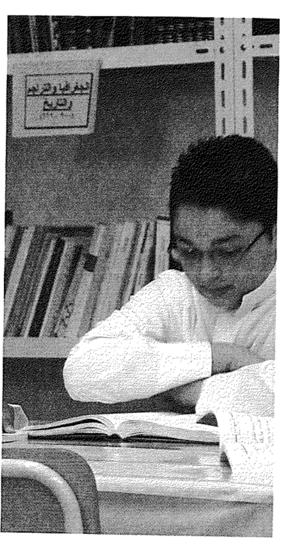
❖ تعلم من خبراء الإعلان، فكل سلعة حتى تروج لابد من الإعلان عنها وعرض ميزاتها ولفت النظر إليها. والكتب التي في مكتبتك ليست بأقل أهمية من تلك السلع، بل هي تفوقها في الأهمية في كثير من الأحيان.أعلن عن الجديد من الكتب في مكتبتك ووجه أنظار الطلاب إليها وذلك بتخصيص ركن خاص في المكتبة للكتب الجديدة ووضع الملصقات الترويجية، ويمكن الاستعانة بالكمبيوتر في تصميم وطباعة هذه الملصقات.

❖ قم باختيار أمين مكتبة للكتب كل أسبوع: لماذا لا نستفيد من الطلاب ونستعين بهم لمساعدتنا على إدارة المكتبة وبذلك نضرب عصفورين بحجر. فكل طالب بحاجة إلى الشعور بأهميته وأنه شخص مسؤول له دور مهم في الفصل، الأمر الذي من شأنه تعزيز ثقة هذا الطالب بنفسه وتنمية شعور الولاء تجاه المكتبة ،ومن ثم نختار من الطلاب«أمين مكتبة» مهمته الإشراف على المكتبة وترتيبها وتنظيفها ويتولى أيضًا مسؤولية إعارة الكتب، كما يقوم هذا الطالب، وهذا هو الأهم، باختيار كتاب أو مجموعة من الكتب ويقوم بالترويج لها، فيكتب ملخصًا لها ويقرأ مقتطفات شيقة من الكتاب للأطفال ويضعها في ركن معين تحت مسمى كتب الأسبوع كنوع من التنويع، توضع تلك الكتب في حامل مثل ذلك المخصص للمجلات والجرائد.

❖ لابد من تخصيص وقت يومي للقراءة الصامتة. وفي أمريكا والدول الغربية يلجأ المعلمون إلى تلقيب فترة القراءة الصامتة بألقاب ظريفة ومحببة مثل D.E.A.R وهو اختصار لجملة Drop Everything And Read أي ألق كل شيء واقرأ أو B.E.A.R. و هي أيضًا اختصار لجملة Be Excite About .Reading وتعني كن متحمسًا للقراءة وخلال هذا الوقت يتوجه الطلاب إلى المكتبة ويختارون الكتاب الذي يوافق هواهم، ثم يعود كل طالب إلى مقعده ليقرأ وحده أو مع زميل آخر، فيقرأ كل منهما للآخر ويتناقشان في أحداث القصة كما يمكن كنوع من الحرية أن يسمح للطلاب باختيار مكان معين للجلوس فيجلسون على الأرض أو في ركن المكتبة، ليضمن المعلم الاستغلال الأمثل لهذا الوقت يطلب المعلم من تلاميذه كل أسبوع أن يدونوا معلومات عن أحد الكتب التي قرؤوها خلال الأسبوع وهي ما تسمى بـ story maps فيدون الطالب في هذه الخرائط عنوان القصة واسم كاتبها وأسماء الشخصيات ومكان وزمان أحداثها، وأخيرًا المشكلة التي تتحدث عنها القصة وحل هذه المشكلة، ثم بعد ذلك يضع المعلم كل واحدة من هذه الخرائط في ملف خاص تحت اسم الطالب وهذه الطريقة من شأنها أن تضفي جوًا من الأهمية لهذا الوقت، كما أنها تضمن انكباب الطالب على القصة وقراءتها باهتمام وإمعان فلا يجد والحال كذلك وقتًا للسرحان وأحلام اليقظة والأحاديث الجانبية، وخلال هذا الوقت يقرأ المعلم فيجعل من نفسه قدوة عملية لتلاميذه أو يشرف من بعيد على الطلاب ويتفرغ لشؤون الفصل الأخرى.

❖ ابتكارات المعلمين لا تنتهي، حيث يلجأ بعضهم إلى أساليب طريفة لغرس حب القراءة في نفوس تلاميذهم، فيعمد بعضهم إلى صنع لافتة مميزة مكتوب عليها Reading Break وفجأة في أثناء انغماس الطلاب بعمل ما مجهد مثلاً يرفع المعلم هذه اللافتة فتتوقف الحركة في جميع أرجاء الفصل ويرمي الطلاب ما في أيديهم ليستمعوا مثلاً لقصة يقرؤها لهم المعلم أو ليختاروا هم

> مكتبة الفصل ليست ركنًا مكملاً من أركان الفصل وليست مجموعة من الكتب المصفوفة وقطع الأثاث الموضوعة، بل هي غرفة عمليات حقيقية تجرى فيها البحوث وتناقش الكتب ويرشح أفضل الكتّاب



القصة التي توافق هواهم.

❖ بعد الانتهاء من قراءة قصة يقوم الأطفال بتمثيل هذه القصة أمام أصدقائهم.

نظام الإعارة:

طريقة الإعارة تختلف من معلم إلى آخر، يلجأ بعض المعلمين إلى وضع بطاقة في الجزء الداخلي من غلاف الكتاب مدونين عليها جميع المعلومات التي تتعلق بالكتاب مثل عنوان الكتاب واسم الكاتب وسعره وغيرها من معلومات، وفي الوقت نفسه يقوم المعلم بعمل لوحة جيوب وتعمل أظرف الرسائل عمل الجيوب، فيكتب على كل ظرف اسم طالب. عندما يريد الطالب استعارة كتاب معين ما عليه إلا أن يزيل البطاقة التي في داخل الكتاب ويضعها في الظرف الخاص به. وبذلك لا يكون بحاجة إلى عملية التدوين المملة الطويلة.

طريقة أخرى:

هي أن يقوم المعلم في بداية كل عام دراسي بعمل بطاقة مكتبية لكل طالب ولضمان حفظها من التلف يقوم بتغليفها حراريًا. يودع الطالب هذه البطاقة لدى المعلم عندما يريد استعارة كتاب ما ويستعيدها عند إعادة الكتاب.

يقوم المعلم بتجهيز دفتر خاص للاستعارة ويحتوي كل دفتر على خانات مخصصة لاسم المستعير واسم الكتاب المستعار وتاريخ الاستعارة وعندما يعيد الطالب الكتاب يقوم المعلم بالتوقيع في خانة خاصة بالمعلم، ولتسهيل مهمة المعلم يشرف على هذا الدفتر أحد الطلاب الذي انتخب كأمين مكتبة لهذا الأسبوع.

إن مكتبة الفصل ليست ركنًا مكملاً من أركان الفصل وليست مجموعة من الكتب المصفوفة وقطع الأثاث الموضوعة، بل هي غرفة عمليات حقيقية تجرى فيها البحوث وتناقش الكتب ويرشح أفضل الكتّاب، ولكن هذا كله يعتمد بعد الله على المعلم وهمته ورغبته الصادقة فهي قد تكون مقبرة الكتاب إذا أهملها وتهاون في شأنها ولم يفعّلها بطريقة صحيحة، وقد تكون منارة للعلم ومهدًا للقراءة والبحث إذا أعطاها حقها وجد في تفعيلها. وليتأكد المعلم أنه متى ما عني بها فإنه سيرى ثمراتها سواء على المدى القريب أو على المدى البعيد. وإن كان التمكن من مهارات القراءة والكتابة والتعبير هي من أولى الثمرات فإن غرس محبة القراءة وزرع روح البحث والمعرفة ليست بآخرها. وهل أجمل من أن يكون المعلم هو المرشد الأول في حياة الطالب وسبب نجاحه بعد الله في مستقبل أيامه، ولرب دعوة من طالب وفيّ مرت به السنون فجلس يتذكر ذلك المعلم وتلك المعلمة اللذين كانا السبب بعد الله فيما هو عليه من ثقافة ومعرفة ووجاهة فاغرورقت عيناه بالدموع ورفع يديه يدعو لهما، أوليس من أبواب العمل الصالح الذي لا ينقطع العلم النافع الذي ينتفع به؟ أو ليس غرس محبة الكتاب في نفوس أبنائنا وإرشادهم إلى ما يفيدهم من كتب من قبيل بذل العلم النافع؟ ■

تجربة في الدمام أكدت اهتمام الطلاب ..

دعوة لرعاية الخط العربي في المدارس

خالد سليمان الخويطر - الدمام

المعلم/ الخطاط محمد جمعان يمارس هوايته في الخط العربي.

قلة هم أولئك الذين يجمعون إلى كرم النفس كرم اليد، ومن هؤلاء القلة الأستاذ الخطاط محمد جمعان الدوسري، المولود في رأس تنورة عام ١٣٧٦هـ، حيث أكمل فيها تعليمه الابتدائي والمتوسط، ثم التحق بمعهد التربية الفنية بالرياض حيث تخرج فيه عام ١٣٩٧هـ ليلتحق بعد ذلك بالسلك التعليمي في عدة مدارس ابتدائية في رأس تنورة، والدمام، حيث يدرس الآن مادة التربية الفنية في مجمع الأمير سعود بن نايف بالدمام.

كانت بداية الأستاذ محمد جمعان عن طريق مادة الرسم في المرحلة الابتدائية بفضل معلم سوداني، ومن الروافد المبكرة له في المرحلة المتوسطة معلم اللغة العربية الأستاذ عبدالله بن سليمان الخويطر حيث كان خطاطًا ماهرًا، يقوم الخط وينصح بالتقليد والمحاكاة للنماذج الجيدة. ومن أصحاب الفضل أيضًا الأستاذ حسين جمعان والمقيم في وادي الدواسر، حيث استفاد كثيرًا من توجيهاته لتحسين خطه عندما كان يزوره في الإجازة الصيفية. وكانت بواكير إنتاجه كلمات مثل: «عيد سعيد»، و«حج مبرور»، يخطها على لوحة ويضعها على سطح المنزل بجوار العلم للترحيب بالحجاج العائدين.

وقد استفاد من قدرته على الرسم لاختيار الألوان الجيدة والمساحات المطلوبة لعمل لوحات فنية بالخط العربي. وبذلك سخر فنه التشكيلي لخدمة أعماله الخطية.

وعن أساتذة الخط الذين أخذ عنهم فن الخط العربي يقول الأستاذ محمد جمعان: « لم أتلق هذا الفن عن أحد من كبار الخطاطين بشكل مباشر، ولكني تأثرت بتراث بعض الخطاطين، كالخطاط العراقي هاشم البغدادي ت:١٣٩٢هـ وكبار الخطاطين المصريين كالخطاط سيد إبراهيم ت: ١٤٠٨هـ والخطاط محمد عبدالقادر، والخطاط خلوصي. وساعدني في ذلك ما وضعه من كتب الأستاذ الخطاط المصري فوزي عفيفي، كما أخذت بعض الحروف الصعبة عن بعض الخطاطين، كحرف الحاء المجموع تعلمته من الخطاط الكبير محمد سالم الحداد حين زرته في القاهرة عام ١٤٠٩هـ. إضافة إلى كثرة التدريب ومحاكاة نماذج الخط الجيد، وذلك بمتابعة الأمشق (كراسات الخط)».

ويؤكد الأستاذ جمعان أنه لا ينتمي إلى أي مدرسة بعينها، بل يميل للتركيز على أعمال بعض الخطاطين، كأعمال الخطاط (محمد الحداد) بتراكيبها الخطية، نظرًا للناحية الفنية في عمله للكتلة الجمالية. ولذا فهو - حسب رأيه - أكثر ميلاً للمدرسة المصرية، منها إلى المدرسة التركية

في الخط. كما أنه يميل إلى خط الثلث بقسميه: المرسل والمركب.

شارك الأستاذ جمعان في العديد من المعارض الخطية، مثل: المقتنيات الأول عام ١٣٩٥هـ في الرياض أيام الدراسة في معهد التربية الفنية، وحصل فيه على الجائزتين الأولى والثانية في الخط العربي.

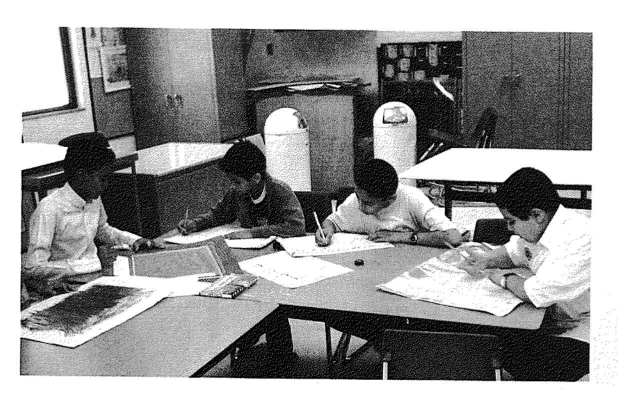
وكرر المشاركة في نفس المعرض في عامه الثاني، وحصل على جائزة اقتناء، وكان الوحيد الذي شارك بلوحة خطية.

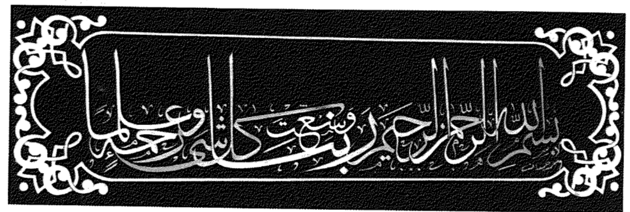
وبعد مساهمته مع الأستاذين سليمان السريع وعبدالرحمن الغامدي في تأسيس «جماعة أصدقاء الريشة» بالدمام شارك بأعماله في جميع ما أقامته هذه الجماعة من معارض فنية. كما شارك في المعارض الفنية التي تقيمها رعاية الشباب، وبعض الجهات الحكومية الأخرى. وآخر مشاركاته كانت العام الماضي خارج المملكة، في ملتقى الخط العربي بالشارقة.

وقبل سنتين أسند إلى الأستاذ محمد جمعان الإشراف على برنامج لتعليم الخط العربي لتلاميذ القسم الابتدائي في مجمع الأمير سعود بن نايف بالدمام، ويستهدف البرنامج فئتين من التلاميذ الذين تقع أعمارهم بين ٩ إلى ١٢ سنة أي طلاب الصفوف العليا:

الفئة الأولى: ضعاف الخط، وخطة البرنامج تهدف إلى تحسين خطوطهم، دون النظر إلى مستوى فنية وإتقان الخط، وهؤلاء يتم اختيارهم من قبل مدرس الخط في الصف الرابع، الذي يحولهم على مجموعات لا تزيد عن خمس تلاميذ. ويتم تدريب هذه المجموعات على، مسك القلم، وكتابة الحروف، وأستمر في تدريبهم حتى يظهر تحسن ملموس في كتابتهم.

أما الفئة الثانية: فهم أصحاب الخطوط الجيدة، إما طالب يحب تعلم جماليات الخط فيتم تدريبه على الخط بقلم البصط (البوص)، أو طالب يبحث عن فنية الخط العربي فيُدرب على عمل لوحة فنية بتنفيذه لأحد الأعمال الخطية، ثم يقوم بعد ذلك بتنفيذ لوحة بخطه هو. وحتى الآن





نموذج من أعمال الخطاط محمد جمعان الدوسري

تعتبر مخرجات البرنامج وفقًا لأهدافه مشجعة جدًا، حيث لدينا ـ كما يقول الاستاذ محمد جمعان ـ تلاميذ ينفذون لوحات فنية جيدة ومتقنة، ولدينا الآن تلاميذ يتقنون الكتابة بقلم «البصط»، تتراوح أعمارهم بين ٩-١٢ سنة.

ومن خلال هذه التجربة أرى أن تدني مستوى خطوط الناشئة يعود إلى:

- إسناد مادة الخط في المدارس للمدرس الأقل نصابًا، دون تقدير لمدى مهارته الخطية وإلمامه بقواعد الخط العربي.
- إهمال الأسرة للابن الذي قد يمتلك مهارة الخط القابلة للترقية بضعف المتابعة، بل إن بعض الآباء يرون في ذلك مضيعة للوقت والجهد عن التحصيل الدراسي.
- انعدام المادة التعليمية في وسائل الإعلام التي تشجع على تعلم الخط وإتقانه، وتنمي الوعي المجتمعي بقيمته الجمالية والوظيفية.

لذا أرى أن الأسلوب الأمثل لترقية خطوط الناشئة في مدارسنا:

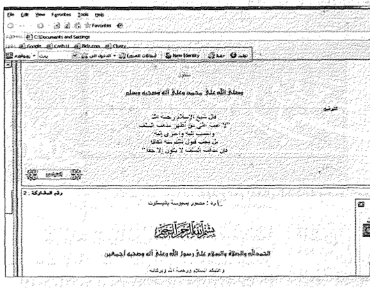
- اختيار المدرس الحاذق بأصول الخط العربي.
- تدريب مدرسي الصفوف الأولى في المرحلة الابتدائية على الكتابة النسخية السليمة.
- العناية باختيار النماذج الخطة اليدوية الجيدة لتعليم الناشئة، والبعد عن الحرف المطبوع.
- البداية مع الطالب لكتابة الحروف ومعرفة أماكن اتصالها، قبل كتابة الجمل الطويلة.
- تدريب الطلاب على كثرة الكتابة، وتوصيتهم بها باستمرار. وتحضرني مقولة قالها لي الخطاط الشهير (سيد عبدالقادر) إنه اتبع نصيحة معلمه بالإكثار من الكتابة، حيث كان يستمر في الكتابة ١٢ ساعة متواصلة في اليوم، حتى حصل على المركز الأول في الاختبار.

والحقيقة أن تطلعات الأستاذ مجمد جمعان للعناية بالخط العربي أبعد من برامج تدريبية متفرقة على المدارس، ذلك لأنها مجموعة متكاملة من الإجراءات الحيوية، ومنها:

- تعميم فكرة البرنامج السابق ذكره على مدارس المملكة.
- إنشاء مدرسة لتعليم الخط العربي تحت إشراف وزارة التربية والتعليم.
- الإعلان عن جائزة سنوية للخط العربي، على مستويين للناشئة والمحترفين.
- إنتاج برنامج تلفزيوني قاعدي منهجي للتدريب على الخط العربي.
- إقامة معارض لعرض الأعمال الفنية والخطية على مستوى المملكة. وحبذا لو تبنت هذا المشروع مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين.■

إعداد : منى الخضيري - الرياض

Roboform



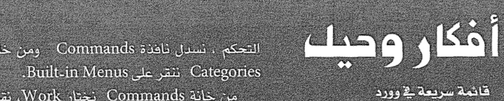
عمل هذا البرنامج الفريد من نوعه لا ينحصر فقط في حفظ كلمات المرور التي تقوم بإدخالها في حساباتك في مواقع الإنترنت والبريد الإلكتروني أو حتى بعض البرامج بدون الاتصال بالإنترنت، ليقلل فرص فقدانها أو حتى نسيانها.

فهو بشكل أوتوماتيكي يقوم بإدخالك في حساباتك على الإنترنت بجميع أشكالها و يكمل تسجيلك بضغطة زر واحدة.

روبوفورم يمنحك حماية كبيرة لبياناتك و لكلمات المرور الخاصة بك.

كذلك يمكن لكلمات المرور أن تطبع، أو تنسخ إلى جهاز كمبيوتر آخر أو حتى أخذ نسخة احتياطية منها، وذلك يسهل لك التنقل بين أجهزة كمبيوتر عديدة تقوم باستخدامها.

هذا البرنامج حاز إعجاب العديد من المستخدمين، حيث تم تحميل أكثر من خمسة ملايين نسخة منه وتم



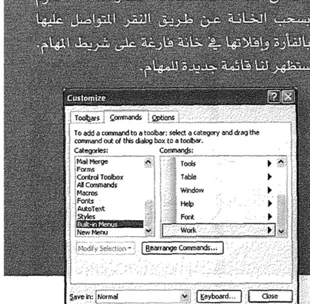
أفكار وحيل

قائمة سريعة في وورد

نضطر أحيانًا إلى استخدام ملف وورد محدد نقوم بالعمل عليه لمدة طويلة و باستمرار، كالأبحاث والتقارير السنوية، ولكن مع حاسب آلي مكتظ بالملفات والبيانات تصعب عملية إيجاد هذا الملف، لذا سنقوم سويًا بعمل قائمة للملفات الأكثر استخدامًا في وورد، تغنينا عن البحث عن الملف بين فوضى المستندات.

ولعمل هذه القائمة نقوم بالنقر على مساحة خالية في شريط الأدوات ونختار أمر Customize الذي سيفتح لنا نافذة التحكم ، نسدل نافذة Commands ومن خانة Categories ننقر على Built-in Menus.

من خانة Commands نختار Work، نقوم بسحب الخانة عن طريق النقر المتواصل عليها بالفأرة وإفلاتها في خانة فارغة على شريط المهام. ستظهر لنا قائمة جديدة للمهام.

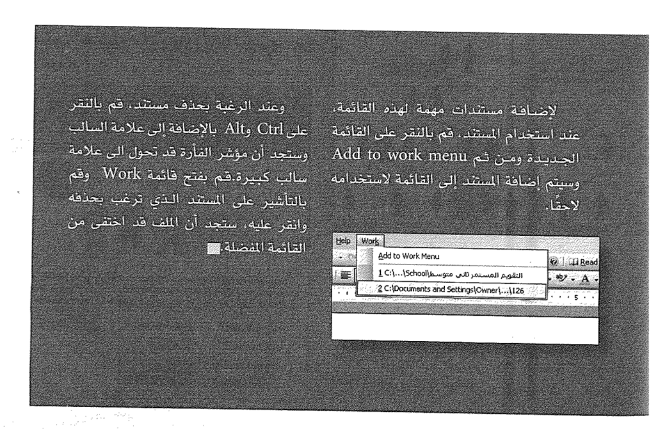


الحديث عنه كثيرًا في الصحافة العالمية المختصة وربح جوائز عالمية وهو متوافق مع جميع أنظمة ويندوز.

يمكن أن يحصل كل مستخدم للنظام على حساب خاص يحفظ فيه كل كلمات المرور الخاصة به، ومن الممكن أيضًا أن يشترك أكثر من شخص في حساب واحد. عند تثبيت البرنامج، يقوم بإضافة شريط أدوات إلى متصفح الإنترنت الخاص بك، ومن أهم مميزات هذا البرنامج أنه يضيف نفسه إلى جميع أنواع المتصفحات، فلا تحتاج إلى إنزال نسخة خاصة بكل متصفح إنترنت، وكذلك ستجد أنه يدعم جميع اللغات، فحاجز اللغة هنا لن يصبح مشكلة، حيث إنه حتى وإن كان متصفح الإنترنت الخاص بك باللغة الإنجليزية تستطيع إنزال نسخة عربية من البرنامج.

وبكل أمان، يمكن استخدام البيانات السرية الخاصة بك في أي نظام آخر، حتى وإن كنت تستخدم أحد الأجهزة العامة، فلا خوف من تسرب معلوماتك أو حتى بقائها في النظام الجديد بعد الانتهاء منه، فتستطيع نقل كلمات المرور الخاصة بك من نظام لآخر باستخدام الأقراص القابلة للنزع Flash Memory أو الأقراص المتحركة، فعند استخدامك للقرص في النظام. سيقوم البرنامج بالتعامل مع البيانات السرية التي قمت بإضافتها مسبقًا على النظام الجديد، وما إن تقوم بنزع القرص سينتهي التعامل معها، ولن تجد أي بيانات خاصة بك محفوظة في النظام، وهي آمن طريقة يمكن اتباعها عند استخدام أجهزة غير خاصة بنا. كذلك يمكن أن تقوم بإدخال هذه البيانات في حال قمت بتغيير حاسبك القديم أو حاسبك في العمل، أو حتى في حال قمت بعمل تهيئة (فورمات) للنظام. فلن تضطر بعد الآن الى إدخال بياناتك مجددًا في مواقع الإنترنت مهما كثر عددها. كما أنك ستجد أنك لن تضطر إلى تثبيت البرنامج في كل حاسب تستخدمه، فالبرنامج بمجرد تثبيت القرص القابل للنزع سيتعامل مع البيانات بدون الحاجة الى تثبيت شريط الأدوات لذا تستطيع استخدامه حتى في الأنظمة التي ليس لديك إذن بتثبيت البرامج بها.

تستطيع تحميل نسخة مجانية بحجم ١,٧٩ ميغابايت من هذا البرنامج من موقع البرنامج الرئيس www.roboform.com ولا تنس كلمة السر الخاصة بك والتي سيطلبها البرنامج في بداية استخدامه لتمكنك من التحكم به لاحقًا.



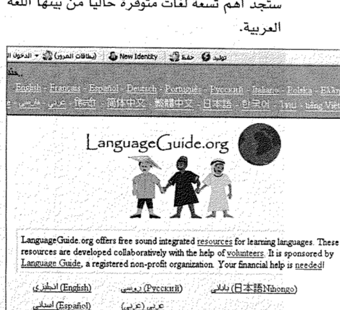
جولة في موقع

دليل اللغة
www.languageguide.org

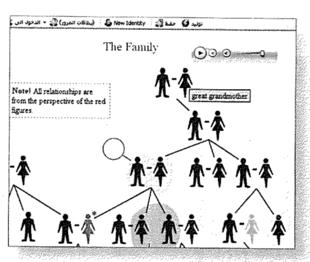
سنتحدث عن موقع لا يمكن أن يوصف بغير الموقع المتميز، من ناحية بساطة التصميم والفكرة والمحتوى.

هذا الموقع يهتم بتعليم اللغات الأجنبية لغير الناطقين بها، فهو على عكس المواقع الأخرى التي ترتكز على لغة واحدة كالإنجليزية لتتمكن من الاستفادة منه، لذا لا يشترط إجادة اللغة الإنجليزية، بل إنك يمكن أن تتعلم أي لغة وأنت ليس لديك معرفة بمصطلحات اللغة الإنجليزية، فهو يوفر لك فرصة تعلم أي لغة متوفرة عن طريق استخدام لغتك الأم.

فعند دخول الموقع للمرة الأولى ستجد في الأعلى عدة لغات عالمية، قم باختيار لغتك لتكون هي الواجهة الرئيسية للموقع، ومن ثم قم باختيار إحدى اللغات العالمية الموجودة في الأسفل لتعلمها، بالطبع لا تتوفر إلا أهم اللغات العالمية لأن الموقع يعتمد على المتطوعين الذين يقومون بالترجمة وإضافة المصطلحات، لذا ستجد أهم تسعة لغات متوفرة حاليًا من بينها اللغة العربية.



فلنجرب مثلاً الدخول إلى اللغة الإنجليزية ونرى ماذا سيقدم لنا الموقع من مصطلحات ومعان، ففي كل لغة ستجد أن الصفحة قد قسمت إلى مجموعات، كل مجموعة تهتم بشيء ما في الحياة مثل الحيوانات، جسم الإنسان، الحشرات والفواكه وغيرها، وبمجرد تمرير مؤشر الفأرة على أي كلمة، سيظهر لك مربع صغير باللون الأزرق يترجم لك معنى هذه الكلمة، فلندخل سويًا إلى العائلة ونرى طريقة عرض المفردات، فقد قام بعمل شجرة عائلة ضخمة بدءًا من الجد الأكبر وانتهاء بأحفاد الأحفاد، وستجد أنك بمجرد تمرير المؤشر على أي صورة، سيظهر لك مربع صغير يحتوي على الكلمة وستسمع نطقها، لذا لا تنس تشغيل سماعات الصوت.



لنخرج قليلاً ونرى إذا ما استطعنا تعلم اللغة الفرنسية، لنعاود الدخول إلى قسم الفواكه ونمرر المؤشر على أي صورة، لنستمع إلى طريقة نطق هذه المفردات ونردد وراءها بقدر استطاعتنا، لأن نظام الصوت في الموقع رائع جدًا وصبور ولن يتمل من إعادة النطق ملايين المرات.



لن يتوقف الأمر على مجرد تعليم مفردات أجنبية، بل إن الموقع قد وفر تعليم قواعد اللغات، ولكن حتى الآن لم تتوفر قاعدة بيانات كاملة لجميع اللغات، ستجد قواعد لغات للغتين الإسبانية والفرنسية، كذلك يوفر لك جملاً مفيدة للحياة اليومية مثل التحيات والتوديع و غيرها.

أما عند الدخول على قسم أفضليات فتستطيع اختيار خصائص تشغيل الصوت مثل تمكين الصوت أو حتى اختيار البرنامج الذي سيقوم بتشغيل الصوت لديك.

يرحب الموقع بالمتطوعين، ففي حال كونك معلمًا لإحدى اللغات، أو لديك معمل لإنتاج الصوتيات أو حتى لديك خبرة في التصميم تستطيع المساعدة في توسيع الموقع وإفادة غيرك من الزوار. وكذلك يرحب بالتبرعات، فإذا ما وجدت أن الموقع قد أفادك، قد ترغب بأن تتبرع له بأي قدر من المال ليظل قائمًا لإفادة الجميع.

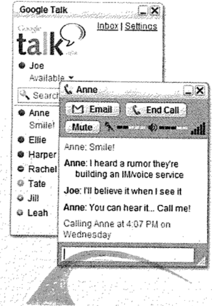
Google Talk

/http://www.google.com/talk

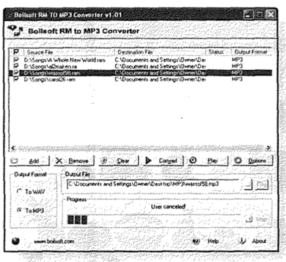
لا يزال موقع غووغل يبهرنا بخدماته الرائعة، والتي لم تتوقف عند حد محرك البحث الأفضل على الإطلاق، بل تعداه إلى طرح برامج عديدة تسهل عمل الشخص على الإنترنت، فبعد أن نافس الموقع بطرحه خدمة البريد الإلكتروني الهائل المساحة، قام مؤخرًا بطرح برنامج محادثات شبيه ببرنامج إم إس إن مسنجر.

تستطيع إضافة أصدقائك الذين يستخدمون البرنامج والتحدث إليهم صوتًا وكتابة بكل سهولة، بل يتعدى ذلك إلى أنه ينبهك إلى وصول رسائل بريد إلكتروني جديدة إلى صندوقك.

وأجمل ما في البرنامج هو إمكانية عرض جميع عناوين الأصدقاء الذين قمت بإضافتهم إلى دفتر العناوين في البريد، على العكس من برنامج إم إس إن مسنجر الذي يتعرف على قائمة الأصدقاء الذين تم إضافتهم للتحدث معهم عبر البرنامج فقط، فبنقرة زر واحدة ستستطيع الانتقال إلى صفحة كتابة الرسائل مباشرة وستجد أن معلومات الاتصال جاهزة مسبقًا.



برنامج مفيد



Rm to Mp3 Converter

الحجم: ١.٢٥ ميغابايت

الموقع: www.boilsoft.com

سنتحدث في هذا العدد عن أحد البرامج الخاصة بتحويل صيغ الملفات الصوتية، فلأن لكل برنامج ميديا صيغ ملفات صوتية تتعامل معه، نحتاج في بعض الأحيان إلى تغيير صيغ أو امتداد الملفات لنستطيع الاستفادة الكاملة من الملف، لذا نجد يوميًا العديد من البرامج التي تقوم بهذه المهمة، البعض منها يفسد نقاء الصوت والبعض الآخر لا يقدم لنا العمل المطلوب، اخترنا لك عزيزنا القارئ برنامجًا رائعًا، وسهل التعامل معه، ويمكنك من تحويل عشرات الملفات في وقت واحد أوتوماتيكيًا.

هذا البرنامج دومًا ما يتم السؤال عنه نظرًا لاهتمام المواقع العربية بتوفير الملفات الصوتية ذات الامتداد rm وذلك نظرًا لصغر حجم الملفات بهذا الامتداد. فعن طريقه تستطيع تحويل الملفات rm إلى mp3 أو wav. وهذا من وجهة نظر شخصية ميزة تحتسب للبرنامج على عكس البرامج الأخرى التي ترهقنا بعدد الوظائف التي تقوم بها في وقت واحد، فهو يقدم لك عملاً محددًا يساعدك على إنجاز مهمتك بسهولة وبدون أخطاء.

قم بتحميل البرنامج من الموقع، ومن بعد التثبيت، ستجد أن واجهة البرنامج توفر لك العديد من الخيارات، فلنبدأ بالنقر على زر Add ونقوم بالبحث عن الملف الصوتي الذي نريد تحويله، نقوم بإضافته وسيظهر لنا في قائمة الملفات التي تنتظر التعامل معها، الزر الذي يليه Remove لحذف ملف محدد، والذي يليه Clear لمسح القائمة كاملة، نستطيع النقر على زر Option للتعامل مع خصائص الملف، كجودة الصوت و غيرها، لكن إعدادات البرنامج الأصلية كافية لإنتاج ملف صوتي عالي الجودة. أما زر Play فهو للاستماع للملف الصوتي قبل التحويل.

في خانة Output File نتأكد من تحديد مسار الملف الذي سيتم تحويله، حتى لا نتوه في البحث عن موقع الملفات التي قمنا بتحويلها، لنحدد مجلد يتم الحفظ فيه.

أما Output Format فتعنى بصيغة الملف الذي نتطلع إليه بعد عملية التحويل، سواء كانت Wav أو Mp3.

لنبدأ الآن بعملية التحويل بالنقر على زر Convert ولنتأكد من اختيار جميع الملفات المطلوبة عن طريق وضع علامة بجانب كل ملف. ستستغرق العملية بعض الوقت تبعًا لحجم الملفات الأصلية، ونوعية جودة الملف الجديد الذي قمنا بتحديده من الخيارات.

سؤال و جواب

س: كيف يمكنني البحث في موقع معين، اذا كان الموقع لا يوفر زاوية للبحث في داخل الموقع؟

- عادةً ما توفر المواقع خانة للبحث في داخل الموقع، لكن إذا لم يوفر الموقع محرك بحث خاص به، ولأن محركات البحث قد وفرت لنا البحث في الإنترنت بشكل عام وليس في موقع واحد نحدده، كان لابد من تطوير طريقة لاستخدام هذه المحركات للبحث في داخل المواقع الأخرى، وهي طريقة رائعة في حال لم تستطع استخدام محرك البحث الخاص بالموقع المطلوب بالشكل الصحيح.

لذا قم بفتح موقع غووغل أو أي موقع لمحرك بحث شهير ولنفترض أننا نريد البحث في موقع الأطعمة الحلال عن المطاعم، نقوم بكتابة النص بالشكل التالي: restaurant site:eat-halal.com

فيقوم محرك البحث مثلاً بالبحث عن كلمة مطاعم فقط في الموقع المحدد الذي طلبناه.

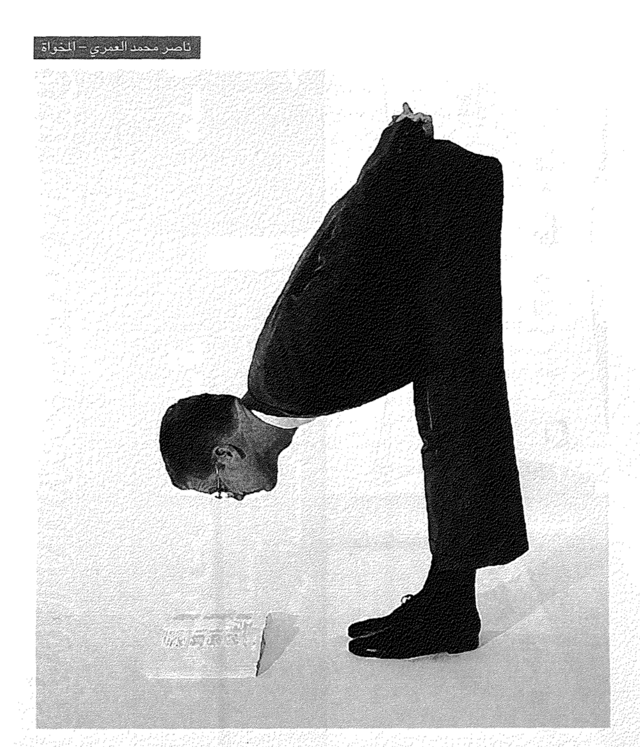
فكلمة restaurant كانت هي محور البحث لدينا ونترك مساحة حرف فارغ.

Site يتبعها نقطتان والموقع الذي نريد البحث فيه.

أغلبية المصابين بـ « المرض » يتمتعون بذكاء فوق المتوسط ، ومنهم عباقرة . .

هل أنت مصاب بـ«الدسلكسيا»

ناصر محمد العمري - المخواة



عرفت الدول الغربية خاصة أمريكا وبريطانيا مرض «الدسلكسيا» قبل غيرها من الدول بنحو ١٠٠ عام، وأصبح لديها عيادات طبية وتعليمية لعلاجه، وصدرت قوانين وإجراءات لمنح الرعاية الملائمة لمن يتم تصنيفهم بأنهم يعانون «الدسلكسيا».
إن كلمة «دسلكسيا Dyslexia» كلمة يونانية الأصل، وتعني صعوبة في قراءة الكلمات وخاصة تعلم التهجئة الصحيحة والتعبير عن الأفكار كتابة، وتسمى أحيانًا «عسر القراءة». وتظهر في الطلاب الذين يتلقون تعليمًا مدرسيًا عاديًا ولا يظهر لديهم أي تأخر في الموضوعات الدراسية الأخرى. ويقدر عدد الناس الذين يصابون بهذه الحالة بـ ١٠٪ من السكان، ومظاهرها وأسبابها كثيرة، وهو الأمر الذي أدى إلى تسميتها بـ «المرض الخفي» وإلى اختلاف بين وجهات نظر الأطباء حولها، فالبعض منهم يرفض هذا المرض نهائيًا ولا يعترف به بسبب شدة تباين الأعراض من شخص لآخر.

وعادة تظهر علامات المرض قبل سن التعلم مثل: تأخر النطق، وصعوبة في تنفيذ بعض الأعمال، وطريقة استعمال بعض الأدوات، وصعوبة التركيز، والوقوع في أخطاء إملائية غريبة كنسيان الحروف، أو الخلط بينها أو وضعها في غير مكانها بصورة متكررة، وصعوبة في التخطيط، وتخبط في تلقي المعلومات الشفهية، وقلة المثابرة، وضعف الثقة بالنفس. وأكثر المصابين بهذا المرض غالبًا ممن يستخدمون اليد اليسرى ويتميزون بقدر كبير من الذكاء يفوق المستوى الذي يدل عليه عملهم، وتظهر هذه الحالة «الدسلكسيا» في الذكور عادة أكثر من الإناث، والغريب أن المريض بهذا المرض قد يكون بارعًا جدًا في استخدام الكمبيوتر.

وقد أظهرت تجربة أن غالبية الذين يعانون «الدسلكسيا» والذين درسوا في إحدى العيادات البريطانية في لندن كانوا يتمتعون بذكاء فوق المتوسط، الأمر الذي جعلهم يحبطون عند مواجهتهم للقراءة. مع العلم أن قدراتهم العقلية ساعدتهم بشكل جيد على أداء التجارب مع التدريس العلاجي المقدم لهم.

وهذا يؤكد أن مريض «الدسلكسيا» يمكنه التعلم بالمساعدة والتدريب الطويل، ويمكنه أن يكون ناجحًا جدًا. وعادة ما يكون لدى هؤلاء أسلوب مختلف جدًا في التعامل مع المشكلات وحلّها بطرق إبداعية. وجدير بالذكر أن الكثير من هؤلاء الذين يعانون حالات «الدسلكسيا» كانوا مشاهير وعلماء وعباقرة ومنهم «أينشتاين» و«دافنش» و«أديسون».

وفي بلادنا العربية يتعرض الكثير من الأطفال الذين يعانون «الدسلكسيا» إلى السخرية من زملائهم بسبب عدم قدرتهم على القراءة كباقي زملائهم في الصف. والمشكلة أن الأسرة والمعلمين والمعلمات لا يراعون وضع المنتمين إلى هذه الفئة، ويتهمونهم بالكسل أو التخلف مما يؤثر على نفسياتهم وينعكس ذلك على توافقهم الاجتماعي بصورة كبيرة فتزداد

الحالة تقدمًا ويترسخ في أذهانهم أنهم أغبياء وهم ليسوا كذلك. وهذه القصة التي أوردتها «وداد الكواري» في أحد أعداد صحيفة الشرق القطرية هي حالة كثيرًا ما نشاهدها هنا وهناك تقول فيها:

«رسب أحد الأطفال للمرة الثانية فما كان من والده إلا أن قيده بالحبال في حوش الدار وأوسعه ضربًا ثم تركه عرضة للسخرية والتعليقات من قبل أخوانه وأطفال الجيران طيلة النهار. ولم يذرف ذلك الطفل الذي تجاوز عمره الرابعة عشرة من عمره دمعة واحدة، وكأنه اعتاد على هذا النوع من العقاب، وكان يراقب المشاهدين بعيون متحجرة!! هذا الهدوء الذي غلف تصرفاته في ذلك اليوم والأيام التي تلته كاد يدفع بوالده للجنون، بل إنه ما فتئ يردد أمامه وأمام الجميع أن هذا الولد بليد الإحساس لا يشعر ولا يقدر قيمة التضحيات التي فعلها من أجله، بل لا يشعر بأي ذنب فيما سببه من خيبة أمل لوالديه». وتضيف: «وأغلب الظن أن هذا الولد سيتجاوز هذا الفشل وسينجح في إعالة نفسه بشكل ما عندما يكبر، لكنه أبدًا لن ينسى هذه القسوة، ولن يغفر لوالديه لحظة الانكسار تلك. وما علم هؤلاء الأهل أن ابنهم كان يعاني من مرض اسمه «الدسليسكيا»، وليس ذنب هذا الطفل أن والديه لم يعلما بمرضه فهو أيضًا يعاني نفس المشكلة، فهو يعيش حياته طبيعيًا يلعب ويلهو ويشارك أقرانه اللعب دون ظهور ما ينبئ بحدوث مشكلة، بل إنه طبيعي جدًا في الحفظ والتذكر».

وفي المملكة الكثير من الحكايات التي يرويها الآباء والمعلمون والأمهات عن بعض الأبناء الذين تجاوز عمرهم العشرين عامًا وهم مازالوا في المرحلة المتوسطة أو لم يتجاوزوا الأول الثانوي، وتظهر عليهم علامات «الدسلكسيا» فتنعتهم بالغباء ونحن لا نعلم أن هناك مشكلة مرضية يعانونها. وقد كان يمكنهم تجاوزها لو كان لدى أهلهم الإلمام الكافي بطريقة التعامل مع هذه الحالة.

مظاهر المرض

هناك بعض المظاهر وليست كلها التي إن وجدت فإنه قد تكون «دسلكسيا» ومنها:

- تناقضات بين مقدرة الطفل وإنجازاته الواقعية، مثل أن يظهر الطفل بمظهر المتفوق لكنه في الحقيقة يعاني صعوبة القراءة والتهجئة أو الحساب.
- الارتباك بين اليمين واليسار، ومن الملاحظ أن الطفل يكون متحيرًا في التمييز بين اليمين واليسار، أو تحديد الاتجاهات.
- صعوبة في العمل بالأشياء بالترتيب مثل الأعداد من ١ - ١٠٠ أو من ١٠٠ - ١ حيث تجد أنه لا يستطيع أن يعد الأرقام بالترتيب وكذلك تسميع الحروف الأبجدية.
- صعوبة في التتابع البصري حيث يترك حرفًا



أو كلمات أو أسطرًا في أثناء القراءة أو يقرأ نفس السطر مرتين.

- صعوبة ظاهرة في القراءة الجهرية لأنه إما أن يكون خجولاً أو ضعيف الثقة بالنفس.

- كتابة الأحرف أو الكلمات أو الأرقام معكوسة، كأن يكتب «رطم» بدلاً من كلمة «مطر»، و«حير» بدلاً من «ريح». أو يكتب الأرقام معكوسة مثل «٢٤» بدلاً من «٤٢».

- صعوبة في التهجئة «الإملاء»، كأن يكتب «حذر» بدلاً من «حضر»، وكلمة «قطب» بدلاً من «كتب».

- صعوبة في الحساب أو الرياضيات وذلك بسبب ضعفه في التسلسل والذاكرة قصيرة المدى.

- صعوبة النقل من السبورة إما بسبب ضعف التهجئة أو بسبب ضياع النقطة التي وصل إليها في السبورة، ولا يستطيع القراءة للمعلومات المكتوبة على السبورة البيضاء اللامعة (ويجب أن نلاحظ أن هذا العارض قد يعتقد البعض أن سببه ضعف النظر، فيحال الطالب إلى الوحدة الصحية أو لمراجعة الطبيب فيؤكد أن نظره سليم).

- صعوبة في التنظيم والنشاط الروتيني، حيث إذا وضع له جدول أعمال يومي كأداء واجب المدرسة، تنظيم الغرفة، الاتصال بصديق، مشاهدة التلفاز، قد لا يستطيع تأديتها حسب جدول زمني محدد له أو يترك بعضًا منه.

- صعوبة كبيرة في تنفيذ التعليمات مرتبة، كأن يأمره والده بريّ حديقة المنزل ثم الذهاب إلى محل الأواني المنزلية المجاور، ثم إحضار والدته من عند الجيران.

متى وجدت هذه المظاهر أو بعضها في طفل من الأطفال فهذا يحتم على والده أو معلمه عرضه على أحد الأطباء المتخصصين في «الطب التطوري» ولا أعلم حقيقة هل هذا القسم متوفر في المستشفيات لدينا في المملكة العربية السعودية أم لا؟

ولعل على وزارة التربية والتعليم ممثلة في قسم التربية الخاصة ووزارة الخدمة الاجتماعية والجهات التي تهتم بمثل هذه الحالات أن تقوم بدور فاعل في التوعية بالمرض ومظاهره والمسارعة بإنشاء أقسام في المستشفيات تعنى بالحالات المرضية وتشخصها. كما أنه من الضروري جدًا إنشاء «مركز للدسلكسيا» في المملكة لعمل المسوحات الميدانية اللازمة لهذه الحالات بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والجهات الأخرى لتقديم الرعاية المناسبة لهؤلاء. ومن الضروري جدًا أن يتم تكثيف التوعية للأسر والمعلمين، وخصوصًا معلمي الصفوف الأولية والمرشدين الطلابيين في المدارس لكي يعوا هذه الظاهرة ويرصدوها في المراحل السنية المبكرة حتى يتم التمكن من تحسين القدرات الكتابية والإملائية لديهم، لاسيما وأن من يصاب بهذا المرض يمكنه اللحاق بزملائه متى وجد الرعاية والاهتمام وتمت مساعدته على اجتياز مشكلته.

ومن الجدير بالذكر أن هنالك مراكز متخصصة في دول شقيقة مثل «الرابطة الكويتية للدسلكسيا».

وقد أطلق عليها اسم «مركز محمد الخرافي للدسلكسيا» الذي دعم المركز ونشاطاته بتبرعات سخية من خلال إيجاد وسائل علاجية، وتشخيص للحالات، وتدريب للخبرات الفنية للعمل بالمركز. وهناك أيضًا «قسم الطب التطوري» في مستشفى الصباح بالكويت والذي يهتم بتشخيص هذه الحالات وتقديم العلاج لها.

ويجب أن يتحلى المعلمون وأولياء الأمور بالكثير من الصبر وطول البال وإعطاء وقت ملائم لهؤلاء في الامتحان وحل الواجبات المنزلية، وتخفيف الأعباء عنهم، وعدم إعطاء مواد كثيرة، وتقوية الثقة بالنفس، وتفهم خصوصيات من يعانون من هذه المشكلة التي يمكن تجاوزها. ■

المراجع

- دسلكسيا صعوبات التعلم الخاصة، محمد يوسف القطامي.
- الموهوبون من ذوي الاحتياجات الخاصة د.نصرة جلجل.
- التغلب على الدسلكسيا، زهير زكريا.
- العسر القرائي، د.نصرة جلجل.
- تعليم الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، ماجدة السيد عبيد.
- موقع الرابطة الكويتية للدسلكسيا.
- صحيفة الشرق القطرية، مقال «وداد الكواري».

تنشط جهاز المناعة وتحمي من الأشعة الضارة وتجدد الخلايا ، وتتعرف على «الخلايا الطفرية» وتدمر :

مجموعة البرحي والسلج والسكري و..

خالد ناصر الرضيمان*- بريدة

*جامعة القصيم .

ثمرة التمر ثمرة مباركة طيبة من شجرة مباركة طيبة. ورد ذكرها في القرآن الكريم في مواضع عدة، واختارها الله سبحانه وتعالى لتكون غذاء ودواء لمريم البتول حين ولدت لسر أودعه الله سبحانه وتعالى في تلك الثمرة، كما أن ثمرة التمر ورد ذكرها في الكثير من الأحاديث النبوية المطهرة، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإطعامها النساء في نفاسهن «أطعموا نساءكم التمر في نفاسهن فإنه كان طعام مريم حين ولدت، ولو علم الله طعامًا خيرًا من التمر لأطعمها إياه». وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن التمر يذهب الداء ولا داء فيه». ويقول أيضًا: «من تصبح بسبع تمرات لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر».

ويعتبر التمر من أهم محاصيل الفاكهة في الجزيرة العربية، ونادرًا ما تجد منزلاً يخلو من التمر، فهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى للغني والفقير على السواء. ويعد التمر غذاءً مثاليًا كافيًا للإنسان خصوصًا إذا ما تم تناوله مع الحليب. وما لمسناه من تحليلات للتمر في المراجع العلمية يدل على وصولنا إلى القليل من فوائد التمر.

وتحتوي التمور على نسبة عالية من مضادات الأكسدة الهامة والضرورية للإنسان (سواء في القشرة أو اللحم) (جدول ١) منها على سبيل المثال لا الحصر: عديدات الفينول، كافيول شيكيميك (الذي يطلق عليه حمض الداكتيليفيريك)، فيتامين أ، فيتامين هـ، ريبوفلافين، الأنثوسيانين، حمض الاسكوربيك (فيتامين ج)، التانينات، الثيامين، النياسين، حمض الكافين، ١,٣بيتا دي جلوكان، الصبغات الفلافونية، حمض كلورو جينيك، حمض ترانس سناميك، حمض فيريوليك، حمض الكوماريك، الكامبيفرول، ميراستين، كيرستين، آبيجنين، ليوتولين والكاتشين. وتذكر الدراسات أن مركبات عديدات الفينول والتانينات غير الذائبة تزداد في الثمرة في أثناء النمو والنضج والتخزين.

كما أن التمور غنية بالكثير من الفيتامينات مثل فيتامين (أ) و(هـ) وتحتوي على قدر من فيتامين (ج). وتعتبر هذه الفيتامينات من مضادات الأكسدة أيضاً، بالإضافة إلى الفيتامينات الأخرى مثل ب١ و ب٢وب٣، وب٦ (جدول ٢). هذا بالإضافة إلى ما هو معروف عن التمور من احتوائها على بعض العناصر المعدنية الضرورية التي تعمل كمضادات الأكسدة مثل عنصر السيلينيوم وهي هامة جدًا للمحافظة على صحة الإنسان.

ولقد بدأ في الآونة الأخيرة الاهتمام بالتمور كمصدر هام لمضادات الأكسدة وكاسحات الجذور الحرة. ولقد أثبتت الدراسات أن لهذه المركبات نشاطات فسيولوجية متعددة للإنسان والحيوان من أهمها أن بعض المركبات الفلافونويدية (التي تعتبر من مضادات الأكسدة الهامة) والتي توجد في ثمار التمر تعمل منشطًا (محفزًا) للقلب، إذ يكفي وجود كميات قليلة منها لتنشيط القلب وتقوية جدران الأوعية الدموية الشعرية وتمنع هذه المركبات نفاذية ونزف الأوعية الدموية الشعرية مما يفيد كثيرًا في علاجات الكثير من الحالات للنساء في أثناء نفاسهن. ولقد أثبتت الدراسات أن هذه المركبات الفلافونويدية موجودة بكثرة في التمر الأصفر اللون (مثل ثمار البرحي البسر). وبالإضافة لتأثير هذه المركبات كمضادات للأكسدة، فإنها تعمل أيضًا كمضادات للفطريات والبكتريا والفيروسات وهي من الوسائل الفعالة لمنع الإصابة بمرض السرطان. والفلافونويدات عبارة عن مركبات فينولية متعددة الهيدروكسيل، كثير منها مرتبط مع السكريات بواسطة روابط جليكوسيدية. وتنوع عدد مجاميع الهيدروكسيل وترتيبها بهذه المركبات يكسبها تنوعًا كبيرًا في تراكيبها الكيماوية مما يزيد من فاعليتها

البيولوجية. كما أثبتت الدراسات أيضًا أن ثمار بعض أصناف التمر غنية في مادة الأنثوسيانين وهي المادة المسؤولة عن اللون الأحمر في ثمار الأصناف الحمراء مثل السكري الأحمر والحلوة (البسر) وهذه الصبغات هامة جدًا للمحافظة على صحة الإنسان فهي تعمل كمضادات للأكسدة تقي جسم الإنسان من أمراض القلب والسرطان والشيخوخة.

وإذا كانت مضادات الأكسدة هي من المواضيع الهامة جدًا في الكثير من المجلات العلمية المهتمة بصحة الإنسان، فإن التمور تتصدر ثمار الفاكهة في احتوائها على العديد من مضادات الأكسدة، ولم يكن غريبًا أن نجد أن الاسم العلمي لنخيل التمر هو Phoenix dactylifera L وذلك لاحتوائه على كميات عالية جداً من مضادات الأكسدة Dactyliferic acid. وتمتاز ثمار التمر بتنوع محتواها من مضادات الأكسدة ذات الفائدة الطبية الهامة، وعلى سبيل المثال فهي غنية جدًا بالمركب ٣,١ بيتا دي جلوكان، ويعتبر هذا المركب من مضادات الأكسدة الهامة فهو من كاسحات الجذور الحرة القوية. وهو مركب فريد ينشط استجابة جهاز المناعة بجسم الإنسان مما يساعد على تكوين نظام حماية قوية ضد الفيروسات والبكتريا والفطريات والطفيليات. ويمكن تلخيص بعض التأثيرات المفيدة لصحة الإنسان والتي يقوم بها مضاد الأكسدة ٣,١ بيتا دي جلوكان كما يلي:

❖ ينشط جهاز المناعة: حيث لدى هذا المركب المقدرة على تنشيط «خلايا المناعة» بالجسم فتقوم بحجز وتغليف المواد الغريبة، كما تتعرف على الخلايا الطفرية وتقوم بتدميرها.

❖ يساعد على تكوين نظام حماية قوي ضد الفيروسات والبكتريا والفطريات والطفيليات.

❖ الحماية من الأشعة الضارة: يمكن للمركب ٣,١بيتا دي جلوكان القيام بتنظيف جسم الإنسان من الخلايا التي تم تدميرها نتيجة تعرضها للإشعاع ووجود بقايا هذه الخلايا المدمرة من الإشعاع يعتبر من الأمور الخطيرة التي تضر بصحة الإنسان ضررًا بالغًا. وفي عصرنا الحديث فإنه ما من أحد منا يستطيع - بل من المستحيل - أن يتجنب التعرض لصورة أو لأخرى من صور هذه الأشعة الضارة، بصفة تكاد تكون مستمرة مثل:

- استخدام الحاسب الآلي.
- التعرض للأشعة السينية.
- المرور بجوار أسلاك الكهرباء ذات الضغط العالي.
- التعرض للأشعة فوق البنفسجية نتيجة التعرض للشمس.
- استعمال أجهزة الهاتف الجوال.
- التعرض لمصادر أشعة أخرى.

❖ تجديد الخلايا وإصلاحها:

جدول رقم (١): محتوى التمور من مضادات الأكسدة (١٠٠ جم تمر منزوع النوى).

المكونات	المحتوى
فيتامين أ	٨٠-١٠٠ وحدة دولية
ثيامين (فيتامين ب$_1$)	٠,٧ ملليجرام
ريبوفلافين (فيتامين ب$_2$)	٠,٠٣ ملليجرام
نياسين (فيتامين ب$_3$)	٢,٢-٣,٠ ملليجرام
كافيول شيكيميك	٢-٣ ملليجرام
حمض الاسكوربيك (فيتامين ج)	٠,٨-٣,٠ ملليجرام
عديدات الفينول البسيطة	١,٧٤-٢,٦٧مجم مكافئ كاتكين/متوسط الثمرة
التانينات الذائبة	٠,١٠ - ٠,٨٥ مجم مكافئ كاتكين/متوسط الثمرة
التانينات غير الذائبة	٢-١٢,٦,٣٩مجم مكافئ كلوريد السياندين/متوسط الثمرة

ملحوظة: فيتامين (أ) وفيتامين (ج) كانت قيمتهما مرتفعة في طور البسر عن طور التمر.

جدول رقم (٣): تركيز السلينيوم ميكروجرام / جرام في بعض أصناف التمر المنتشرة بالجزيرة العربية.

م	الصنف	السلينيوم في الجزء اللحمي
١	الصفري	٢,٥٢ ± ٠,٠٣٥
٢	البرحي	٢,٣٨ ± ٠,٠٠٧
٣	نبتة سيف	١,٩٢ ± ٠,٠٠٧
٤	السكري	٢,٥ ± ٠,٠٢٠
٥	السري	١,٩٢ ± ٠,٠٢١
٦	الخلاص	٢,٨٤ ± ٠,٠١٩
٧	السلج	٢,٩٦ ± ٠,٠٧٥
٨	المنيفي	١,٤٨ ± ٠,٠٢٨
٩	عسيلة	١,٥٢ ± ٠,٠٢١
١٠	الرزيز	٢,٤٣ ± ٠,٠٤٨

يساعد المركب ١,٣بيتا دي جلوكان على سرعة شفاء الأنسجة التي حدث بها أضرار بالجسم.

- تحسين أداء وفاعلية بعض المركبات الأخرى مثل المضادات الحيوية ومضادات الفطريات ومضادات الطفيليات مما يتيح تأثيرًا أفضل وأكثر فاعلية لهذه المركبات.
- التعرف على الخلايا الطفرية وتدميرها.

وتعتبر ثمار التمر من ثمار الفاكهة الغنية بالكثير من الفيتامينات بصفة عامة، كما هو موضح بجدول رقم (٢).

وثمار التمر غنية أيضًا بعنصر السلينيوم الذي يعد من العناصر الغذائية الهامة فهو يعمل كمضاد للأكسدة، ولقد دلت الدراسات الحديثة على أن التمر يحتوي على السلينيوم بكميات جيدة، كما أوضحت نتائج الأبحاث على أن الجرام الواحد من التمر يحتوي على نسبة تصل إلى ١,٤٨- ٢,٩٧ ميكروجرام من السلينيوم. والجدول رقم (٣) يبين نسبة السلينيوم في بعض أصناف التمر الأكثر انتشارًا بالجزيرة العربية ■

جدول رقم (٢): بعض الفيتامينات الموجودة في ثمار التمر والأهمية الفسيولوجية والصحية لها:

م	الفيتامين	الأهمية
١	فيتامين (أ)	يحتوي التمر على نسبة عالية من فيتامين(أ) أو من الكاروتين وأشباه الكاروتين (التي تعتبر أساس تكوين هذا الفيتامين)، وترجع أهمية هذا الفيتامين لاحتياج الجسم له للمساعدة في الإبصار. لذا نجد التمر يحفظ رطوبة العين ويقوي الأعصاب البصرية ويمنع جفاف الملتحمة والعشى الليلي، ويعتبر فيتامين (أ) من أهم الفيتامينات التي تساعد في علاج الأمراض السرطانية والوقاية منها، ومما يؤكد فعالية هذا الفيتامين ضد السرطان الدراسات التي أجريت على الإنسان والحيوان والتي بينت أنه كلما انخفض مستوى هذا الفيتامين في الدم زادت نسبة الإصابة بالأمراض السرطانية.
٢	الثيامين (ب١)	يعمل فيتامين ب١ على تنشيط العديد من الإنزيمات وتنظيم نقل الإحساس عبر الأعصاب. ويؤدي نقصه إلى مرض البري بري وأعراضه تنميل في الأرجل وإصابات في الأعصاب، والعضلات وضمور وضعف عضلات الأطراف وفقدان الشهية للطعام وتورم الجلد. كما يلعب دورًا هامًا في تمثيل عملية تمثيل المواد السكرية.
٣	الريبوفلافين (ب٢)	يؤدي نقص فيتامين ب٢ إلى تقرحات والتهابات في الفم وتغير لون اللسان إلى أحمر مائل للزرقة. ولذلك فإن احتواء التمر على فيتامين ب١ و ب٢ يجعله يساعد على تقوية الأعصاب وتليين الأوعية الدموية. كما يساعد على التخلص من الماء والملح بواسطة الكلى.
٤	حمض النيكوتينك (ب٣)	ويعرف بالنياسين وهو يعمل على تنظيم وتنشيط إنزيمات التنفس ، ويؤدي نقصه إلى الإصابة بمرض البلاجرا وأعراضه التهابات جلدية وإسهال والشعور بالإرهاق والضعف العام.
٥	فيتامين (ب٦)	يؤدي نقص فيتامين ب٦ إلى حدوث التهابات جلدية والتهابات في اللسان وزاويتي الفم، والتهابات في الأعصاب.
٦	حمض الفوليك	وهو العامل المضاد للأنيميا الحادة حيث يساعد على تكوين ونضج الكرات الدموية الحمراء حيث إنه أساسي لتركيب البروتين اللازم لتكوين هيموجلوبين الدم، كما أنه يساعد الجهاز الهضمي على القيام بوظائفه ويلعب دورًا مهمًا في تخليق الأحماض النووية وفي نقل الشفرة الوراثية.
٧	البيوتين	وهو من أفراد مجموعة فيتامين «ب» المركب وهو يعتبر من الفيتامينات المقوية لرد الفعل المناعي داخل الجسم.

مجموعة البرحي والسلج والسكري و..

المراجع

❖ ابن القيم الجوزية، الطب النبوي.القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٧م.

❖ حسان شمسي باشا، الأسودان: التمر والماء. بين القرآن والسنة والطب الحديث. دار المنارة للنشر والتوزيع١٩٩٢م.

❖ سالم الشويمان. التمر غذاء وصحة.كلية العلوم - جامعة الملك سعود. ١٩٩٨م.

❖ محمد بن حمد الوهيبي. أحيائية نخلة التمر. كلية العلوم - جامعة الملك سعود. ١٩٩٩م.

❖ الكتيب الإرشادي للنخيل والتمور - مركز الإرشاد الزراعي- كلية الزراعة - جامعة الملك سعود - الرياض- (١٩٩٧م).

❖ شحاته أحمد عبد الفتاح - موسوعة النخيل والتمور - دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير - مدينة نصر القاهرة - ٢٠٠٠م

❖ عمر شرود، مادة من بذور التمر لتنظيم سكر الدم. جريدة الرياض العدد ٨٣٢٤ بتاريخ ٢٠٠١/٩/١٢م.

❖ عواد حسين - مركز معاملات ما بعد الحصاد - جامعة الإسكندرية.المواد المضادة للسرطان في الخضر والفاكهة.
- عن توصيات عادل عبد القادر - جامعة كاليفورنيا - ديفيز٢٠٠١م.

❖ مجلة العلوم والتقنية - مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية - النخيل الجزء الثاني العدد الحادي والستون السنة السادسة عشر محرم ١٤٢٣هـ - مارس ٢٠٠٢م.

❖ خالد الرضيمان، عبدالرحمن الحميد، ضياء الدين الريس، عصام شرعان. ٢٠٠٣م. استخدام الجو الهوائي المعدل للمحافظة على الجودة وزيادة القدرة التخزينية ومنع تدهور ثمار التمر البرحي. اللقاء العلمي الدولي لنخيل التمر. كلية الزراعة والطب البيطري بالقصيم - جامعة الملك سعود. الجزء الأول: ٢٧-٤٨.

❖ خالد الرضيمان وأحمد أبو اليزيد - نخيل التمر في الإنترنت. نشرة فنية إصدار كلية الزراعة والطب البيطري - جامعة الملك سعود - القصيم (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

❖ خالد الرضيمان - القيمة الغذائية والعلاجية للتمور - نشرة فنية إصدار كلية الزراعة والطب البيطري - جامعة الملك سعود - القصيم (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

❖ محمد مصطفى راضي العبد. قشرة التمور مصدر لمضادات الأكسدة وكاسحات الجذور الحرة. اللقاء العلمي الدولي لنخيل التمر. كلية الزراعة والطب البيطري بالقصيم - جامعة الملك سعود. الجزء الأول: ٦٤٣- ٦٥٨.

❖ عبدالباسط محمد سيد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

❖ عبدالوهاب المكينزي. التمر المعجزة: يُذهب الداء ولا داء فيه. المعرفة.أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠٤م.

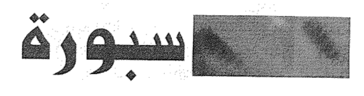
❖ www.fao.org/docrep/t0681E/t0681e00.htm

❖ Al-Redhaiman. K.N. 2004. Modified Atmosphere Improves Storage Ability. Controls Decay. And Maintains Quality And Antioxidant Contents Of Barhi Fruits. Food. Agriculture & Environment Vol.2 (2): 25-32. Date

❖ Al-Redhaiman. K.N. 2004. Quality And Chemical Changes In Barhi Date Fruits Stored Under Modified Atmosphere Conditions. 5th International postharvest conference of the International Society for Horticulture Science. Padova. Italy.

❖ Wajih N .Sawaya 1986. Dates Of Saudi Arabia. Food Science and Section Regional -Agriculture and Water Research Center Ministry of Agriculture and Water. Riyadh Saudi Arabia.

- المختبر المحمول
- طيف التعابير الإيجابية
- المعرفة الممزقة
- بطاقة حب إلى أمي



المختبر المحمول

مصطفى محمد ياسين - الأردن

سألت ابني الذي أتم لتوه امتحان الثانوية العامة: كم مرة أجريتم في المختبر «تجربة علمية» في عامكم الذي انتهى، (وقد كان في الشعبة العلمية)؟

قال: يا أبي... مرة واحدة فقط. وعدت بذاكرتي إلى الوراء، أربعين عامًا، لأجدني وأنا في الثانوية العامة، وقد دخلت المختبر، مرة واحدة لتشريح أرنب، في مادة الأحياء، وأدركت أن تلك المسافة الزمنية لم تغير من الأمر شيئًا!!

وقرعتني تلك الحقيقة لتزيد في قناعتي عن الأثر الباهت للعملية التعليمية في التقدم والبناء الحضاري.

كيف يمكن لطالب أن يفهم درس الفيزياء في الكهرباء أو المغناطيسية، إذا لم ير الدائرة الكهربائية بكل عناصرها تغلق وتضيء المصباح؟! وكيف يمكنه أن يفهم الأثر المغناطيسي للتيار الكهربائي ما لم ير ذلك بأم عينه، تجربة تجرى أمامه فتقترن النظرية بالفعل؟!

وهكذا فإن التجربة العلمية، هي السبيل الأمثل لفهم العلوم الطبيعية، وتمثلها، ورصد نتائجها وفهم خواصها وتطويرها والاستفادة، في النهاية، من تطبيقاتها في الحياة.

هل يغيب كل ذلك عن الأذهان في أي مستوى من مستويات العمل التعليمي؟!

لا، بل يفترض الباحث: أنّ بالمدرسة مختبرًا تعليميًا يفي بالغرض، احتمال قائم في أفضل الظروف!

ولكن، هل تسعف مهمات اليوم المدرسي، إنجاز التصور النموذجي، لذلك الفرض الجميل؟

من واقع التجربة لا، فالكسل أو التكاسل وعدم الاهتمام بالتجربة، وقصر زمن الحصة المقرر لإنجاز الدرس العلمي يعيق إتمام الدرس ولا يتيح إنجاز التجربة التي تعطي مفهومًا علميًا لما يتعلمه الطالب في غرفة الصف.

إننا نحتاج إلى «إرادة» أولاً - لكي نعمل - وننجح ونطور أداءنا في المستوى التنفيذي أي في المدرسة، فنحن لدينا - دائمًا - في المستوى الاستراتيجي (التخطيط) أفكار جيدة، ولكنها لا تأخذ فرصتها للتنفيذ.

لذا فيجب أن تنتقل عدوى «الإرادة» من المستوى الأعلى إلى المستوى الميداني.. وبدون تلك «الإرادة».. التي تحول الخطط إلى برامج تعمل على أرض الواقع بكل تقدير لروح البحث وإجراء التجربة وتأصيل ذلك كله في النفوس الناشئة حتى تتشربه فتلج مستقبلها القريب عندما تصير في رحاب الجامعة، ببصيرة نافذة وعقل متفتح ينهض بأعباء تخصصه ليضيف إلى حصيلة العلم شيئًا جديدًا، بدون تلك الإرادة لن نحقق شيئًا على الإطلاق!

وإذا أريد للتجربة العلمية أن تأخذ مكانها في المدرسة حتى يتعلم التلاميذ معنى القانون العلمي والاكتشاف والتفاعل والترابط سواء بين عناصر الظاهرة الواحدة أو بين الظواهر، فإني أقترح:

أن يكون زمن حصة الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء ستين دقيقة ذلك أن زمن الحصة المعتاد «٤٥ دقيقة» لا يكفي لإنجاز الدرس (شرح المفاهيم، وممارسة التطبيقات) فضلاً عن إجراء التجارب المرافقة.

وإذا أخذنا الوقت الضائع في مغادرة التلاميذ للصف إلى المختبر المدرسي والعودة منه وانتظار استتباب النظام لأدركنا أن الوقت المخصص لإلقاء الدرس وإجراء التجربة هو زمن نظري ليس إلا! ولتجر البحوث الميدانية لتقويم ذلك للتحقق من صدق هذه الملاحظة.

ويمكن أن تكون تلك الحصص. هي الأولى في اليوم المدرسي ويجعل النصف الثاني منه للمواد الأخرى.

يستطيع الطالب أن يجري تجاربه أو يتم منها ما يحتاج إليه في المنزل! «فجامعة لندن المفتوحة» ومنذ ربع قرن، تزود طلابها بمختبر ترسله بالبريد ليجروا تجاربهم!

وفكرة إخراج «المختبر المدرسي المحمول» يمكن لوزارة التربية والتعليم أن تنجزها بمساعدة إحدى الشركات العالمية. تقترح الوزارة الأدوات والأجهزة والمواد.. وتقوم الشركة بصناعتها ووضعها في صندوق مناسب، ثم طرحها للبيع في الأسواق.

يمكن للطالب أن يجري تجاربه على الكمبيوتر. فيستطيع الخبراء أن يصمموا برامج التجارب، وأن يتموها بواسطة الكمبيوتر من خلال إجراءات محددة.. كما هي صور الكرتون للأطفال.

ومما أعلمه أن «المحاكاة» قد أفلحت في مساعدة العلماء في المضي قدمًا ببرامج تطوير الأسلحة النووية. فتلك البرامج أغنتهم عن التفجيرات الحقيقية وأمدتهم بالخبرات التي تقيم أبحاثهم وتدلهم على ما فيها من قوة أو ضعف.

في الوقت الذي نشكو من تدني الزمن المتاح للتعلم في العام الدراسي، فإن المدرسة تعطل يوم الخميس!!

يجب أن يعود الدوام في ذلك اليوم، وأن يخصص لإجراء التجارب، وتعلم الهوايات المفيدة المساندة للمواد الدراسية، وتوفير الكفاءات العلمية لتطوير قدرات التلاميذ، وتعزيز ما تعلموه، وتدارك النقص في الخبرات.

إننا بذلك نضيف إلى العام الدراسي ٣٠ يوم عمل كاملة.

هي خمسة أسابيع دراسية نكسبها في حساب الزمن وفي حساب الحصاد!!

قد تبدو تلك الأفكار خيالية في بعضها وغير قابلة للتنفيذ، أو أنها تصادف في طريقها عقبات كأداء.

وإني أتساءل: هل طريق التطوير والإنجاز.. كانت دائمًا إلا هكذا؟!

إذا لم نستطع أن نحقق ذلك في كل مدرسة، فليكن في مدارس المدن، أو (على الأقل) في مدرسة نموذجية واحدة في المدينة، وندرس هذه التجربة دراسة وافية لنرى كم سنضيف إلى رصيدنا من التقدم العلمي■



سبورة

وسائل تعلمية « خارقة » وأبحاث دراسية «نووية»!

المعلمون يفرحون بها والطلاب يسخرون منها!

أحمد أبوزيد محمد - الرياض

ينصت الطلاب والطالبات (خصوصًا الصغار منهم) إلى النصائح الأبوية التي تنصب على ضرورة الاهتمام والتركيز الشديد فيما يلقى على مسامعهم سواء أكان ذلك داخل الفصل المدرسي أم قاعات الحرم الجامعي، والالتزام بآداب التعلم عند مخاطبة أو محاورة الأساتذة من دون إبداء أي اعتراض يذكر من جانبهم على مضمونها ومحتواها إدراكًا منهم بأنها بكل تأكيد تصب في مصلحتهم وحب آبائهم وخوفهم على مستقبلهم. لكن هذه السلاسة في سير العملية الدراسية ما تلبث أن تتعرض إلى كابوس سنوي مزعج سرعان ما يطيح بحالة الهدوء والقناعة بما يتعلمه المرء ويبذل من أجله الغالي والنفيس، ونعني به مطالبة الطلاب والطالبات (على اختلاف أعمارهم) بعمل الوسائل التعليمية من لوحات وصحف حائط وملصقات وأخيرًا أبحاث دراسية!! والحقيقة أن المبدأ من عمل هذه الأشياء لا اعتراض عليه مطلقًا، ولكن الواقع الذي آلت إليه هذه الفكرة من حيث التطبيق والممارسة يدعو إلى حتمية اتخاذ موقف جاد يعيد النهج التربوي المقصود منها إلى جادة الصواب.

فعلى مستوى التعليم العام تهدف مطالبة الطلاب بعمل وسائل تعليمية إلى تشجيعهم على أداء أعمال حركية وفنية تستنفر الطاقات الإبداعية داخلهم، ومن ثم يجب التشديد على تصميم الطلاب للأعمال المطلوبة بأنفسهم سواء بشكل فردي أو بشكل فريق ما ينمي بدوره داخلهم مشاعر طيبة بحب العمل الجماعي ويساعد على التنافس فيما بينهم في الابتكار والإتيان بأفكار جديدة.

وفي هذا السياق يجب على إدارة التعليم التي تقدم توجيهاتها للمعلمين والمعلمات التنبيه عليهم بضرورة إلزام الطلاب بأداء تلك الأعمال بأنفسهم مهما كان مستواها، وليكن ذلك مثلاً داخل جنبات المدرسة ورفض الأعمال الجاهزة المصممة في مكاتب الخطاطين والرسامين وخدمات الطالب التي يسهل على أي مبتدئ تبينها واكتشاف عدم تناسبها مع المستوى العمري للطالب المكلف بها. ومن شأن التشدد في تطبيق هذا الأمر أن يعيد الهدف التربوي المنشود من هذه العملية إلى مساره الإبداعي الصحيح ويخفف الأعباء المالية عن كاهل الأسرة، ويرسخ القناعة لدى الطلاب بجدوى ممارساتهم العملية، وينبغي الإشارة هنا إلى فرحة بعض المعلمين والمعلمات بالأعمال الخارجية الجاهزة لأسباب عدة أبسطها المشاركة في المعارض الختامية للمدارس، وحفلات مجالس الآباء أو الأمهات، وتزيين جنبات المدرسة بها من دون تجشم أية كلفة مالية إضافية والتباهي بالأعمال الفنية أمام الزوار.

أما الأبحاث الدراسية أو الجامعية فحدث ولا حرج، وربما تمتعت الأبحاث المدرسية بقدر من الصدقية على رغم صغر حجمها وشيوع مواضيعها عن مثيلاتها من الأبحاث الجامعية التي تتكاسل حتى مكاتب خدمات الطالب عن إعدادها من جديد لأن لديها من الرصيد ما يكفيها لسنوات من كثرة تكرار الموضوعات ونجاعة العملية وربحيتها ونجاحها في تحقيق مآرب الطلاب من أساتذتهم. وبضغطة زر واحدة على لوحة الكمبيوتر، بوسع المكتب إعداد أسرع بحث في التاريخ بـ«البنط» المطلوب واللون المراد والتصميم المأمول ما دام الدفع بالمئات من الريالات متوفرًا في التو والحال!

أفيقوا أيها السادة المحترمون وابحثوا عن حل، فإن عجزتم فتخلوا طواعية عن فكرة الأبحاث ما دام الهدف منها غير متحقق، وارحموا أنفسكم من سخرية الطلاب ومعدي الأبحاث المستعدين دومًا لعمل أي بحث أدبي، سياسي، اجتماعي، علمي أو حتى نووي!! ■



هل تقول «أشعر بألم رهيب في رأسي» أو تقول «شوية صداع» ؟

طيف التعابير الإيجابية

ياسر عبدالكريم بكار - الخبر

الحديث مع النفس بصوت عال أو منخفض هو عادة نمارسها جميعًا، وينطبق هذا على كل ما يدور داخل عقولنا وما توسوس به أنفسنا وما ينتابنا من أفكار وما يتولد عن ذلك من انفعالات ومشاعر! أما مضمون هذا الحوار فهو عادة ما يدور حول الأحداث والمواقف التي نعايشها كل يوم.

والآن تخيل أنك تقول لزميلك في العمل كل صباح: «أنت غير كفء، فاشل، لم تقم يومًا بأي عمل ذي أهمية، ولا يحبك أحد من زملائك...» هل سيسعد هذا الزميل بلقائك؟ كيف سيكون موقفه منك؟ لابد أنه سيقدم ضدك شكوى وسيكسبها.

إننا - للأسف - نعامل أنفسنا بهذا الأسلوب تمامًا. ونخاطبها كل يوم بقسوة أكبر من ذلك، حيث نقوم بتوجيه اللوم لها بقولنا: (ما كان يجب أن تقول ذلك، لقد استهجن الجميع الفكرة التي ذكرتها، لماذا لا تفكر قبل أن تتفوه بكلامك؟!)، أو بتوقع ردة فعل الآخرين تجاه مواقفنا: (لابد أنهم يتسامرون ويتضاحكون على ما بدر مني اليوم) أو (وهذا الأكثر قسوة) نحاكم ونصدر الأحكام دون شفقة: (لقد رسبت في الامتحان.. أنا إنسان فاشل). فلماذا نتجنب التعامل بهذا الأسلوب مع الآخرين ونقبله لأنفسنا؟! هذا غير عادل!

تقدر الدراسات أننا نقوم بتقييم ذواتنا ما بين ٣٠٠ - ٤٠٠ مرة يوميًا، وأن ٨٠٪ منها هو عبارة عن تقييم سلبي ولوم وانتقاد!! ويتحدث علماء النفس عن التواصل مع النفس بشكل كبير هذه الأيام، بل قامت مدرسة للعلاج النفسي تدعو إلى مراقبة ما يتحادث به المرء مع نفسه مراقبة صرامة ومن ثم العمل على توجيه هذا الحديث لما يشحن من طاقتنا النفسية ويزيد من تبصرنا للأمور والأحداث.

وما أدعو إليه هنا هو أن نوجه حديثنا مع أنفسنا في اتجاهين اثنين:

- الأول الحوار الإيجابي مع الذات، وهذا يتضمن إرسال رسائل توكيدية لأنفسنا بصيغة الحاضر تعمل على تحفيزها وتذكيرها بما هو مهم بالنسبة لنا كأن تقول: (أنا بخير اليوم، أشعر بالنشاط والحيوية، هذا يوم جميل، أنا سعيد ومليء بالطمأنينة. أنا احتفظ بهدوئي دائمًا، أتعامل مع زملائي بالرفق واللين والاحترام، أنا شخص مبادر ومبدع). ولا تظن أن هذه الكلمات ستذهب هباء، بل تتجه لأعماق نفسك لكي تغير من مشاعرك وطريقة تفكيرك. عندما يتحول هذا الأسلوب إلى عادة، ستحدث تغيرات جذرية في عالمك الداخلي.

- أما الاتجاه الثاني فهو دعوة لاستخدام لغة جديدة لوصف المشاعر أو تحليل الأحداث.. فمثلاً هناك فرق بين أن تصف شعورك بالصداع حين تقول: «أشعر بألم رهيب في رأسي»، وبين أن تقول أشكو من «شوية صداع». الألم هو ذات الألم لكن اختلف التعبير عنه، فعند استخدام العبارة الأولى لوصف ما تشعر به من ألم فقد أرسلت رسالة سلبية لنفسك تعزز من وطأة الألم وشدته، أما عندما تستخدم الأسلوب الجديد فقد قللت من أهمية الألم وستقلل من تأثيره عليك.

لقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم أعرابيًا يتلوى من شدة الحمى فقال له مواسيًا: «طهور»، فقال الأعرابي: «بل هي حمى تفور على شيخ كبير لتورده القبور»، قال: «هي إذن». رواه البخاري.

هذا الأسلوب يمكن تطبيقه بشكل إيجابي في مواقف عديدة فإذا سألت أحد أصدقائك عن حاله من اليسير أن تلاحظ الفرق بين من يقول: «على أفضل حال» مشحونة بنبرة متفائلة، وبين من يقول: «ماشي الحال»، أو «لا بأس» بصوت منخفض متهالك!! ستلاحظ الفرق فيما يشعر به المتحدث وبما سيتركه من انطباع على المستمع إليه.

وحتى عندما نقوم بإنجاز عمل جيد فتجدنا نقلل من أهميته فبدل أن نخاطب أنفسنا: «كان عملاً رائعًا ومميزًا»، نقول: «لم يكن معجزة.. وعلى كل حال كان لابد أن أقوم به منذ أسابيع».

تذكر أننا بارعون في توليد مشاعر الإحباط لأنفسنا، وما من سبيل لتحسين ذلك إلا بالبدء باستخدام طيف جديد من التعابير الإيجابية. اليوم عندما تخلد للنوم قل لنفسك بعد أن تأخذ شهيقًا عميقًا: «كان يومًا بديعًا.. لقد قمت بأعمال رائعة.. الحمد لله». ■

مراكز الفهم الحضاري

هشام محمد سعيد قربان - الظهران

إن من الحقائق المسلم بها أن لكل حقبة زمنية تحدياتها واهتماماتها الخاصة التي تشكل وتؤثر على الأبحاث العلمية وتنعكس في لغة الحوار، ومن المصطلحات الحديثة التي تتردد على السنة وأقلام الباحثين في المنتديات العلمية وتهدف إلى مد الجسور الحضارية اللازمة للتواصل الفاعل بين شعوب الأرض مصطلح «حوار الحضارات».

إن حوار الحضارات لا يعني الصياغة الجبرية للحضارات المختلفة في قالب موحد يختاره ويدعو إليه من ينظر إلى أمم الأرض نظرة الوصي على القاصر والجاهل. وهذا الحوار في الوقت ذاته لا يعني التخلي عن الثوابت العقدية والقيم الأخلاقية. إنه حوار يحترم خصوصيات الشعوب الإنسانية وإرثها الثقافي والحضاري. ويهدف حوار الحضارات إلى التعرف على نقاط التلاقي والقيم المشتركة لتحقيق مصالح إنسانية عامة والتصدي لتحديات مشتركة.

إن من القضايا التي يغفل عنها البعض حين الحديث عن حوار الحضارات قضية الفهم كأساس ضروري للحوار، فلا يعقل أن يكون هنالك حوار ذو معنى وفائدة بين أطراف لا يفهم بعضها الآخر. فلا بد من الفهم قبل الحوار، والفهم لا يعني القبول بكل آراء الآخر ومسلماته، إنما هو طريق لمعرفة الطريقة التي يفكر بها الآخر وخلفيته التاريخية وروافده الأخلاقية والسياسية. ومن البدهي في سياق الحديث عن الفهم كأساس للحوار تصفيته من المغالطات التاريخية والإعلامية التي تشوه صور الشعوب وتعيق الحوار الفاعل.لذا كان لا بد من ترجمة الفهم في صور منهجية منظمة وطويلة المدى. ومن الوسائل المنهجية في هذا المجال إنشاء مراكز بحثية متخصصة هدفها التعريف بالحضارات الأخرى، وإمدادها بما تحتاج إليه من موارد مالية وطاقات بشرية وخبرات إدارية. ولا يخفى على كل ذي بصيرة وتجربة التناسب الطردي بين جودة إنجازات وثمرات هذه المراكز وحجم موازناتها المالية المقترنة بأساليب إدارية حديثة وحكيمة. ولا بد من إحداث قفزات نوعية في أسلوب البحث في هذه المراكز، فلا يقتصر على الأسلوب القديم قليل الفاعلية في دراسة الحضارات وفهمها عن بعد.

إن فهم الحضارات الأخرى من داخلها أسلوب علمي لا غنى عنه، ويترجم هذا في الحضور المستمر والمكثف للمؤتمرات واللقاءات العالمية المتخصصة لبناء وتوطيد العلاقات بين الباحثين والاطلاع عن كثب على أحدث الدراسات والبحوث.

ولأن البناء في عمومه صعب وأبطأ من الهدم فإن على مراكز الفهم الحضاري إعداد خطط عمل طويلة المدى وواضحة المراحل والأهداف لا تتأثر بالأحداث والتغييرات المؤقتة ولا تتعجل قطف الثمار قبل نضوجها.

ومما يعين على التمهيد لعمل هذه المراكز وبناء أرضية خصبة للحوار البحث لدى الطرف المراد فهمه عن المفكرين والباحثين المتميزين الذين تتسم أبحاثهم بالمنهجية والاعتدال والإنصاف ودعوتهم إلى زيارة «مراكز الفهم الحضاري» في بلداننا الإسلامية. ومشاركتهم في بحوث عالمية مختارة، ومن الحضارات أو الثقافات أو البلدان التي ينبغي علينا فهمها والتحاور معها: اليابان، الكوريتان، الصين، ماليزيا، أمريكا الشمالية واللاتينية وأوروبا وافريقيا.

إن للحوار المنهجي بين الحضارات على أساس متين من الفهم المشترك ثمرات عديدة سوف تجنيها الدول الإسلامية، ولعل الثمرة الأولى هي القدرة على الحوار الفاعل لوجود الفهم، ومن الثمرات الأخرى بناء تحالفات ثقافية وعلمية مع حضاراتهم يجمعنا معها الرغبة الصادقة في الفهم والحوار الحضاري، ولعل بعض هذه التحالفات تكون أساسًا متينًا لتحالفات اقتصادية وسياسية من نوع جديد، ويفتح هذا الحوار المنهجي فرصًا لا حصر لها من العمل المشترك والفائدة المتبادلة والمحالفات الثقافية التي نرجو أن تنافس المحالفات الأخرى وتؤثر على ميزان القوى العالمية ■

كتاب «القراءة والكتابة» للصف الثاني الابتدائي

«الكتاب الكبير»

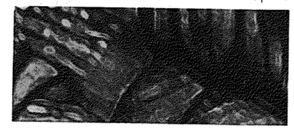
محمد إبراهيم فايع - خميس مشيط

القراءة لا تعد في مفهوم التربية والتعليم تعليم رموز مكتوبة ونطقها فقط، ولكنها تتحول إلى متعة.. إلى مادة مكتوبة تجذب الطفل أو تلميذ المدرسة للتفاعل مع محتواها والاستفادة مما ورد فيها من معارف.

وحرصًا مني على سير العملية التعليمية في الصفوف الأولية نحو الأفضل فهاأنا أستعرض معكم «كتاب القراءة للصف الثاني» (بنين) والذي خرجت طبعته الأولى في عامي.... وقام على تأليفه عدد من التربويات، يعد من وجهة نظري من أصلح الكتب وأقدرها على تعليم تلميذ الصفوف الأولية القراءة والكتابة بأسلوب مبسط وجميل وتدريبات سهلة تصل بالتلميذ إلى تعلم المهارة وفهمها والتفاعل معها، وقد زود بالصور والألوان واعتمد إبراز المهارات وتوضيحها في الكلمة والجملة بألوان مغايرة للون الكتابة، وأفردت في معظم موضوعات الكتاب صفحة لكل تدريب، ووضح في الهامش كيفية حل التدريبات.

كما أن الإملاء أخذ حيزًا من الكتاب سواء في التدريبات التي تناولت المهارات الإملائية عن طريق التطبيق من قبل التلميذ وهذا منح له فرصة «التعلم» و هذا هو المطلوب اليوم، فالتلميذ إذا ما قرأ وكتب وحلل وركب وطبق ونجح في أن ينقد ويقوّم ولم يعتمد على المعلم في عمل كل شيء فهذا يعني أننا قد حققنا «التعلم الذاتي» ولو بنسبة ٩٠٪، كما أن وضع الإملاء وتدريبات الكتابة إلى جانب القراءة في كتاب واحد حقق شمولية تعلم اللغة العربية وسهل على المعلم والمتعلم تدريسها ودراستها. والكتاب - رغم الأخطاء المطبعية - يعد من أنجح ما سطر لتلاميذ الصفوف الأولية في السنوات الأخيرة.

فلقد لمسنا أن الكتاب «القراءة والكتابة» الجديد للصف الثاني الابتدائي (بنين) حوكم من قبل بعض المعلمين منذ اللحظة الأولى كعادتنا على كل جديد فوصم بالكتاب الكبير. وأنه لا يصلح... وكنا نقول لنطبقه ونخضعه للتجريب ثم نحكم. وبعد أن تم لنا ذلك غيّر الكثيرون منا رأيه السلبي السابق في الكتاب، غير أنه يحتاج إلى هامش تفسر من خلاله أهداف كل تدريب ويُربط بالمهارة المقترح أن يعلمها للتلميذ، وإلى أن تراجع بعض موضوعاته حتى يكون ملائمًا في الأسماء والمحتوى والمادة العلمية وفي لغة المتكلم والمخاطب للجنسين (البنين والبنات)، وأن يحدد فوق كل موضوع أهم مهارات الدرس التي ينبغي للتلميذ دراستها عبر هذا الدرس أو ذاك، ويُرسم مربع يحدد فيه المعلم مدى إتقان التلميذ لها أو عدمه حتى يتسنى لولي الأمر متابعة الابن، ولذلك فإني أرى أن يأخذ كتابا الصف الأول للقراءة والأناشيد والكتابة والصف الثالث - أيضًا - للقراءة والكتابة نفس أسلوب وطريقة كتاب القراءة والكتابة والأناشيد للصف الثاني للأسباب التي أوردتها سابقًا. مع مراجعة صادقة من قبل المؤلفين لها إلى موضوع الكيف لا الكم، بمعنى أن لدينا على أقصى حد ١٦ أسبوعًا دراسيًا فلتكن الموضوعات بهذا العدد ويطابقها في العدد تدريبات متنوعة تتيح للتلميذ فرصة التعلم وأقضي على حجج كثير من المعلمين بأن الموضوعات كثيرة وعدد الأسابيع قليل ولا يمكنهم استكمالها (أو حلّ كل التدريبات) مما يعمد بعضهم إلى الجري في تدريس المنهج وإلغاء بعض التدريبات وعدم إعطاء القراءة حقها من التعلم.■



سبورة

تخريب الأطفال ليس تخريبًا!!

محمد عباس محمد عرابي - أسيوط

نلاحظ عند بعض الأطفال ميلهم إلى التخريب، ويتجلى هذا السلوك من خلال بعض تصرفاتهم، فنراهم يقصون الملابس، ويكسرون الأواني والتحف الغالية، أو يستخدمون الأقلام استخدامًا سيئًا فيشوهون به الجدران بالمنزل أو بالمدرسة!!

ومن أهم الأسباب التي تجعل الأطفال يلجؤون إلى التدمير والتخريب حب الاستطلاع، وهذا يكون على أشده عند الطفل حديث العهد بدنياه، فيندفع بطريقة فطرية لا شعورية للتعرف على ما حوله فهو يريد أن يعرف مم تصنع الأشياء؟ فيحاول أن يتفحصها ويفككها إذا أمكن، أو يقذف بها على الأرض بهدف التعرف على مكوناتها وما قد يحدث لها. وقد يبدو هذا للكبار على أنه تدمير، في حين أنه يكشف لدى المختصين عن رغبة الطفل في إشباع حاجة النمو العقلي، فهي أول محاولة نشيطة من جانبه للتعلم والتعرف على العلاقات المادية بين الأشياء، ويمكن تفسير هذه الظاهرة على احتمالات عدة:

- استجابة إيجابية بناءة أكثر منها تخريبية وتخلو تمامًا من الرغبة في إلحاق الضرر بالأشخاص أو بالأشياء.
- قد يقوم الطفل بإتلاف الأشياء أثناء اللعب، فالطفل الذي يعاقب بشدة أو يضرب بقسوة قد يوقع العقاب الشديد على الأشياء التي يلعب بها مما قد يؤدي في النهاية إلى تشويهها أو كسرها.. وغالبًا ما يكون الهدف الأساسي في هذه العملية هو ممارسة الضبط والتهايب تقليدًا لسلوك الكبار.
- الغيرة الشديدة من الإخوة أو الأخوات، خاصة عندما تكون المعاملة الوالدية بعيدة عن السواء، وتتميز بالتفرقة.
- عدم شعور الطفل بإشباع حاجاته العضوية والنفسية بطريقة ملائمة.
- قد يدفع الشعور بالنقص الطفل إلى التخريب.

المعرفة الممزقة

شعر: عقيل بن ناجي المسكين - سيهات

عجبًا أُمزق في الطريق وأُنثر! ... عجبًا أهان وفي «المزابل» أنشر!

عجبًا أظل مع الرياح تثيرني ... مزقًا، يخالطني الغبار وأُنكر!

عجبًا أوسخ بالقذارة في العرا ... وأنا العزيز بكل خير أصدر!

عجبًا تلف الحاجيات بصفحة ... من منهج، أو في المحارق أقبر!

ماذا جنى القرطاس وهو خزائن ... فيها المعارف والعلوم وأكثر؟!

ماذا يضرك إن حمتني أرفف ... تأتي إليّ متى تشاء وتبصر؟!

فأنا مكانتي التي أهفو لها ... دومًا بمكتبة تزار وتعمر

وذلك لإثبات وجوده وسيطرته على البيئة. وقد يكون التخريب نتيجة لاتجاهات والديه الخاطئة كالتدليل الزائد، أو الإهمال المفرط، أو الحرمان من الحب.

وفي بعض الأحيان يأتي الميل إلى التدمير عن صراع نفسي شديد العمق لا يدري الطفل ولا والداه شيئًا عنه. وكثيرًا ما يستلزم الكشف عن الأفكار الملتوية المشوهة التي يتضمنها هذا الصراع قدرًا كبيرًا من المهارة والجهد من جانب المعالج النفسي، من تشخيص دقيق ودراسة متعمقة.

- إذا كان الدافع للتخريب هو ميل الطفل إلى الاستطلاع فإنه يجب على المربين إشباع حاجة الطفل إلى حب الاستطلاع، وألا يبالغ الآباء في كبت الأبناء وجعلهم هادئين قليلي الحركة، فالأرجح أن الصغير الذي لا يثير استطلاعه دقات الساعة، أو رنين الجرس الكهربائي، أو الموقد وكل الأجهزة الآلية التي يقع عليها بصره في حياته اليومية - الأغلب أن يكون مثل هذا الصغير مستغلق الذهن.ويجب ألا يفوتنا أن كثيرًا من أنواع النشاط التي يعتبرها الكبار نشاطًا هدامًا إنما هي عند الطفل تمثل جهدًا يبذله للوقوف على طبيعة الأشياء التي تعرض لها.

وتفاديًا لتخريب الأطفال وعبثهم بالأشياء القيمة يمكن اتباع الحلول التالية:

- تزويد الأطفال بلعب زهيدة الثمن تشبع ميل الطفل إلى الاستطلاع يمكن للطفل تفكيكها وتركيبها دون أن يلحقها التلف، مثل: القوالب والمكعبات التي تبنى ثم تهدم فهي تسير وفق ميول الطفل إلى البناء والتشييد، كما أنها تشجع القدرة على الإبداع والابتكار.

- إشباع حاجات الأطفال وعدم التمييز بينهم ومعاملتهم بطريقة سوية بعيدًا عن أساليب العنف والقسوة.

- إعطاء الأطفال الفرصة لكي يعبروا عن ذواتهم من خلال اللعب، أو الرأي، أو التفاعل الاجتماعي بعيدًا عن الأساليب التي قد تقلل من شأنهم وتحرمهم من الفرص الملائمة لذلك.

- تقديم البرامج الفنية والطبية والرياضية كمناشط موجهة للأطفال يفرغون من خلالها طاقاتهم بطريقة سوية وسمحة ويتعلمون قيمة وأهمية سلوك التعاون والمودة والرحمة.

المراجع :

- سيد صبحي، النمو النفسي للإنسان، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٩٥م.
- هدى برادة، وفاروق صادق، علم نفس النمو، القاهرة، مطابع روزاليوسف، ١٩٩٠م.

يا ناكر المعروف أنت أهنتني	إذ أنت في طلب العلا لمقصر
أنسيت أني للحضارة سلم	ولنيل أسباب السعادة مصدر؟!
بالأمس تعشقني العقول لأنني	«كالنجم من بين الكواكب يزهر»
واليوم في ذل المهانة حالتي	أو هكذا المعروف دومًا يشكر؟!



سبورة

معلمون لا أنساهم

محمد إبراهيم البرقاوي - المدينة المنورة

- كنا في الفصل ونحن تلامذة في أول سنوات الدراسة الابتدائية على محيانا تظهر البراءة... وفي أثناء شرح أحد المدرسين لدرسه طرق الباب وإذا بشخص يسأل عن طالب في ذلك الفصل باسمه، وذلك الطالب لم يكن إلا كاتب هذه السطور، وكان من متفوقي المرحلة لأنه أعاد السنة فيها، وقد كان مثالاً للأخلاق واحترام المعلمين.

طبعًا هذا الشخص الذي جاء إلى الفصل استأذن المدرس في إخراجي من الفصل للإدارة، عند ذلك قمت ببراءة الطفولة متجهًا صوب الباب فلما وصلت إلى باب الفصل ناداني المدرس أن هلم، فتوقفت وعدت تلبية لطلبه فإذا بالمدرس يصفعني على وجهي صفعة قوية أنستني أين كنت ذاهبًا ثم قال لي: إذا أردت الخروج من الفصل استأذن يا.... وخرجت وأنا ممسك بخدي من أثر تلك الصفعة، ولا أدري إلى أين المسير! نعم أعترف بخطئي، لكن ألا توجد طريقة للمعالجة أفضل من تلك؟! عفا الله عن ذلك المدرس وتجاوز عنه.

- كان أحد مدرسي المواد أول يوم يدخل علينا خطب فينا خطبة عصماء عن الأدب والاحترام وأذكر أول بيت سمعته منه يقول:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقد أسهب وأطنب في هذا الموضوع وزاد وأعاد، وفي اللقاء الثاني دخل الفصل وكتب المادة والموضوع على السبورة ولم ينس بالطبع تاريخ اليوم، ثم بعد ذلك أخذ يمشي بين الطلاب ويدخل إلى «بلكونة» كانت في الفصل (لأن المدرسة كانت عبارة عن عمارة مستأجرة) ويجلس فيها عدة ثوان ثم يعود إلى الفصل ونحن لا ننطق بأي كلمة!! وهكذا إلى أن نسمع صافرة انتهاء الحصة. وكل أسبوع على هذه الحالة، طبعًا في تلك السن نحن مسرورون بهذه الطريقة إذ ليس لدينا

أنا والشعر

شعر: مبارك عبدالله الحميد - القصيم

ويسألني
صديقٌ باردُ الإحساسِ..:
«ما الشعر؟
أراه يَهيم فيه خلائقٌ كُثُرٌ!!
فما السِّرُّ؟!
وهل في حبهم عذرٌ؟»
فيصفعني بأسئلة
ويرميني بمعضلةً
ويتركني
شريدًا بين أبيات
مضاربُها

هنا سطرٌ
وذا شطرُ
هنا بيتٌ به قيسٌ
وذا بيتٌ به عمرو
هنا مدحٌ
هنا ذمٌّ
هنا فخرٌ
هنا البَسماتُ تَفترُّ
هنا الآمالُ والآلامُ..
والأيامُ والأحلامُ..
والعمرُ

حياةً
أمرها أمرٌ!!

* * *

ألا يا صاحِ..
والأفهام لو وُزنت
بأوزان «الفراهيديِّ»..
ما سألت:
«أكان الشعر في التشبيه والوصفِ
كباقي الوشم في الكفِّ؟
أم الإيقاع والأوزان؟
أم التزويق بالكلمات والعنوان؟

دروس ولا واجبات، وفي نهاية الفصل الدراسي يعطينا مجموعة من الأسئلة ويقول لنا. من هذه الأسئلة ستأتيكم أسئلة الاختبار، أين هذا المعلم من الأمانة التي كلف بها؟! أسأل الله أن يتجاوز عنه إن كان حيًا ويغفر له إن كان ميتًا.

– ما إن أطلقت صافرة انتهاء حصة من حصص مادة من مواد المرحلة الإعدادية إلا وتبدأ مادة اللغة الإنجليزية ويدخل علينا أحد الأساتذة. كان هذا المعلم حديث عهد بتخرج ومن إحدى الدول العربية فيدخل الفصل ويبدأ يطرح بعض الأسئلة الإنجليزية ونحن لا نفهم منها شيئًا!! وفي إحدى المرات وقع بصره عليّ ووجه لي سؤالاً عن اسمي وأسئلة أخرى فلم أجب على تلك الأسئلة، لأنني ببساطة لا أدري ما الذي يقوله اللهم إلا السؤال المختص بالاسم، فجاء نحوي مسرعًا وأمسك بالشماغ الذي كنت ألبسه ولفه حول رقبتي وأخذ يسحبني، ففزعت من هذا السلوك وقلت إن هذا المخلوق لا أعتقد أنه معلم، بل ربما أخطأ الدخول في هذه المدرسة، ولعله قادم من مستشفى الصحة العقلية، وأخذ يجذبني يمنة ويسرة أمام الطلاب إلى أن أطلقت صافرة انتهاء الحصة ومنّ الله عليّ بالخلاص منه، وأنا ألتقط أنفاسي المتسارعة والخائفة، وفرائضي ترتعد ودقات قلبي تتابع من هذا الإنسان وهذا التصرف الغريب والعجيب والمفاجئ!!

وحتى هذه اللحظة لا أدري ما سبب هذا السلوك؟! والله لقد أفزعني فزعًا لا أنساه.

– في المرحلة الثانوية كنا شبابًا فينا الطيش والعبث، وفي إحدى سنوات هذه المرحلة جاء أحد الأساتذة في اختبار مادة صعبة بالنسبة لنا وقام بإغلاق باب الفصل ثم أملى علينا إجابة سؤالين من أسئلة الاختبار أو ثلاثة، وقال يكفيكم ذلك وهو أن تحصلوا على درجات النجاح!!

– في المرحلة الجامعية كان يدرسنا إحدى المواد الدراسية أستاذ يحمل شهادة الدكتوراه، فهذا الدكتور إذا ما دخل قاعة الدرس أحضر معه دفتر المادة ووضعه أمام طاولته وأخذ يسرد علينا ما في ذلك الدفتر بطريقة مملة إلى نهاية المحاضرة، والمادة جافة في موضوعاتها وكثرة فلسفتها. وإذا كان وقت المحاضرة قريبًا من وقت الظهيرة فإن عددًا من الطلاب يداعب النوم أجفانهم والبعض الآخر قد استغرق في النوم، بل حتى لو كانت المحاضرة في وقت مبكر فإننا نقاوم النوم بسبب أسلوبه وطريقة درسه ونوعية شرحه! ■

تُرى هل كان همهمةً
تَنفّسها الفتى الولهان؟!
أكان خيالُه أحلى
بتقبيحٍ.. وتحسينِ
وألوانً
من «اللاشيء»..
تَرسم صورة فيها
رؤوسًا للشياطين؟!»
أنا يا صاح لا أدري
لأن تمنّع الأشياء من حولي
له طعمٌ هلاميٌّ
كطعم الشعرِ..
فاعذرني!!

*　*　*

وأبياتي
كشفت بهنّ أسراري
وسرت بهن قافلةً
لأغواري
مضيت بهنّ مجتهدًا
وأحمل فوق رأسي..
خبز أفكاري
أجوب بهن في الأسواقِ..
من دارٍ
إلى دارٍ
وتأكلها
طيورٌ أقبلت نحوي
وتحملها
لأعشاش وأوكارِ
لتصبح نهبَ أنيابٍ وأظفارِ
تمزقها
وتنقدها
وتبلوا صدقَ أخباري!!

لقمة عيش دونها خرط القتاد

ممدوح القديري - فلسطين

ردد في نفسه مع بداية العام الدراسي أن يجنبه الله شر التنقلات البعيدة عن سكنه، فإن ذلك سيقلب حياته رأسًا على عقب، ويتعب أسرته، وخصوصًا الأبناء الذين في المدارس. وضع رأسه بين راحتيه، وأخذ يلملم أرجاء ذاته، وهو يمضي في درب حياته يرتشف آلام غربته، ويصغي إلى ما تحدثه به نفسه، وهو غير قادر على الاستقرار. شعر كأنه يتسول الحياة، هو يطالع قائمة التنقلات كل عام، ويجدد إقامته كل سنة التي تذكره أنه غريب حتى النخاع. وعندما يقترب العام الدراسي من نهايته يساوره قلق كبير من أن يكون أحد المعلمين الملغي عقودهم رغم إيمانه بأن الرزق بيد الله جلت قدرته، لكنه كإنسان لا يمنع نفسه من التفكير، وحين تراه زوجته ساهمًا سارحًا تقترب منه وتقول: العبد في التفكير والرب بالتدبير، فينظر إليها ويقلع عما هو فيه، ويطلب منها أن تصنع بعض الشاي ليستعيد توازنه المفقود منذ لحظات، وهو يفكر قلقًا على مستقبل أبنائه لو حل حرمان مفاجئ لم يتوقعه. كان يشعر بأنه متهم بلا جريمة لمجرد أنه لا يمتلك التخطيط لمستقبله على ضوء إمكاناته المحدودة التي يخاف حتى أن تتبخر مع الاستغناء عنه، وهذا وارد مع نهاية كل عام دراسي، وخصوصا مع تزايد الخريجيين الجامعيين من أهل البلد، وهذا من حقهم في أن يحصلوا على وظيفة يقوم بها متعاقد. وكثيرًا ما أحس أنه ينظر إلى قادم أيامه وكأنه قد فقد عينيه، وتمنى في لحظة تفكير لو أنه بقي عازبًا مسؤولاً عن نفسه إلا أنه استغفر الله عندما تذكر أن الله يخلق العبد ورزقه معه، وأنه مجرد وسيلة أو سبب لتوفير متطلبات معيشة أسرته.

كانت بداية العام الدراسي الحالي غائمة بالنسبة له مثلما كانت نهاية العام المنصرم، ففي هذين الموسمين يشاغبه القلق، فيعتصر يديه ويجتر صبره داخل زمن يعتصره، وشعور بالحيرة يراوده، يقهره في النهار، ويضخم أوهامه في الليل، ويحفزه على اتخاذ قرار ما.

إلا أنه عندما يتذكر أن مجال الاختيار أمامه لا يسمح له بالحرية، فهو ضيق إلى حد الاختناق، فيتراجع حسيرًا يضرب كفًا بكف، وعديد من التبريرات تبرد أحاسيسه الساخنة، فيكبح ثورته الداخلية على واقعه ويقمع تمرده ويتهادى مع شروده، وهو راقد على فراشه يسخر من عبودية الأيام التي هزمته، فجعلته يشعر بالجبن الذي ورثه عن الوظيفة.

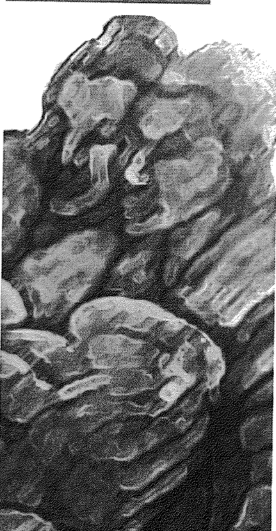
أحس أن رأسه كرة منفوخة مملوءة بالهواء لا يقدر على صد تلك الأفكار التي جلبها ذهنه المكدود قبل قليل. كان عاجزًا عن الإمساك بالتساؤلات العديدة التي غزته، وهو مسلوب الإرادة، تطوحه إرادة آخرين لا يعرفون عذاباته الحقيقية ويعذبه كثيرًا نظرة الإشفاق التي تطل من عيون البعض، هو يراجع الإدارة أحيانًا، وفي معظم الأوقات تكون النظرة حيادية بلا معنى لم يكن من أصحاب الخطورة حتى يرتقي بمستواه المعيشي. كان مجرد بيدق عادي على مساحة المنطقة يحركونه باستحواذ حسب ميولهم بحجة المصلحة المطلوبة دون مراعاة تلك المشاعر الكامنة في صدره والتي تظهر متماوجة على صفحة وجهه المتوترة، كاد ينهار أمام أفراد أسرته ذات مرة عندما اكتشف أنه لا يستطيع أن يلبي كل متطلباتهم الضرورية أو حتى أن يوفر لهم الطمأنينة المطلوبة لمواصلة حياة كريمة مثل غيرهم في الجوار المحيط بهم، كان السرور يتملكه كلما رأى اسمه في قائمة المعلمين الذين جدد لهم. فيشكر الله ثم يشكر المسؤولين الذين رأفوا بحاله، تأوه عندما طلب منه أبناؤه أن يسافروا في الإجازة الصيفية لتغيير الجو والتنزه، وعدهم خيرًا وهم لا يعلمون أنه لا يقدر على ذلك لأن السفر يحتاج إلى تكاليف أكبر من قدرته، وطلب من زوجته أن تفهمهم على مهل بظروفه.

ومضت الإجازة وهم قابعون معظم الوقت في منزلهم المتواضع وكانوا يتمنون أن تعود أيام الدراسة بسرعة لكي يتخلصوا من الضجر المسيطر على حياتهم ويخرجوا إلى مدارسهم للقاء الزملاء والمدرسين.

كانت نفسه ملتاعة وهو يراقبهم ولا يستطيع تحقيق رغباتهم كغيرهم، فيتملكه تأنيب غامض يسرق منه هدأة حياته، وسحابة حزن شاردة تغلق سماءه، كان عزاؤه هو حب طلابه له، وكانوا يتباكون عليه إذا انتقل من مدرستهم، حاول أن يفهمهم أنه لا يستطيع إلا التنفيذ وهو يحبس بعض عبراته عند الوداع، والعمر يتقدم والحياة تسير غير عابئة بمن يلاحقونها من أجل لقمة عيش دونها خرط القتاد.

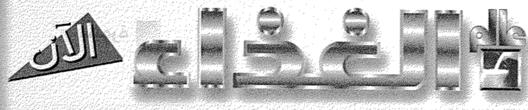
بطاقة حب إلى أمي

شعر: أحمد محمد النقيب - الإسكندرية



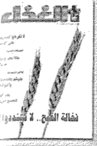
تقومين..
رغم افتراش صقيع الليالي لصدرك يا وردة الياسمين
ورغم افتراء السعال، ورغم احتراقٍ بقلب حزين
تقومين
فيحبو على وجنتيك الربيع بهاء، جمالاً، ضياء السنين
لينزع عن مقلتيك السهاد، وحزن الليالي، وآه الأنين!!
تقومين
فتصحو الشموس على بسمتك
وتدعو الحياة إلى جنتك
ويشرق وجه الصباح الجميل
ليبقى - عشقًا - سنا طلعتك
ويبقى فؤادي المحب لديك
يقبل حبًا حنانًا يديك
يصدّح لحن المنى حبنا
ويشدو ابتهاجًا حنينًا إليك
ورغم اكتئاب الليالي الحزينة
ورغم انتحاب الأماني الدفينة
ورغم انتظاري السنين الطويلة
ستبدو الحياة البخيلة:
جميلة!!

سبورة



العروض الصيفية

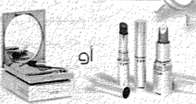
ولفترة محدودة اشترك أو جدد اشتراكك / اشتركي أو جددي اشتراكك واحصلوا على إحدى هذه الهدايا مجاناً







سنه 100 ريال



روج أو ظلال أو طلاء أظافر أو أحمر خدود

سنتين 200 ريال

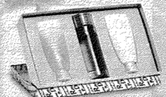


بودرة+ظلال أو كريم أساس سائل +أحمر خدود أو كريم أساس+روج

3 سنوات 300 ريال

زجاجة عطر فاخرة +بودرة أو زجاجة عطر فاخرة +كريم أساس أو زجاجة عطر فاخرة +كريم أساس سائل

5 سنوات 500 ريال



طقم عطر+زجاجة عطر+روج+كريم أساس

جميع الهدايا مقدمة من

درعة للعطور

العرض ساري في مدينة الرياض فقط وحتى نفاذ الكمية

لمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال على

روناء للأعلان والتسويق - الرياض

هاتف ٤٧٢٧٧٩٢ تحويلة ٢٥٥ - ٢٤٨ فاكس ٤٧٢٧٨١٨



حمد الماجد :
كادت روحي أن تخرج
بسبب بيتين من الشعر..!



الصلع دليل الذكاء..
اسأل عن ذلك أي أصلع!



سعاد المانع :
«الشياطين السبعة»
تتلبس الرجال



حياة كل واحد منا جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته.
حسنًا . . وعماذا هو يتحدث إذًا، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيبًا، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!
وضيف هذا العدد هو :د. حمد الماجد/رئيس المركز الإسلامي الثقافي بلندن سابقًا/نائب رئيس الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان.

حمد الماجد :

أنا من عائلة أصلها موريتاني، أسمها« ولد ماجد»!

❖ فشلت في اجتياز الصف الرابع الابتدائي مع أني في المراحل التي بعده في الغالب على علاقة طيبة بالامتياز ولن أقول (كنت الأول عالدفعة)، ولم أجد لذلك تفسيرًا.

❖ فشلت وأنا في الثانوية أن أقلد أبا هريرة رضي الله عنه، فقد روي أنه قد عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاستزادة من الطعام فقال: (والله لا أجد له مسلكا)، وكنت ذات مرة مدعوًا عند صديق وفي الضيوف عدد من طلبة العلم، فألح المضيف أن أستزيد من الطعام فقلت - وعيني على طلبة العلم - (والله لا أجد له «مخرجًا») بدل مسلكًا!!

❖ أشهر محطات فشلي، أنني فشلت أن أكون طيارًا، وكانت عين الخيرة - والله أعلم - في هذا الفشل!! فقد تقدمت إلى كلية الملك فيصل الجوية بعد تخرجي من الثانوية العامة وحين سمع زملائي بالخبر تهكموا مني وقالوا: (مستحيل يقبلونك، لازم يخاطبون أمريكا لتصميم طائرة تناسب قامتك الطويلة، وإلا فستضطر للطيران بدون الغطاء الزجاجي العلوي للطائرة F.5) على كل حال، فشلت في أن اكون طيارًا بسبب صعوبة اجتياز الفحص



قامتي الطويلة لا تصلح إلا مع F. 5

الجاليات الإسلامية في بريطانيا لا تريد أن تجتمع!

فشلت في أن أكون مذيعًا في الفضائيات . .

كادت روحي أن تخرج بسبب بيتين من الشعر . .!


حمد الماجد

زين الدين زيدان نصرني على المدام!

فشلت أن أقلد أبا هريرة..

فشلت في اجتياز الرابع الابتدائي

الطبي !! وهذه أيضًا لها قصة فشل أخرى ولكنها ليست مني هذه المرة! فقد فشل الطبيب الأمريكي في محاولاته المتكررة للكشف على «المستور»!! وهذا أمر تفرضه طبيعة الفحص الطبي، فقاومت محاولات «الاحتلال الأمريكي» فتحطم على صخرة «الإباء العربي»!!

❖ فشلت في أن أكون مقدمًا لبرنامج حواري في فضائية لامعة، ومع أني رفضت محاولات إقناعي لأني على نفسي بصيرة، إلا أنهم ردوا علي بأن الموهبة يكتشفها الغير! اشترطت في قبول العرض أن أقدم لقاءً تجريبيًا فوافقوا. فأجريت لقاءً فاشلاً جدًا مع شخصية ناجحة جدًا، فذهبت النسخة التجريبية الفاشلة قبل حوالي سنتين إلى أصحاب الشأن فلم يردوا علي إلى الآن! ولا أستبعد أن السبب في عدم الرد، هو إغماءة اعترتهم من فرط الإعجاب فما أفاقوا ولا ردوا! ولا بأس أن أكون «مؤامراتيًا» فتكون شدة غيرتهم من الموهبة هي التي جعلتهم يصرفون النظر حسدًا من عند أنفسهم!!على أية حال وبلغة جادة أقول: إن مشكلتنا يا سادة أننا إذا أعجبنا شخص ناجح في مجال خلناه كالجوكر، أو بعبارة أدق نريده (غازي قصيبي) آخر يصلح للنجاح في أكثر المجالات! ولولا أن الله حث على الستر لذكرت عشرات الأمثلة لفئة ناجحة حشرت في غير مجالها ففشلت.

❖ فشلت شاعرًا! وقد غرني أن أمي شاعرة وخالي شاعر وعمي شاعر وشقيقي شاعر بل وابنتي شاعرة (وهذا ليس للتسويق!)، حتى لتكاد من كثرة شعرائنا أن تظننا عائلة موريتانية اسمها (ولد ماجد)، وفي هذه الأجواء العائلية الشاعرية حاولت أن «أستشعر» ببيتين خرجا وكادا يخرجان معهما روحي، فباءت محاولاتي بالفشل.

❖ فشلت في أن أقنع (المدام) أن الصلع ليس بالضرورة من علامات الشيخوخة، وكم تبدو سعادتي وتنفرج أساريري(من الأذن إلى الأذن) حين أرى لاعب القدم العالمي الأصلع (زين الدين زيدان) يهرول خلف الكرة مثل ابن العشرين، حينها ألتفت إلى المدام وأقول بنشوة المنتصر: (شفتوا)؟!

❖ فشلت في أن أقنع عددًا من الأصدقاء الكتّاب ومنهم من يلتحف برداء (المعرفة)، أنه من الخطأ الاعتماد دائمًا على الغير في طباعة المقالات بل وكل الانتاجات الشخصية المكتوبة وخاصة الهواتف والعناوين.

❖ فشلت في إفهام الكثير عن الفروق الجوهرية بين الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، وهيئة حقوق الإنسان الجديدة.

❖ فشلت في التسعينيات الميلادية ومعي قادة الجالية الإسلامية في بريطانيا أن نجمع شتات الجالية، وهم من كل حدب في العالم الإسلامي ينسلون، على كلمة سواء لتمثيل الجالية الإسلامية رسميًا أمام السلطات البريطانية، هذا التمثيل نجحت فيه الأقليات غيرنا: اليهود والسيخ والهندوس والبوذيون، مع أنهم لديهم من أسباب الفرقة ما لدينا، لكنهم قادرون على وضع القواسم المشتركة المتفق عليها، وأما الجالية فحالها كحال عالمنا الإسلامي لا أقول في وجود الخلاف فهذا أمر طبيعي، ولكن في عدم القدرة على تجاوزه إلى المتفق عليه وهي المساحة الأكبر.

حمد الماجد

الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى .. نسمع.. نتكلم و..نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.

حارس المرمى

فاطمة السهيمي - القنفذة

في عالم الكرة - التي أصبحت الآن لغة مشتركة لمعظم شعوب العالم - هناك حارس وفريق، والحارس ضمن الفريق لكن له مهماته الخاصة التي لا يمكن لفرد آخر من أفراد الطاقم القيام بها، وهو يرتدي زيًا مخالفًا لفريقه ولم نسمع أن ذلك تمييز عنصري ضده، ولم يتدخل أحد لإنقاذه من هذه العزلة بحجة دمج الفريق والقضاء على التمييز، كما أن هذا الحارس ملتزم بحدود منطقة الجزاء يحق له ممارسة بعض الامتيازات التي لا تتوفر لغيره داخلها، كما لا تتوفر له نفسه عندما يغادرها.. وهو من حقه مغادرتها، ومن حقه مقارعة المهاجمين من زملائه، فذلك كله غير مخالف للقانون، لكنه نادرًا ما يفعل ذلك لأن العواقب وخيمة، وحتى عندما يقرر المغامرة فإن أعضاء الفريق إذا لم يمنعوه من المجازفة فإن الفريق غالبًا سيمنى بهزيمة ساحقة..!!

والآن يمكنكم أن تطبقوا ذلك كله على المرأة.. فهي تلبس زيًا مخالفًا للرجال وذلك لا يعيبها، بل هو مطلب ليحافظ المجتمع على توازنه، ولتحتفظ الحياة برونقها ومتعتها، ثم إنها ملتزمة بمنطقة محددة تمارس فيها من الصلاحيات ما لا يمكن لمخلوق غيرها أن يمارسه في جو من الحرية والشرعية.. لكنها تفقد هذه الصلاحيات بمجرد استسلامها لإغراءات الخروج ورغبتها في مزاحمة الرجال في تحقيق أمجاد وإنجازات غير مطلوبة منها في الأصل.. والمجتمع مطالب حينما تخرج المرأة عن هذا الإطار أن يعيدها لموقعها بالإقناع والمساعدة والتعويض، لأنه سيكون خاسرًا أيضًا في حال استمرارها في الخروج عن النص.

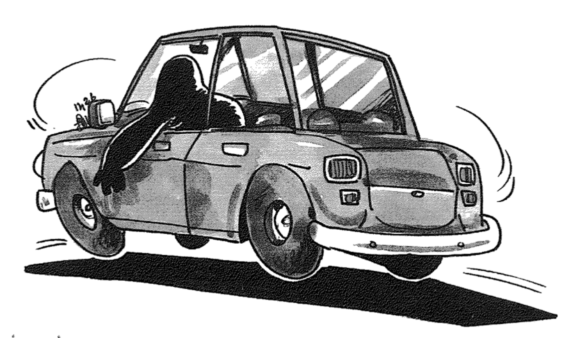
وهي ربما حققت إنجازًا أو مجدًا خاطفًا كما قد يحرز الحارس هدفًا نادرًا أو مفاجئًا، لكن ذلك لن يكون على امتداد الطريق.. بل استثناء، فنادرًا، ونادرًا جدًا ما تجد امرأة بارزة في مجال ذكوري بالسليقة أو بالعادة أو العرف، ثم تكون بعد ذلك محافظة على أسرتها كزوجة وأم..

وأتحدى أي امرأة في العالم أن تقول إنها تفضل النجاح في مجالها كعالمة ذرة أو رائدة فضاء أو رئيسة وزراء أو لاعبة كرة.. على تمتعها بمشاعر الأمومة، وقبل ذلك مشاعر المودة والرحمة المتبادلة مع الزوج..

فلماذا القفز على الحقائق، ولماذا الحرص على ابتكار مشاكل أو تضخيمها وتهويلها وغض الطرف عن مصائب ظاهرة للعيان لا تجد من يتفانى في إبرازها وطرح حلولها..؟!

فالنقاشات الحارة تدور هذه الأيام حول هذا المخلوق القضية - المرأة - والمعركة تستمد وقودها من حطب: الحجاب وقيادة السيارة.. والحوار يدخل ويخرج عن دائرة الحوار متجاوزًا الخطوط الحمراء حينًا، وملتزمًا بها حينًا آخر.. والمرأة - كعادتها - ترقب الوضع عن بعد دون أن تعبر عن رأيها الفصيح الصريح، تاركة الأمر برمته للرجل ليؤيد، ويعارض، ثم تدعي بعد ذلك أنها تبحث بهذين الأمرين - كشف الوجه والقيادة - عن حريتها التي أهدرها الرجل، وحقوقها التي حرمها منها..!!

والآن يا سادة بصفتي امرأة فسوف أطرح رأيي



في موضوعَي: كشف الوجه بحجة اختلاف العلماء، وقيادة السيارة بحجة عدم وجود نص شرعي يحرم ذلك على المرأة، والهدف المعلن والغاية النبيلة من كل ذلك إعطاء المرأة حريتها المسلوبة وحقوقها المهدرة، وإذا كان الأمر كذلك، فإنني امرأة من هذا البلد الكريم، لم أتخيل نفسي ولا أسمح لها ولا أتمنى أن تكشف وجهها أمام الرجال الأجانب، وأجدني سعيدة غاية السعادة بذلك، وأكتشف كل يوم حكمة جديدة لهذا التشريع الحكيم، ولست أحصي عدد المرات التي حدثت فيها مشاكل من نوع ما، فيكون تعليقي عليها: ولذلك سن الشرع الحكيم تغطية الوجه.. وأرجو أن تتاح لي الفرصة لأذكرها للقراء في مقال آخر.. وحتى لو سمح لي زوجي ووالدي بكشف وجهي، فلن أسمح أنا لنفسي بذلك، حبًا في ذاتي واعتزازًا بها وخوفًا عليها وحرصًا على مكتسبات حققتها بحجابي وغير مستعدة لفقدانها بفقدانه.. وإذا كان المؤيدون لكشف الوجه يجوبون بطون الكتب بحثًا عن الأدلة التي تدعم رأيهم، فإن آية من كتاب الله تكفيني لأتشبث بغطاء وجهي للأبد مطمئنة لسلامة رأيي ومنهجي.

وأما قيادة السيارة فقد حُسم أمرها شرعيًا عندما أفتى ابن باز والعلماء الكبار بعدم شرعية ذلك، أما وقد فتح الموضوع من جديد، واختلطت الآراء والفتاوى فإن المنطق والعقل على الأقل يقولون إن قيادة المرأة السعودية للسيارة قد يكون له بعض الإيجابيات لكن مصائبه وسلبياته ستكون أكبر من أن تحصى، وليس هناك أمر يخلو من السلب والإيجاب، لكن المؤمن يتفكر في المصلحة العامة، وفي النتيجة الأخيرة، فإن غلبت السيئات فلتذبح الحسنات القليلة على درب السيئات الكثيرة غير مأسوف عليها كما فعل المسلمون بالخمر في بداية الإسلام عندما أريق في الأزقة والشوارع، رغم أن الله سبحانه أوضح أن له بعض الفوائد..

أما تجربتي التي أود طرحها فهي أنني أعيش في مجتمع محافظ حتى النخاع.. ومع ذلك فلم يمنعني ذلك من نيل كافة حقوقي.. فدرست بلا سيارة وبحجاب سابغ، وتخرجت في معهد للمعلمات، ثم درست، ومارست كافة الحقوق في مرتبي، ثم عنّ لي أن أكمل دراستي في الجامعة وهي تبعد عن بلدتي حوالي ٥٠٠ كلم، ثم صقلت موهبتي في الكتابة، بالكتابة في مجلة متخصصة، والآن أكملت الدراسة في الجامعة - بحمد لله - بحجابي وبدون قيادة السيارة، وأكملت ست سنوات وأنا أكتب بكامل حريتي، وتزوجت وأنجبت، وحققت العديد من أهدافي على صعيد العمل والمنزل والحمد لله، دون أن أحتاج لخلع حجابي أو امتطاء مقود السيارة. صحيح واجهتني بعض الصعوبات لكنها ستواجه أي شخص آخر حتى لو كان رجلاً كاشفًا وجهه وممتطيًا سيارته..!!

أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.
هذه هي لغة السر في سر اللغة!
«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.
هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضًا على عواهنه.. بكل رحابة صدر.



الصلع دليل الذكاء..
اسأل عن ذلك أي أصلع!

عبدالغني رجب - القاهرة

ثورة أدبية

في طفولتي كنت أعشق الأدب وخصوصًا القصة وكان مشروعي الأدبي المستقبلي أن أعيد كتابة قصة ذات الرداء الأحمر بعد أن أستبعد منها الذئب، وقصة سندريللا بدون زوجة الأب الشريرة، وعلاء الدين والمصباح السحري بدون الرجل الشرير، وقصة قيس وليلى بدون ليلى لأنها أفسدت حياة قيس وأصابته بالجنون وأصبح يدعى مجنون ليلى.

إلخ إلخ إلخ

«إلخ» منحوتة من كلمتي «إلى آخره» وهي تستخدم لتجعل الآخرين يعتقدون أنك تعلم أكثر مما تعلم أي أن الموضوع يحتمل المزيد لكن لضيق الزمان أو المكان لا تستطيع الاستفاضة مع علمك التام بباقي الموضوع الذي تختصره في كلمة إلخ. وكنت في المرحلة الإعدادية أضيف هذه المنحوتة لكل كلامي حتى يعتقد المعلم أنني أعلم عن الموضوع أكثر مما قلت أو كتبت وعندما سألني المعلم عن حاصل ضرب ستة في سبعة قلت له ٤٢ إلخ إلخ. وعندما سألني عن عاصمة بريطانيا قلت له لندن إلخ إلخ إلخ أطلق عليّ تلاميذ الفصل لقب إلخ إلخ إلخ.

إسعاف أولي

في طفولتنا كانت هناك جماعات للعلوم والزراعة والتدبير المنزلي والإسعافات الأولية وكان أعضاء جماعة الإسعافات الأولية يحملون حقائب خشبية عليها علامة الهلال الأحمر وتحتوي على شاش وقطن وصبغة يود وأقراص مسكنة. وكان أعضاء الجماعة يعتبرون أنفسهم أطباء صغارًا. وفي يوم من الأيام أصيبت طفلة في المدرسة بالإغماء وتم استدعاء أحد أعضاء جماعة الإسعافات الأولية التي ما إن نظر إليها حتى وقع في حيص بيص ولم



يدر ماذا يفعل خاصة أنها لم تضع رباط عنق لكنه تماسك فورًا وقال لنا بلهجة آمرة: حلوا ضفائرها.

الإضحاك عن طريق الحزن

في المدرسة عندما كنا نمثل مسرحية مأساوية كانت تثير عاصفة من الضحك عند التلاميذ والمعلمين، فعندما تبكي يضحك الآخرون عليك.

شفقة

في طفولتي كنت أشفق على من يقطنون ناطحات السحاب في أدوارها الأخيرة ماذا يفعلون عندما يبدأ النطح؟

محدود الدخل

في طفولتي كانت الصحافة تذيع دائمًا أن الحكومة ستفعل أقصى ما بوسعها لمحدودي الدخل وأنها ستعالجهم مجانًا وستدعم السلع الغذائية من أجلهم وكذلك وسائل المواصلات. وعندما سألني أبي ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر قلت له: محدود الدخل.

ذو الأنف المتورم

في طفولتي كنت مشهورًا بأنفي المتورم ليس من زكام وإنما لأنني كنت مشهورًا بالشجاعة والإقدام والأنف رمز الأنفة والكبرياء، وكلما كان كبيرًا كان الإنسان عظيمًا وقد كنت أحسن من يضرب الأطفال الأعداء بأنفي في أقدامهم وهذا سبب تورمه.

أتحدى الشمس

كان المعلم يقول إن البيت الذي تدخله الشمس لا يدخله الطبيب، ويقصد أن أشعة الشمس تقتل الجراثيم التي تصيب الإنسان بالمرض فلاحاجة للطبيب لكنه نسي أن هناك أمراضًا كثيرة لها أسباب غير الجراثيم بل إن الشمس الحارقة نفسها قد تسبب المرض. وعندما سألني المعلم عن السبب الذي يجعل الطبيب لا يدخل البيت الذي تدخله الشمس قلت إنه ربما يخاف أو يستحي منها

وصممت عندما أصبح طبيبًا أن أدخل البيت الذي تدخله الشمس وأتحداها بنظارات سوداء ومظلة.

الشكوى فن

عندما كنت طفلاً صغيرًا كنت أذهب لأمي أشكو لها الجوع فأقول لها «عصافير بطني تزقزق» فكانت أمي تجزل لي الغذاء أكثر مما لو قلت لها «أنا جائع» فقط.

غطاء للعقل

في المرحلة الإعدادية كنت أعتمر قبعة صغيرة محبوكة على رأسي وذلك قبل الامتحان بشهر وأثناء الامتحان وأخلعها بعد الامتحان، حتى لا تطير المعلومات من رأسي.

الوصول للقمر

في طفولتي لم يكن أحد قد وصل للقمر لكنني كنت أريد أن أكون أول من يهبط على سطحه هربًا من معلمة الحساب القاسية القلب التي تعاقبني يوميًا.

فضائل التفاح

التفاح مفيد لجسم الإنسان فهو يحتوي على الفيتامينات والأملاح المعدنية الهامة. وهناك مقولة شائعة إن تفاحة في اليوم تمنع عنك الطبيب للأبد وعندما سألني المعلم كيف تمنع التفاحة الطبيب؟ أجبته: نقذفه بها على أن تصيب رأسه أو نفقأ به عينه فلا يدخل البيت ويهرب.

كلهم كسور

في حصة الحساب كان المعلم يحدثنا عن الكسر الاعتيادي والكسر العشري حتى اعتقدت أنني استوعبت الدرس جيدًا لكنني كنت مخطئًا فعندما كسر ذراعي لم أعرف إن كان الكسر اعتياديًا أم عشريًا حتى قال لي أبي إن تحديد نوع الكسر من اختصاص طبيب الأشعة وطبيب العظام.

مباراة

كانت مباراة كرة قدم رائعة بيننا وبين المدرسة المجاورة انتهت بفوزنا صفر - صفر وقد أحرزنا الصفر الأول.

دعاية وإعلان

كانت أمي عندما تشاهد أحدنا غاضبًا متوترًا تقول إنه «عليه بيضة» أي سيبيض بعد قليل قياسًا على الدجاجة فهي عندما تكون على وشك أن تبيض فهي تقوق وتكون متوترة وقلقة وكثيرة الحركة والصياح والجلبة. كانت عبارة أمي تزيد التوتر والقلق إلى الذورة حتى يسكن بعدها فإن الأمور عندما تصل لمنتهاها فإنها تنتهي وكان هذا من العلاجات النفسية غير المسبوقة التي تبتكرها أمي من حين لآخر. وعندما سألت أختي لماذا تقوق الدجاجة قبل أن تبيض قالت لي إن هذا النوع من الدعاية والإعلان عن السلعة البيضة فنحن في عصر الإعلان.

حالة حب

عندما وصلنا للمرحلة الثانوية كنا قد راهقنا البلوغ ولم يكن يشغل تفكيرنا سوى العلاقة مع الجنس الآخر التي كانت مبهمة يحوطها الغموض والسحر ولكن القاعدة العامة عند التلاميذ أن من يفقد قدرًا من التركيز والانتباه وبعض الذاكرة هو إنسان عاشق خاصة إذا اهتم بمظهره وتصفيف شعره ويصبح عند ذلك موضعًا للسخرية والتندر. لم تكن هناك معضلة أصعب من الحب تجعل الفتى تائهًا يهمل دروسه وينسى كثيرًا ولا يصغي لشرح المعلم ويتأنق في ملبسه ويغسل أسنانه. كنت دائمًا أضع رواية أقرأ فيها «على الجزء الأسفل من الدرج» في أثناء شرح المعلم حتى أتحمل طول اليوم الدراسي ولم يكن المعلم يرى الرواية التي أقرأ فيها لكنه كان يلاحظ أنني في واد آخر في حصة اللغة العربية. كان المعلم من جنوب شرق آسيا ولغته العربية التي أتى يعلمنا إياها سقيمة ركيكة فقد كان من مدرسة المعلمين العليا مغتربًا عن أهله وقد جاء للتدريب على التدريس كجزء من دراسته. وعندما أخبر الطلاب المعلم أنني أهيم في أودية أخرى ولم يكن يعلم أنني أقرأ رواية سألني إن كنت أصغي لما يقوله. فقلت له نعم لكنه كذبني بأنني لا أستطيع إعادة ما قاله، حتى تدخل التلاميذ قائلين إنني أعايش حالة حب شديدة تجعلني في شرود عن الواقع المعاش إلى أجواء خيالية أهيم فيها مع من أحب. اندهش الآسيوي دهشة شديدة وقال متعجبًا إنني أكبر منك سنًا ولكنني لا أحب، فكيف أيها التلميذ الصغير تحب. لم نعلم ما دخل السن في الحب لكنني وأنا التلميذ الفنان

أدركت أنه يحسدني أو يغبطني.

ثغر وردي (ابن تغر بردي)

من وسائل تخليد عظماء الأمة إطلاق أسمائهم على الشوارع الرئيسة ويناط هذا الأمر بهيئة حكومية يتمتع موظفوها بالجهل ولا يعرفون عن أولئك العظماء شيئًا. تقرر إطلاق اسم المؤرخ العظيم ابن تغر بردي على أحد الشوارع وتمت المكاتبات الرسمية حتى وصلت لمنتهاها ولم يبق إلا كتابة الاسم على الشارع الذي كتب هكذا بعد تحريفه خلال المكاتبات «ثغر وردى» وأعتقد أن الاسم يحمل طابعًا فنيًا أكثر من الاسم الحقيقي.

طفل مكتئب

وأنا طفل كنت أعاني حزنًا دفينًا واكتئابًا مقنّعًا ولذلك كنت أبدى اهتمامًا كبيرًا بالبحر الأسود والبحر الميت والبحيرات المرة في منهج الجغرافيا الذي ندرسه.

غباء

الإنسان الغبي عندما يغضب ويريد أن يطفئ غضبه يقوم بإشعال لفافة تبغ.

حلاوة النقود

أعطتني أمي قرشًا لكي أشتري به عسلاً لطعام العشاء للأسرة كلها، وكان من عادتي وعادة كل طفل في حينها أن نلهو بالقطعة النقدية عندما تقع في أيدينا ونددللها وقد نضعها في أفواهنا لنتذوق حلاوة النقود لقلة ما يصل إلى أيدينا منها، وعندما وضعت القرش في فمي وأحسست حلاوته ابتلعته بحركة لا إرادية ثم خفت مغبة ابتلاعه فربما قتلني أو أمرضني فعدت إلى أمي أشكو لها فصممت على أن تخصمه من مصروفي وهو ثلاثة قروش في الشهر.

الولد لخاله

في طفولتي كنت أحلم أن أكون ثريًا جدًا مثل خالي.... الذي كان يحلم بذلك.

لا آكل الخبز بالجبن

بعض الناس شعارهم في الحياة هو
أقول وقد شنوا للحرب غارة
دعوني فإني آكل الخبز بالجبن

ونحن أطفال في المدرسة ذهبت مع زميلي في أثناء الفسحة إلى المقصف لتناول الطعام وطلب صديقي جبنًا أما أنا فطلبت شجاعة.

عائلة وعائلة

كنت أسمع كثيرًا عن شجرة العائلة وأخذت أبحث عنها حتى أراني جدي إياها وكان يحتفظ بها مع مقتنياته الثمينة. وعندما تباهيت بها أمام زميلي في المدرسة أخبرني أنه من أسرة كبيرة جدًا حتى إنه ليس لها شجرة عائلة وإنما غابة عائلة.

لغة الأسماك

هناك بعض الأحاجي والألغاز التي تحتاج إلى ذكاء من نوع خاص مثل تلك الأحجية التي ذكرها لنا معلم الرسم وكنت أنا الوحيد الذي أجبت عنها إجابة صحيحة، يقول اللغز: ما الشيء الذي يوضع في قفص ولونه أخضر وله ريش ويتكلم؟ وكانت إجابتي الصحيحة هي السمكة. وعندما سألني المعلم هل السمك يوضع في قفص؟ قلت له تستطيع أن تضع السمك في قفص. فسألني وهل لونه أخضر؟ قلت له تستطيع أن تدهنه باللون الأخضر. فسألني وهل له ريش؟ قلت تستطيع أن تلصق له ريشًا. فسألني السؤال الأخير وقد نفد صبره واستشاط غضبًا: وهل يتكلم السمك؟ قلت له نعم يتكلم بلغة الأسماك. أعجب المعلم بإجابتي وجعل الأطفال يصفقون تحية لي لكن غضبه لم ينطفئ إلا بعد أن ضربني عشر ضربات على ظهر يدي بالطرف المدبب للعصا.

البقاء للأصلع

الصلع دليل ذكاء وعبقرية واسأل عن ذلك أي أصلع.

الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوماً.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.

ضيفتنا العزيزة: د.سعاد المانع/ عضو هيئة التدريس بكلية الآداب / جامعة الملك سعود.
تقدم لنا شيئًا من وجهة نظرها فيما يلي:



سعاد المانع :

تاريخنا العربي اليوم كابوس

- الأدب العظيم هو بالضرورة أدب منحاز بالدرجة الأولى إلى الإنسان.

«نزار قباني»

للإنسان جوانب مختلفة بعضها جميل وبعضها قبيح، وبعضها شرير وبعضها خيّر. وأرى أن الأدب العظيم هو ما يظهر فيه جانب من هذه الجوانب.

- الكاتب عبدالله باجبير قال: الكاتب في عالمنا العربي هو أرخص أنواع الأيدي العاملة.

إذا كان الكاتب يعمل أجيرًا عند الآخرين فهذا يكون حقًا!!

- يرى الدكتور أسامة عبدالرحمن أن الإنسان العربي لم يعد يحترم الكلمة أو لم يعد يتأثر بها.. أو لم يعد يلقي لها بالاً في أغلب الأحوال.

أية كلمة؟؟ أهي الكلمة التي يقولها الفرد العربي أم هي الكلمة التي يسمعها من وسائل الإعلام؟!

- يقول الطيب صالح: لو أن كل إنسان عرف متى يمتنع عن اتخاذ الخطوة الأولى لتغيرت أشياء كثيرة.

تتغير أيضًا الأشياء إذا ما أقدم الإنسان على تصحيح مسار خطواته.



- الأدب العظيم يظهر الجانب القبيح أيضًا!
- نحن نعيش في عصر القوة المدمرة بالتهديد!
- المعرفة منجم السعادة
- الكتابة والقراءة لن تصبحا من الماضي

- يقول نورمان لويس: إن القارئ البطيء: هو قارئ رديء.

لا أرى هذا حتمًا. فقد يكون القارئ البطيء بطيئًا لكونه حريصًا على الاستيعاب الدقيق أو لكونه يعيد التفكير فيما يقرأ.

- لقد انتهى عصر إبداع الكلمة.. لأنه جاء عصر غلو القتل، وسيطلع القرن الواحد والعشرون على البشر، وهم أكثر أمية مما قبل الحضارة لأنه سيكون عصر القوة المدمرة بالتهديد.

«برتراند راسل»

لا أحسب أن عصر إبداع الكلمة انتهى. ولكن حقًا أن العقدين الماضي والحالي يثبتان أننا نعيش في عصر القوة المدمرة بالتهديد.

- الفنون ترتقي إذا لم يكن المواطن جائعًا.

«الفنان التشكيلي فؤاد مغربل»

كذلك إذا لم يكن المواطن خائفًا، ولم يكن ذليلاً خانعًا، ولم يكن جاهلاً.

- إن ذلك لم يكن عملاً فنيًا بل إنه بشع ويشكل تشويهًا قذرًا للحقيقة.

«السفير الإسرائيلي في السويد حين حطم نصبًا للشهيدة الفلسطينية هنادي في متحف سويدي»



إنها وجهة نظر السياسة الإسرائيلية، وليس لها علاقة بالفن أو بالحقيقة.

- الزمان أقوى النقاد هو الذي يخفض الباطل، هو الذي يعلن الحق.

«طاغور»

يمكن أن نتتبع التاريخ ونتأمل أحداثه ومن ثم نحكم على مدى انطباق هذه المقولة على الواقع.

- ليست المعرفة ثقافة ولا تستطيع أن تجعلنا سعداء أو أثرياء.

«راسين»

اكتساب المعرفة هو المنجم الذي لا ينفد طوال حياة الإنسان. وهو يحقق السعادة والثقافة لمن يسعون دومًا وراء اكتساب المعرفة (إذا ما وجدت الحاجات الأساسية للإنسان) والمعرفة قد تجعل البعض أثرياء (فمثلاً الدول التي تتفوق على غيرها هي دومًا أكثر معرفة من الدول التي تقع تحت الهيمنة).

- من لا يتفوق على معلمه يكن تلميذًا تافهًا.

«ليوناردو دافنشي»

لكن معظم طرق التعليم في البلاد العربية تبدو وكأنها وضعت كي لا يخرج التلميذ عن حدود معلمه إلا بتجاوزها.

- غبار العمل ولا زعفران البطالة.

«مثل عربي»

اتفق مع الفكرة ولكن استبعد أن يكون المثل ضمن التراث العربي القديم. (لا أدري مصدر هذا المثل).

- زاوية واحدة من الكون تستطيع إصلاحها، هي نفسك.

«هكسلي»

ربما تقتضي الدقة أن نقول إن الإنسان الذي تستطيع أن تغير منه وتصلحه هو نفسك، وليس الآخرين.

- من نقب وبحث ثم كتب فهو ربع كاتب، ومن رأى ووصف فهو نصف كاتب، ومن شعر وأبلغ الناس شعوره فهو الكاتب كله.

«جبران»

تبدو الكتابة هنا عند جبران تعني الشعور.

«الشياطين السبعة» تتلبس الرجال

المواطن يرتقي إذا لم يكن خائفًا أو خانعًا

والكاتب المقصود هنا - في رأيي - هو من يستطيع أن ينقل شعوره بالأشياء على اختلافها إلى القراء.

أما الكاتب المهتم بالبحث التاريخي أو البحث العلمي فلا أحسب أنه يشير إليهما في العبارة السابقة.

- المرأة أبهج ما في الحياة.

«رايت»

أهذه وجهة نظر النساء؟

هل المرأة أبهج ما في الحياة للمرأة أيضًا؟!

- اضرب امرأتك كي تخرج منها الشياطين السبعة.

«مثل بلغاري»

وماهو الحل إذا كانت «الشياطين السبعة» تلبست رجلاً وليس امرأة؟

- ابتسامة المرأة شعاع تفوق سرعته سرعة الضوء.

«كارل سانبرغ»

جميل هذا! ولكن أهو ينطبق على ابتسامة كل امرأة؟

- الحياة فن المرأة.. والموت أو حافة الموت جنون الرجل.

«أنيس منصور»

أتفق على أنه في الغالب الأعم تبدو الحياة فن المرأة، وفي حالات غير قليلة تكون حافة الموت جنون الرجل.

- الزواج هو المغامرة الوحيدة المتاحة للجبان.

«فولتير»

وهل الزواج مغامرة؟! وهل تنطبق المقولة على النساء؟

- الزواج مقبرة الحب، فكم من حب جاء ثمرة للزواج.

«مي زيادة»

لا يتفق أول المقولة مع آخرها، ويبدو أن ثمة خللاً حدث في نقل عبارة مي. والواقع يؤكد صدق الجزء الأخير من المقولة «كم من حب جاء ثمرة للزواج».

- أن تربية الطفل يجب أن تبدأ قبل ولادته بعشرين عامًا.. وذلك بتربية أمه.

«سيمور»

هذا صحيح، ولكنه بحاجة إلى إضافة وبتربية أبيه تربية صالحة أيضًا.

- إن الأسلوب يدل على سلوك الرجل وكياسته.

«الناقد الإنجليزي كلير كونش»

أفكر أن أغير صيغة العبارة قليلاً لتكون «إن الأسلوب يدل على سلوك الإنسان (رجلاً كان أم امرأة) ومدى كياسته».

- الأمة التي لا تاريخ لها أمة سعيدة.

«وليم أودين»

وهل حقًا توجد أمة دون تاريخ؟ إلا إذا كان الأسلاف لا يسجلون ما يمر بهم؟! حتى الأمم التي احتلت أراضي جديدة أو اغتصبتها، جعلوا بداية الاحتلال بداية تاريخ حديث، أو جعلوا تاريخهم القديم هو المبرر للاحتلال أو الاغتصاب ليكون مشروعًا.

- يوجد في مناهج فرنسا أوصاف لا تليق بالعرب، فقد وصفوا في بعض المناهج بأنهم برابرة وعلوج!!

«إبراهيم نويري»

أظن أن المهم بالنسبة لنا ليس موقف الدفاع، ولكن المهم أن ننشر في العالم عن العرب صورة حقيقية تتسم بالقوة والنبل. أن ننظر في الإيجابيات الكثيرة وننشرها. ونسعى لإصلاح ما هو غير جميل. ونحن بشر ممن خلق الله قد يكون فينا ما هو غير جميل. ولكن تاريخنا في عمومه قديمًا وحديثًا ينبغي

سعاد المانع

الذي يعيش في التاريخ لا يستفيد منه

تمامًا أن ينطبق عليه صفة برابرة!

- الامتحان كابوس يحرص الإنسان على نسيانه وعدم تذكره حتى في المنام!

«د.عبدالعزيز الخويطر»

قد يكون الامتحان شبيهًا بالكابوس في رهبته ورعبه، ولكنه يختلف عن الكابوس في أننا نضطر أن نتذكره دومًا حتى نكون مستعدين له ونخرج منه منتصرين. من هذا قد يطوف ببعضنا في الأحلام.

- أفضل مناداتي «أبو غادة» فأنا فخور بها.

«د.الغذامي»

أتصور أن «غادة» سعيدة جدًا بهذا التصريح. وأرى أن د.الغذامي يقدم خطوة عملية في المجتمع المحلي والعربي في الاعتزاز بكنية الأنثى.

- أجمل متع الإنسان ما جاء بعد تعب.

«علوي الصافي»

إنها حكمة خالدة في كل زمان ومكان.

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا

- لا يكفي لأية أمة أن تستعمل أدوات الحضارة فحسب، وإنما عليها أن تنتج تلك الأدوات.

«سعد البواردي»

أشعر بأن هذه الكلمة تمس وضعنا في منطقة الخليج مسًا مباشرًا، كما تمس وضع العالم العربي كله إجمالاً.

- ليست الشجاعة أن تقول كل ما تعتقد.. بل الشجاعة أن تعتقد كل ما تقول!

«أرسطو»

أحقًا قال أرسطو هذه العبارة؟! أم أن خطأ ما تسرب إليها، أو قالها أرسطو في سياق معين انتزعت منه؟!

فهناك كثيرون يقولون الباطل نفاقًا أو يقولون الكذب خوفًا، فهل إذا اعتقدوا ما يقولون أصبحوا شجعانًا.

- المثقف العربي يعيش خطأ رهيبًا ما بين الواقع والخيال.

«د.فتحي بن سلامة»

أولاً ما هو تعريف المثقف العربي؟

- الكتابة كالحب يحدث لنا ولا نناقشة ولا شفاء منه.

«غادة السمان»

جميل هنا تشبيه الكتابة بالحب. وعبارة غادة هنا عبارة شعرية، وأرى أن جمالها يكمن في أن نقرأها على أنها عبارة شعرية لا غير.

- عدم القراءة لم تعد تقتصر على العامة وإنما تشمل من يمثلون زهرة الفكر والعقل!

«جهاد فاضل»

الذين لا يقرؤون هل يمكن أن يمثلوا زهرة الفكر والعقل.

- في العراق ليس هناك مهمة واضحة للأمم المتحدة أو دور قيادي، فإذا عادت إلى المسرح فإنها تدخل من باب الخدم!

«آلان جينيستار»

الدور القيادي يرتبط بالقوة (سواء أكانت قوة معنوية أو قوة مادية)، فهل تمتلك الأمم المتحدة شيئًا من هذا؟

- مهمة العلم دائمًا هي تحويل المعقد إلى سهل.

«ويليام جيمس»

أرى حقًا أن العلم يعبّد الطريق لمن يسعى إلى المعرفة.

- كل النساء من بعدها نجوم تمر وتنطفئ وهي وحدها السماء.

«محمد الماغوط، عن زوجته الراحلة.

العبارة تحمل وفاء جميلاً وحبًا جميلاً، ولكن كنت أود أن يوضع اسم زوجته في التعليق.

- الحب يحاصره الإرهاب الإسرائيلي.

«إياد حكمت»

لم يتحدث أحد إلا نادرًا عن الإرهاب الإسرائيلي في وسائل الإعلام العالمية.

- الكتابة والقراءة قريبًا ستصبحان شيئًا من الماضي وتظهر ممارسات بديلة تكون علامة فارقة في التاريخ الإنساني.

«دان سبيربير»

حافة الموت جنون الرجل!



لا يمكنني تأكيد هذه النبوءة، طالما دأب الإنسان التطور والتغير.

- التاريخ كابوس لم أفق منه حتى الآن.

«جيمس جويس»

تاريخنا العربي اليوم هو حقًا كابوس، عسى أن نفيق منه إلى صحو مشرق.

- تاريخ العالم تاريخ للعظماء.

«كارليل»

ألم يتغير الأمر قليلاً بعد «كارليل»؟

- التاريخ خرافات يصدقها الناس.

«نابليون»

ما هو الفرق بين الخرافة والحقيقة؟

- من يعيش في التاريخ يعود إلى المشي على الأرض.

«فولتير»

ثمة فارق ضخم بين الاستفادة من التاريخ وبين العيش فيه.

- المرأة الناجحة أعداؤها يكثرون وأغلبهم من النساء.

وماذا عن الرجل الناجح؟ أليس يكثر أعداؤه وأغلبهم إن لم يكن جميعهم من الرجال؟!

- الصامتون لا يغيرون مجرى التاريخ!

الذين يغيرون مجرى التاريخ هم من يعملون من أجل تحقيق غاية معينة، ولا يتأثر الأمر سواء أكانوا من الصامتين أم من غيرهم.

- حقوق المرأة تحتاج بالدرجة الأولى لوعي اجتماعي أو لقرار حكومي؟

لعلها تحتاج إلى الناحيتين معًا.

- النخبة المترفة هي التي تتحدث عن حقوق المرأة.. لذا فهو حديث الفراء والكابتشينو.. لا يلتفت إليه أحد.

أعتقد أن موضوع «حقوق المرأة» هو المهم بالنسبة للمرأة وللمجتمع بغض النظر إن كانت النخبة المترفة هي التي تتحدث عنه أم غيرها.

- تاريخ العالم سجل لكفاح الإنسان من أجل الرغيف.

«مارلون»

أوليس تاريخ العالم سجلاً لصراع الإنسان من أجل الهيمنة على الأرض وعلى الآخرين؟

- المرأة في التاريخ العربي هامش لم يلتفت إليه المؤرخون.

أخذ المؤرخات يلتفتن إليها قبل سنوات.

- ليست كل الأسماء التي تحتل المقدمة هي الأفضل دائمًا!

هذا صحيح

- الباحثة السعودية لها نصف حظ الباحث الرجل!!

لا أظن هذا، فمن يبحث جادًا يجد ثمار البحث.

- تدوير الكراسي غائب تمامًا عن الكراسي التي تحتلها النساء.

أيحدث هذا في دول العالم المتقدم؟ ■

سعاد المانع

أسير السؤال والريشة

فهد الحربي - الرس

ألم ينته دوامك بعد يا «أسير الريشة؟» في كل يوم تقريبًا وفي مثل هذا الوقت اعتاد معلم الفنية القدير أن يسمع هذا السؤال من مدير المدرسة، ضحك الأستاذ «يزيد» وهو يقول: «لعلك تحلم يا مديري الفاضل بيوم تحريري وعتقي منها! فقال المدير مبتسمًا: فهذا لن يبهجنا.. فسيكون يوم تقاعدك أشبه بمأتم في المدرسة.. ففي كل زاوية من زوايا المدرسة لمسة من لمسات أستاذ قدير مثلك لا ندري ماذا سنفعل في العام القادم بعد تقاعدك، فلقد أصبحت حلمًا من أحلام شبابنا فأنت قدوتهم في عالم الرسم والإبداع. أخبرني بالله عليك، ألم تفرغ بعد من تنسيق معرضك؟ أجابه المعلم «يزيد» وهو يضع لمساته الأخيرة على آخر لوحاته: «قاب قوسين أو أدنى» ولكني أنتظر زيارة من يفوقني في علمه وقدره أن يفيدني ببعض تجاربه وعلومه قبل يوم الافتتاح.

- ألم يأتك أي خبير؟
- ليس بعد.
- لقد شارف العام على الانتهاء!
- لعل في حياتهم الأهم ثم المهم.
- بل قل ثقة منهم بريشتك.
- شكر الله لك.. ورفعك الله منزلة.. فرغم صغر سنك ورفعة منصبك إلا أنك أكرمتني أدبًا، وقدرتني علمًا أكثر الله من أمثالك أيها المدير الفاضل.

ولكن لم يستغن فقيه الأمة عبدالله بن عباس عن طلب العلم حتى آخر رمق من حياته.

وبعد أيام من الانتظار المفرغ صبرًا والجهد المكلل بالنجاح، وضع الأستاذ «يزيد» لمساته الأخيرة على معرضه، وفي خضم صمت مطبق وقف «يزيد» يتأمل لوحاته التي كانت أغلى إبداعاته، وأطول الأيام عمرًا، وإذا وكيل المدرسة يأتيه مناديًا يا أبا طلحة في الإدارة عالم فنون أتاك زائرًا! تهللت أسارير «يزيد» كثيرًا وإن كان في قرارة نفسه ناقدًا وناقمًا على تأخيره اللامعقول في الزيارة، وما إن دخل الإدارة حتى وقف واجمًا ثم سأل مدير المدرسة: أين الضيف؟

- فأشار إليه مدير المدرسة.

لم يكن يحزن الأستاذ «يزيد» أن يكون أحد طلابه خبيرًا أو طبيبًا أو جنديًا مدافعًا عن وطنه أو عالمًا يرفع شأن بلاده فهو لم يعلمهم إلا ليكونوا كذلك لكن ما أحزنه وفطر فؤاده تنكره له وكأنه لا يعرفه!!

رحب الأستاذ «يزيد» به وقال:

أهلاً بك يا بني فلقد سرني أن يصل تلميذ من تلاميذي إلى هذا المنصب فنجاحك من نجاح أستاذك.

- نظر إليه.. وهو يبتسم بتكلف.. ففهم الأستاذ يزيد رسالته.. فهو لا يريد أن يرفع الكلفة بينهما في الحديث.

فقال وهو يخاطبه باستعلاء وبشكل رسمي: لعلك تطلعني على أعمالك فأنا على عجلة من أمري.. قال يزيد وهو يناجي نفسه سرًا: انتظرتك طويلاً.. وحينما حضرت تقول لي: «أنا مستعجل»!!



رحب المعلم «يزيد» بطالبه وقاده للمعرض بكل ثقة، لكن يزيد شغله أمر فهو لا يدري لماذا هذا العالم قبل وقبيل وبعد دخوله المعرض لا يزال مقطب الحاجبين!!

مر العالم مرور الكرام على لوحات المعرض، ثم وقف أمام أجمل لوحات المعرض وهو يتأمل لمدة ١٠ دقائق وكأنه ناسك متعبد.. في ظل ذلك الانتظار أخذ الأستاذ «يزيد» يشرح له أسرار هذه الألوان الغامضة وهو يكاد يطير من الفرح، لأنه حسبما خيل إليه أنه معجب بها! ثم إنه نظر إلى الأسفل ثم إلى الأعلى، ثم فكر وقدر، وقال: ألا ترى يا أستاذ «يزيد» أن لون إطار اللوحة لا يناسب خلفية الجدار.. ثم إن هناك مسمارًا بارزًا في اللوحة لعلك تطرقه جيدًا، ثم ذهب إلى الزاوية الأخرى من المعرض وخرج دون أي تعليق يفيد.. فما كان من المعلم الجريح إلا تبعه وهو منكسر الخاطر.. وفي جلسة كان يأمل الأستاذ «يزيد» منها الاستفادة قال له وهو مزهو بنفسه: معرضك لا بأس به.. ولكن هناك عدة ملاحظات هامة جدًا، ولا أدري هل سيسعفني الوقت أن أذكرها لك أم لا. أولًا: لوحات المعرض غير متناسبة في الأحجام. ثانيًا: لون الطلاء لعلك تعيده مرة أخرى. ثالثًا: لاحظت ملاحظة هامة جدًا أن إحدى واجهات المعرض لا يوجد فيها غير لوحة واحدة فقط.

فقال الأستاذ يزيد: لقد فعلت ذلك عمدًا حتى تأسر المتأمل فهي ملكة اللوحات عندي.. ولم يعر اهتمامًا من يرى نفسه عالمًا بإجابة «يزيد» وكأنه غير مقتنع.

لاحظ الأستاذ أن الضيف ينظر إلى ساعته كثيرًا فسأله مستفهمًا: هل ستعقد أو تحضر اجتماعًا مهمًا؟ فقال: لا، ولكن اعتدت ألا أجلس أكثر من هذا الوقت.

سأله المعلم الجريح: هل أكملت دراستك العليا؟

– لا.

– لعلك إذًا أثريت ملفك بالكثير من الدورات التدريبية.

– أيضًا. لا.

وفي يوم الغد.. دخل مدير المدرسة على الأستاذ «يزيد» وكالمعتاد طرح سؤاله مجددًا: ألم ينته دوامك بعد يا أسير..؟!

لم يضحك «يزيد» ولم يجب المدير.

فمنذ تلك الزيارة لم يعد أسيرًا للريشة، بل أسير سؤال يلح عليه طيلة يومه ولا يجد له جوابًا «لماذا تتقلب الموازين»؟!■


اليوم
اليوم
التفاصيل الكاملة
رشوة
1600 فتاة تقدمت لـ «الخارجية»
الدعوى المقامة ضد الجارالله
القامة ضد الجارالله
بإعادة صياغة



زياد الدريس
ziadd101@almarefah.com

إعلان «سرّي»!

(١)

حلوة..إعلان وسري معًا، نقيضان عَمرك الله كيف يجتمعان؟ هما نقيضان حقًا لا يجتمعان إلا في مجتمع متناقض!

مجتمع يشتهي دومًا إعلان الأسرار وكتم المعلنات، لا لشيء سوى أن كشف الأمور والأخبار والإجراءات السرية يمنح كاشفها حظوة في المجتمع وتميزًا ونفوذًا وأنه إنسان «واصل».

أما لماذا يشتهي هذا المجتمع أيضًا كتم وإسرار الأخبار والقرارات والحقوق المعلنة، فلأنه يدرك أن إتاحة وإعلان هذه الحقوق للناس جميعًا سوف يفقده قدرته وانفراده بالتهام هذه الحقوق وحده في تمركزه كإنسان «وصولي»!

(٢)

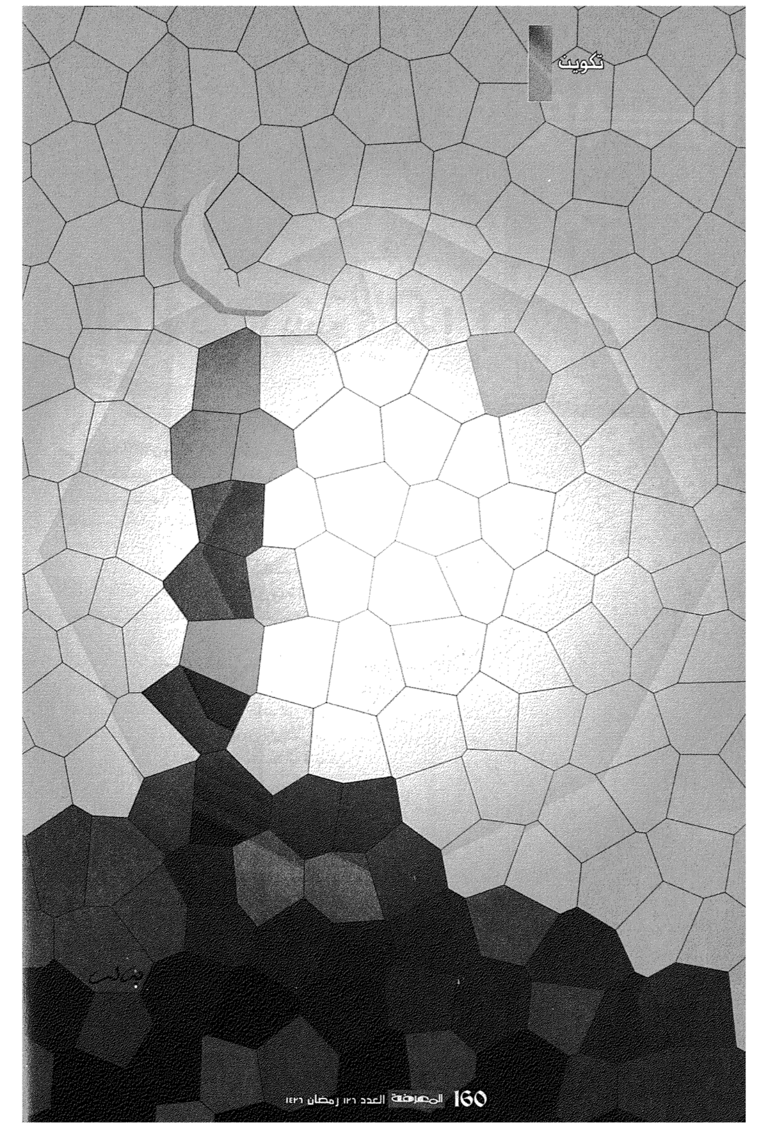
«الأسرار» في مجتمعنا تتذبذب بين طرفي نقيض، طرف يجعل كل شيء سرًا، ما يستحق وما لا يستحق، هو يكتم الأسرار ويكتم معها مجموعة من المعلنات المحيطة حتى يضمن أنه ابتعد عن الاقتراب من حقل الأسرار، ولذا فلازمته في الحديث دومًا حتى دون أن يشعر هي عبارة:«بيني وبينك...»، ثم يقول ذلك الخبر أو الحدث الذي تكتشف أنه لا يمكن ولا ينبغي أن يكون محيط العلم به محصورًا بينك وبينه فقط.

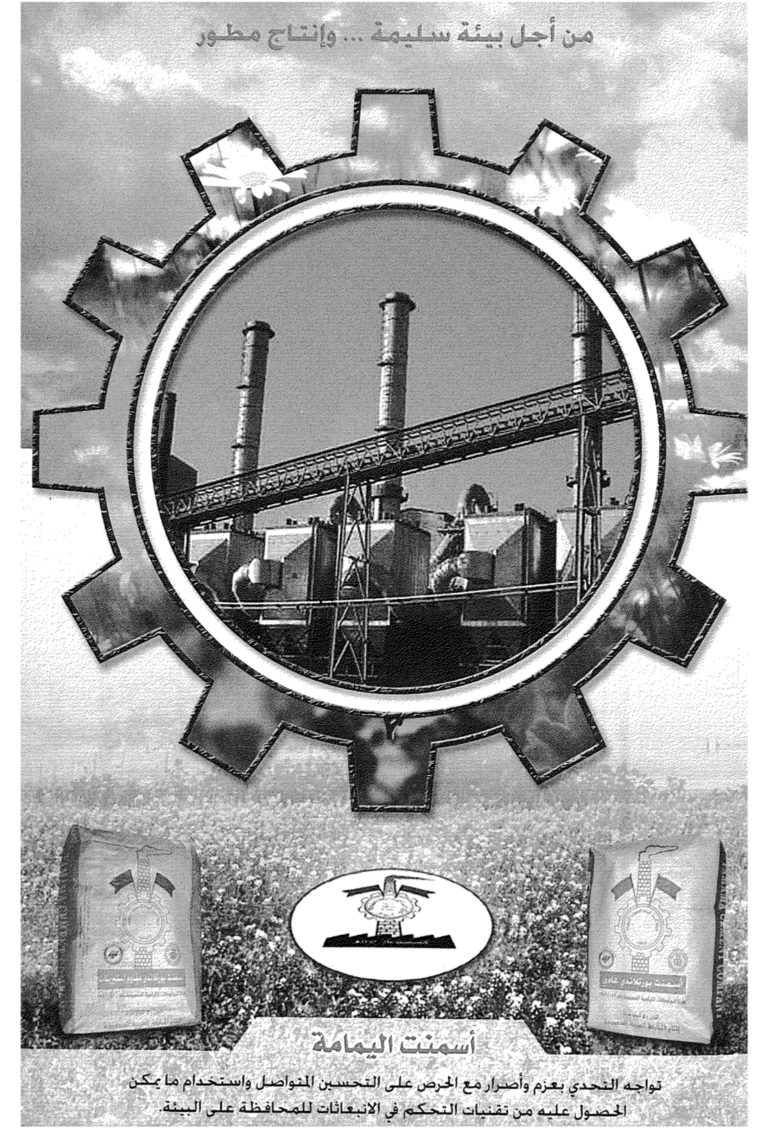
وفئة أخرى من المجتمع تعلن كل شيء حتى ما ينبغي عدم إعلانه من منطلق الشفافية المهيمنة، التي تصل إلى درجة هتك أسرار وخصوصيات الناس.

هتك الأسرار أو بناؤها من لا شيء هي عملية بشرية يحقق ممارسوها من ورائها مصالح اجتماعية (بناء علاقات) ومصالح مالية (بيع أسرار) ومصالح نفسية (شعور وهمي بالأهمية).

(٣)

إذا أردت لخطاب أو إجراء أن يذيع بين الناس فاكتب عليه «سري»، أما إذا أردت أن يكون شائعًا للغاية فاكتب عليه«سري للغاية»!! ■





من أجل بيئة سليمة ... وإنتاج مطور
أسمنت اليمامة
تواجه التحدي بعزم وأصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن الحصول عليه من تقنيات التحكم في الانبعاثات للمحافظة على البيئة.